العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2015/12/06 – الموافق لـ 24 محرم 1437

السنة 38 العدد 10119

Sunday 06/12/2015

38th Year, Issue 10119

وجوه

ملف

مراد وهبة وتحرير العقل

مراد وهبة: تحرير العقل من سجون الماضي

خلدون الشمعة: إنزال الفلسفة عن عرشها

أبوبكر العيادي: التعميم المخل بالحقيقة

خطار أبودياب: المواطنة وجدار الأيديولوجيا الدينية

هيثم الزبيدي: «الجديد» واللحظة الراهنة

نوري الجراح: عام على ولادة مجلة «الجديد»

ص11 إلى 16

فرنجية — ص 7
الرهان المزدوج على سليمان «الزغير»

أحمد درويش — ص 8
مدني في مهمة قتالية على خط قناة السويس

إكزوبري — ص 9
طفله الفضائي وحكايته السحرية كما في الأدب

جياكومتي — ص 10
الذي يشبه الآخر

واشنطن تترك أنقرة وحيدة في مواجهة موسكو

● تركيا تفشل في تسويق نفسها كبديل سني داعم للأميركيين

مع المصالح.. لا ود ولا مجاملات

❑ **لندن** – تعيش تركيا وضعا صعبا بعد حادثة إسقاط المقاتلة الروسية، وفيما كانت تراهن على دعم أميركي لها بمواجهة سلسلة العقوبات الروسية فإن واشنطن نأت بنفسها وتركت الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وحيدا في مواجهة تهديدات نظيره الروسي فلاديمير بوتين.

وقال مسؤول أميركي إنه بعد إسقاط الطائرة الروسية الأسبوع الماضي أوقفت الولايات المتحدة في هدوء طلبا لها منذ فترة طويلة بأن تقوم تركيا بدور أكثر فاعلية في الحرب ضد داعش.

واعتبر مراقبون أن هذا الموقف يسحب من تركيا أيّ مبرر لتحريك قواتها على الحدود السورية، فضلا عن تحديد مساحة تحرك طائراتها في المجال الجوي السوري بزعم استهداف مواقع داعش.

وواضح أن الخطوة الأميركية تأتي لاسترضاء موسكو وكسب ودها خاصة أنها أصبحت اللاعب الرئيسي في المشهد السوري، وأن أيّ تحرك عسكري أو سياسي ينبغي أن يمر عبرها، وفي المقابل فإن تركيا ستتقبل الموقف الأميركي في ظل ضآلة الخيارات لديها.

وزادت واشنطن بتأزيم وضعية حليفتها أنقرة حين تبرأت من مبررات وجود قوات تركية داخل العراق لتدريب قوات البيشمركة في سياق الحرب على داعش، وهو ما سمح بهجوم دبلوماسي عراقي كبير على الأتراك مطالبا إياهم بالانسحاب الفوري.

ودعت بغداد السبت أنقرة إلى أن تسحب فورا قواتها من العراق بعد نشر جنود أتراك في محيط الموصل (شمال)، الأمر الذي اعتبرته انتهاكا لسيادتها.

وقلل الأكراد من أهمية الخطوة التركية، موضحين أنها في إطار عمليات يشارك فيها الأتراك لتدريب مقاتلين أكراد سنة في المنطقة.

وعزا متابعون للشأن العراقي إثارة بغداد لهذه القضية بشكل قويّ إلى وجود أزمة أخرى ناجمة عن رعونة تصريحات الرئيس التركي ضد حليفتها طهران، وأن الأمر له علاقة بالتحالف الروسي الإيراني في سوريا ورغبة البلدين في بقاء الأسد بالسلطة.

وقد بدا ذلك واضحا في تصريحات قوية لنائب رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى الايراني، منصور حقيقت بور.

وقال حقيقت بور في تصريح لوكالة فارس أمس إن المسؤولين الأتراك يتصورون أن عمالتهم لأميركا تصنع لهم الحصانة، مضيفا "لهذا السبب نلاحظ تجرّأهم بين الحين والآخر ولذلك ينبغي الرد المناسب على تجاوزات مسؤولي مثل هذه البلدان".

وكان أردوغان اتهم إيران بأنها تقف إلى جانب روسيا في توجيه التهم لبلاده.

وقد يؤدي الغضب الإيراني من تصريحات أردوغان إلى إفشال سياسة الرئيس التركي التي اعتمدت السير على الحبال المختلفة خلال السنتين الماضيتين، فقد كان يتقرّب من موسكو وطهران ويبني علاقات قوية معهما، وفي نفس الوقت كان يهاجم الرئيس السوري بشار الأسد ويدعم معارضيه، وخاصة المجموعات الإسلامية المتشددة.

وفي خط آخر، كان يقدم نفسه صديقا للولايات المتحدة، ويفتح قاعدة أنجرليك أمام طائرات غربية لقصف داعش.

لكنه في النهاية لم يكسب هذا الفريق أو ذلك، كما فشلت خطته لتسويق نفسه كبديل سنّي داعم للأميركيين وقادر على تحريك سنّة المنطقة وراء المصالح الأميركية مستفيدا من علاقاته المثيرة للشك والارتياب مع المجموعات الإسلامية المتشددة، وخاصة مع جماعة الإخوان المسلمين التي وسّعت الخلافات بينه وبين دول سنية مركزية.

وإذا كانت علاقات تركيا مع مصر وصلت إلى طريق مسدود، فإن محاولاته للتقرب من السعودية لم تتجاوز مجرد حسن النية. لكن الموقف من اليمن، وخاصة التنسيق التركي الإيراني لبحث تأهيل الحوثيين أفشل رهان أردوغان في التحالف مع السعودية لأنه لا يهدف إلى إسناد سنة العراق وسوريا في مواجهة التمدد الإيراني، لكن كانت غايته اختراق الموقف الخليجي من الإخوان.

إيران في العراق.. بداية الشرق الأوسط الجديد

خيرالله خيرالله

ص 5

جنرالات الجزائر يثورون على بوتفليقة

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – انضم المدير السابق لجهاز الاستخبارات الجزائرية الجنرال محمد مدين (المعروف اسم الجنرال توفيق)، إلى خندق الغاضبين على خيارات السلطة، ليزداد الأمر تعقيدا في ظل غموض الوضع الصحي للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وخروج صراع الأجنحة إلى العلن.

وغادر بوتفليقة أمس فرنسا بعد أن أجرى فحوصا "طبية دورية" في مدينة غرونوبل التي كان وصل اليها الخميس.

وفاجأ الرجل القوي السابق في جهاز الاستخبارات الجنرال توفيق المتتبعين، بالرسالة التي وجهها إلى الرأي العام ليعبر فيها عن رفضه لمحاكمة قائد مصلحة مكافحة الإرهاب الجنرال عبد القادر آيت أوعرابي (حسان) بخمس سنوات سجنا.

ورغم أن رسالة الجنرال هي أول تعامل للرجل الغامض مع وسائل الإعلام، بعد 25 سنة من التخفي، إلا أنها كسرت حاجز الصمت، وأخرجت مسلسل محاكمة الجنرالات من طابعه القضائي إلى دائرة تصفية الحسابات بين أجنحة السلطة.

وقال الجنرال توفيق في رسالته "أُصبْت بالذهول جراء الحكم الذي صدر عن المحكمة العسكرية لوهران (غرب) في حق الجنرال حسان"، مشددا على أن "الجنرال حسان كان رئيسا لمصلحة مؤسسة وفقا لمرسوم وتعمل تحت مسؤولية الدائرة التي كنت أديرها، وعليه فقد كان متمتعا بصلاحيات تسمح له بالقيام بعمليات ذات صلة بالأهداف المحددة"، في إشارة إلى دوره في مواجهة المجموعات المتشددة في تسعينات القرن الماضي.

ورغم أن رسالة الجنرال اقتصرت فقط على الدفاع عن الجنرال حسان دون غيره من رجال المؤسسة العسكرية الذين تتم محاكمتهم، إلا أن المعارضة تعتبر المستفيد الأول منها.

فقد سبق لرئيسة حزب العمال التروتيسكية لويزة حنون، أن صرحت بأن "إدانة حسان هي دعوة موجهة إلى داعش" على اعتبار أن المحاكمة تعبر عن نية لتحميل الجنرالات مسؤولية ما جرى من عنف في التسعينات وتبرئة جبهة الإنقاذ الإسلامية المحظورة.

وكانت انتقادات قد وجهت للسلطات الجزائرية بمحاولة إحياء دور جبهة الإنقاذ المحظورة ضمن خطة للتصدي للمعارضة التي قويت شوكتها خاصة بعد مرض بوتفليقة وعجزه عن إدارة شؤون الحكم.

وقادت منظمات مدنية حملة للمطالبة بمنع عودة الجبهة المنحلة ما لم يتم توضيح مصير الآلاف من المفقودين ودورها في ذلك، ونجحت هذه الضغوط في منع السلطة من الاعتراف بحزب يرأسه مدني مزراق قائد "الجيش الإسلامي للإنقاذ" الذراع العسكرية السابقة للجبهة.

ويرى مراقبون بأن القضاء العسكري المحلي يمر على محك صعب، ومصداقية السلطة في المزاد، بعد تنامي الأصوات الطاعنة في مسلسل محاكمة الجنرالات، خاصة في ظل تجريم القانون للتعليق على الأحكام القضائية، حيث لم يجرؤ محامو الجنرال حسان على نقد الحكم القضائي، واكتفوا بوصفه بـ"القاسي جدا".

ومع وصف وزير الدفاع الأسبق الجنرال خالد نزار للحكم بـ"الجريمة"، ودعوة الجنرال توفيق إلى وقف ما أسماه بـ"القرار الظالم"، باتت المحكمة العسكرية في حرج شديد بسبب التعليمات التي تأتيها للاستمرار بمواصلة إصدار الأحكام.

وإذ أدخلت رسالة "رجل الظل" في الجزائر (الجنرال توفيق)، صاحبها على خط التجاذب الحاد بين السلطة والأذرع المناوئة لها في مختلف المستويات، فإن استفهامات عدة أحاطت بها، تتعلق بإذا ما كان الرجل في موقع ضعف بعد تنحيته منذ شهرين، وأن الرسالة هي للتوسل من أجل إنقاذ واحد من المقربين منه والموالين له، أم أنها إنذار موجه لخصومه في السلطة والواقفين وراء استهداف فريقه السابق.

السعودية تحاصر فكر الإخوان بإجراءات جديدة

● سحب كتب البنا وقطب والقرضاوي من مكتبات الجامعات والمدارس ● خطط الجماعة تهدد ثوابت المملكة

❑ **الرياض** – بدأت المملكة العربية السعودية جولة جديدة من مواجهة تنظيم الإخوان المسلمين على المستوى الفكري والثقافي، وذلك بعد قرار سحب عشرات الكتب التي تنشر الفكر الإخواني من مدارس وجامعات السعودية، وبينها كتب لأسماء بارزة مثل حسن البنا وسيد قطب ويوسف القرضاوي.

ويتزامن هذا مع دعوات لمنع كوادر الإخوان من التدريس في الجامعات السعودية.

وأصدر وزير التعليم في المملكة عزام الدخيل توجيهاً بسحب نحو 80 كتاباً من مكتبات ومراكز مصادر التعلم في المدارس.

وتضمّن التعميم أسماء الكتب المراد سحبها، ومن بينها كتاب "الله في العقيدة الإسلامية"، و"الوصايا العشر" لحسن البنا، وكتاب "الحلال والحرام" ليوسف القرضاوي، وكتاب "شبهات حول الإسلام" لسيد قطب، و"في ظلال القرآن"، و"خصائص التصور الإسلامي والتصوير الفني في القرآن" لسيد قطب، إضافة إلى عدد من الكتب الأخرى.

وقال مراقبون إن الخطوة التي أقدمت عليها الحكومة السعودية تأتي في سياق الموقف الرافض لانتشار الفكر الإخواني وأن المملكة ما زالت تعتبر الإخوان أحد أبرز الأخطار الاستراتيجية التي تهدد أمنها الداخلي وأمن المنطقة ككل.

ويأتي هذا ليطيح برهانات الإخوان ومزاعمهم حول وجود انفتاح سعودي على الجماعة في فترة حكم العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز.

وصنفت جماعة "الإخوان المسلمين" ومن يؤيدهم أو يتعاطف معهم بـ"أي شكل كان" ضمن القائمة التي تضمّ الجماعات الإرهابية إلى جانب القاعدة، ولم يقع أيّ تغيير على هذا التصنيف في عهد الملك سلمان.

واعتبر الصحفي والكاتب السعودي علي الرباعي في تصريح لـ"العرب" أن "المملكة لا تتخذ مواقف حادة من حزب أو جماعة إلا إذا وقع منها ما يمس الثوابت أو ينال من الوطن".

وأضاف أن الكتب التي نعتمدها من المفروض أن تتولى تشخيص أسباب العنف والتطرف، لكنها على أيدي بعض الحزبيين (الإخوان) تتحول إلى عدو للحياة والأحياء".

ولفت إلى أن "الكتاب وحده لا يؤسس للإرهاب بل هناك تغذية يقوم عليها الشارح والداعية والواعظ والمعلم"، في إشارة إلى سيطرة الإخوان على الجامعات والمساجد ووسائل الإعلام التي يبثون من خلالها أفكارهم.

ويتهم السعوديون الإخوان بتوظيف سيطرتهم على التعليم والإعلام لجذب الشباب إلى التشدد، والدفع بهم إلى ساحات الحرب في سوريا والعراق، فضلا عن اتخاذها مجالا لإرباك علاقة المملكة بدول عربية أخرى مثلما جرى مع مصر بعد ثورة 30 يونيو 2013.

ويستفيد مستعملون لمواقع التواصل الاجتماعي، يعملون لحساب منظمات دولية مثل التنظيم الدولي للإخوان المسلمين و"القاعدة"، من تهاون السلطات السعودية تجاه عمليات التحريض في بث الفتنة والكراهية داخل المجتمع السعودي، أو في التحريض على دول أخرى.

وينتظر السعوديون تطبيقا فعليا للقرارات التي تجرّم التحريض والتي صدرت عن العاهل السعودي الراحل الملك عبدالله بن عبدالعزيز وبينها عقوبات قاسية ضد من يحرض السعوديين على الخروج للقتال في الخارج تحت أيّ شعار، دعوة كانت أو فتوى، أو التحريض على القتال خارج المملكة.

وكانت المملكة قد شهدت انفتاحا على إخوان اليمن (حزب الإصلاح) للوقوف ضد الخطر الإيراني المتمثل في الحوثيين، وهو الموقف الذي ينظر إليه مراقبون على أنه مرونة ظرفية، معتبرين بأن ذلك لا يتعارض مع موقف المملكة الثابت من الجماعة.

وينظر نجيب غلاب، رئيس مركز الجزيرة العربية للدراسات، إلى محاصرة الفكر الإخواني على أنها تأتي ردا على تطرف وشمولية هذا الفكر ورفضه للآخر.

وتنسجم مواقف المؤسسة الدينية مع الموقف الرسمي السعودي في المخاطر التي تشكلها كتب الإخوان المسلمين والتي يذهب العديد من علماء الدين في المملكة إلى أنها المسؤول الأول عن انحراف العديد من الجماعات الإسلامية واتجاهها لتفجير الشعوب من الداخل وإغراقها في الصراعات.

الإخوان يتغلزون بالسلاطين العثمانيين ويركبون موجة معاداة الشيعة ص6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

أوروبا تدفع فاتورة تجاهلها خطر «الدولة الإسلامية» في الأراضي الليبية

ليبيا تتحول إلى مركز استقطاب للجهاديين ولا خطط غربية واضحة لإنقاذها

مع تزايد العمليات العسكرية ضد معاقل تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق، تحولت ليبيا إلى مركز رئيسي للجهاديين الذين يرون في هذا البلد النموذج المثالي لبناء حصن لهم يكون منطلقا لعملياتهم ضد دول المنطقة والقارة العجوز، خاصة وأنه لا خطط واضحة موضوعة لاستهدافه هناك.

داعش يستبيح ليبيا أمام أنظار العالم

□ **طرابلس** – يشكل تزايد نفوذ تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا هاجسا كبيرا يقلق راحة الأوروبيين خاصة وأن التنظيم المتطرف تمكن على مدار الفترة الماضية من تثبيت أقدامه وتحويل مدينة سرت، معقل الرئيس السابق معمر القذافي، إلى قلعة حصينة يتوافد إليها الجهاديون من مختلف أصقاع العالم.

ويرى سياسيون ومحللون أوروبيون أن تنظيم داعش في ليبيا يشكل الخطر الأكبر على أمنهم باعتبار أنه بات قريبا منهم بإطلالته من سرت على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، فضلا عن اتخاذه هذه المدينة منطلقا للتمدد صوب منطقة الهلال النفطي التي تحتوي على المخزون النفطي الأكبر في ليبيا.

ونجح داعش في بسط سيطرته على مدينة سرت (على بعد 450 كيلومترا شرق طرابلس)، في يونيو الماضي، إثر معارك خاضها مع قوات "فجر ليبيا" التي تتنازع وإياه النفوذ في مناطق بشرق ليبيا.

ويتحمل الأوروبيون جزءا كبيرا من مسؤولية تمدد داعش في ليبيا، حيث أنهم ومنذ سقوط نظام معمر القذافي خيروا اتباع "سياسة النعامة"، وتجاهل ما يحدث معوّلين على حصول توافق بين القوى المتصارعة في ليبيا يتم على إثره توجيه الجهود الليبية للقضاء على التنظيم وهو ما لم يحدث، ولا يتوقع أن يتحقق على المدى القريب.

وقال رئيس الحكومة الإيطالية ماتيو رينزي بعد أيام من اعتداءات شهدتها باريس وتكثيف الضربات الجوية على تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا إن "ليبيا قد تصبح القضية الملحة المقبلة".

> هناك قناعة في الأوساط الأوروبية أن التعامل مع داعش في ليبيا أسهل بكثير مما هو الحال عليه في سوريا والعراق، بالنظر لقرب ليبيا من أوروبا، ولكونه في متناول القواعد العسكرية خاصتها

وذكر مصدر حكومي فرنسي أن هذه المستعمرة الإيطالية السابقة الغارقة في الفوضى والعنف منذ سقوط نظام معمر القذافي في 2011، تتحول "بشكل واضح إلى نقطة جذب للجهاديين مع ازدياد صعوبة الوصول إلى سوريا".

وبدأ الذين يتطلعون إلى "الجهاد" ولم يكن في ذهنهم سوى سوريا، الاهتمام بليبيا، ففي منتصف نوفمبر أوقف في تونس شابان فرنسيان اشتبه بأنهما يريدان الانضمام إلى تنظيم الدولة الاسلامية في ليبيا.

ويشكل تزايد الاعتداءات التي يتبناها التنظيم وينفذها شبان تدربوا في ليبيا المؤشر الأوضح على صعود الجهاديين في ليبيا. حيث شهدت الجارة تونس على مدار السنتين الأخيرتين هجمات إرهابية خطيرة، كان معظم منفذيها قد تلقوا تدريبات في ليبيا.

وقال الخبير في الشؤون المغربية والتيارات الإسلامية قادر عبدالرحيم من معهد العلاقات الدولية والاستراتيجية في باريس إن ليبيا هي "البلد الذي يتعرض للتهديد الأكبر. الإرهابيون لا يتحملون فكرة وجود ديمقراطية على بعد عشرات الكيلومترات منهم". وأضاف الباحث أن التنظيم "يثير توترات" في الجنوب بين التبو والطوارق، المجموعتين المتناحرتين، ما يشكل "برميل بارود" قد يزعزع استقرار المنطقة حتى تشاد والسودان المجاورتين.

والتنظيم المتطرف الذي يواجه حملة دولية في كل من سوريا والعراق، بات يجد في ليبيا الأرضية الملائمة لتجنيد مئات العناصر من جنسيات مختلفة، في ظل عدم وجود رؤية واضحة لاستهدافه هناك.

وقال وزير الدفاع الفرنسي جان إيف لودريان في مقابلة مع أسبوعية "جون أفريك" التي تنشر اليوم الأحد "نرى جهاديين أجانب يصلون إلى منطقة سرت (شمال ليبيا) وهم، إذا نجحت عملياتنا في سوريا والعراق في تقليص مساحة الأراضي الخاضعة لسيطرة داعش، يمكن أن يصبحوا غدا أكثر بكثير".

وإذ لفت الوزير الفرنسي إلى تمدد التنظيم الجهادي نحو جنوب ليبيا، أعرب لودريان عن قلقه أيضا من خطر اتصال هؤلاء الجهاديين بجهاديي جماعة بوكو حرام النيجيرية.

ولكن لودريان شدد على أنه ليست هناك استراتيجية لبلاده في مواجهة هذا التنظيم بليبيا، معيدا "أسطوانة" ضرورة التوافق بين القوى الليبية لمواجهته.

وأكد وزير الدفاع الفرنسي أن بلاده ترفض التدخل عسكريا ضد الجهاديين في ليبيا إذا لم يحصل اتفاق بين الأفرقاء الليبيين. وأضاف "إذا جمعنا ميليشيات طرابلس إلى قوات طبرق فإن داعش لا يعود ذا وزن"، مطالبا أيضا الجزائر ومصر، القوتين الإقليميتين الوازنتين، بضرورة "التوافق" للضغط على طرفي النزاع.

وكانت الرئاسة الفرنسية أعلنت الجمعة أن الجيش الفرنسي قام بطلعات استطلاع فوق ليبيا الشهر الماضي وخصوصا فوق معقل تنظيم الدولة الاسلامية في سرت ويعتزم تنفيذ طلعات أخرى.

ويرى محللون أن تصريحات لودريان تؤكد حقيقة مفادها أن السياسة الأوروبية لم تشهد تغيرا كبيرا إزاء التنظيم في ليبيا، رغم الخطر الذي يتهدد القارة العجوز، خاصة وأن فرضية تسلل عناصر من داعش ضمن المهاجرين من ليبيا واردة جدا.

وصرح وزير أوروبي بأن تنظيم الدولة الإسلامية يمكن أن يستغل الفوضى في ليبيا "لإرسال جهاديين إلى لامبيدوزا"، الجزيرة الإيطالية التي تبعد أقل من 300 كلم عن السواحل الليبية.

ويقول محللون إنه ورغم تصاعد نبرات الخوف مما قد يقدم عليه "دواعش" ليبيا إلا أنه على أرض الواقع هناك استسهال كبير للمسألة، فهناك قناعة في الأوساط الأوروبية أن التعامل مع التنظيم في هذا البلد أسهل بكثير مما هو الحال عليه في سوريا والعراق، بالنظر لقرب ليبيا من أوروبا، ولكونه في متناول القواعد العسكرية خاصتها.

ويضيف المحللون أن هذه الرؤية للوضع في هذا البلد الواقع شمال أفريقيا تتضمن قصورا كبيرا، فداعش بات له أنصار وداعمون في معظم المناطق الليبية وليس فقط في سرت وجوارها، وقد بلغت مراكز التنظيم الجنوب ذا الطبيعة الصحراوية التي نجح التنظيم في معرفة متاهاتها.

وعلى غرار الموقف الأوروبي لا تبدو الولايات المتحدة الأميركية، عازمة على خوض عملية عسكرية للقضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، رغم شنها لبعض العمليات الجراحية ولعل آخرها كان في 13 نوفمبر حيث أعلنت أنها تمكنت من قتل العراقي أبو نبيل، الزعيم المحلي للتنظيم الجهادي، في قصف جوي.

ورأى رئيس المركز الأميركي "نورث أفريكا ريسك كونسالتينغ" جوف بارتر أن واشنطن "لا ترغب في التورط في هذا البلد قبل الانتخابات الرئاسية". وأضاف "بوجود هيلاري كلينتون في السباق، سيفعل البيت الأبيض ما بوسعه لتجنب نقل ليبيا إلى واجهة الأحداث".

وما زال مقتل السفير الأميركي في سبتمبر 2012 في بنغازي بشكل صفحة قاتمة لوزيرة الخارجية الأميركية السابقة التي تخوض اليوم السباق إلى رئاسة الولايات المتحدة ونقطة ينطلق منها خصومها الجمهوريون للتهجم عليها.

قاعدة المغرب الإسلامي توسع حلقة المنضوين تحتها بضم «المرابطون»

□ **الجزائر** – أعلن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بقيادة الجزائري عبدالمالك دروكدال أن جماعة "المرابطون" المتطرفة التي يقودها الجزائري مختار بلمختار انضمت إلى صفوفه وأنهما شاركا في تنفيذ الهجوم الذي أودى بـ19 شخصا في فندق راديسون في باماكو.

وقال دروكدال الملقب بأبي مصعب عبد الودود في تسجيل صوتي تم بثه الجمعة على المواقع الجهادية "نبشر أمة الإسلام بانضمام أسود الإسلام وأبطال النزال في كتيبة المرابطين إلى تنظيم قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي".

وأضاف أن الجهاديين "سطروا وحدتهم بمداد الدم وكتبوا حروفها الأولى بدم شهيدين في مكان غير عادي اسمه فندق راديسون بقلب عاصمة العدو باماكو"، داعيا إلى وحدة سائر "المجاهدين".

بدورها أكدت جماعة "المرابطون" في تسجيل صوتي نشره مركز سايت الأميركي المتخصص في رصد المواقع الجهادية انضمامها للتنظيم. وقالت "إننا نعلن عن انضمامنا لإخواننا وأحبابنا في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي للوقوف صفا واحدا ضد العدو الصليبي المحتل".

وأضافت الجماعة "كما ندعو جميع إخواننا المجاهدين في كل مكان للتوحد تحت كلمة التوحيد والوقوف صفا واحدا ضد عباد الصليب"، محذرة "من أن يكون الجهاد ضحية اختلافنا".

وقالت تقارير أمنية واستخباراتية إن "انضمام جماعة "المرابطون" إلى تنظيم القاعدة جاء في أعقاب جهود قادها مختار بلمختار منذ العام 2014 أجرى خلالها سلسلة من الاتصالات والمشاورات مع دودكال أمير "تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" وسعى من خلالها إلى دمج التنظيم الجهادي في إطار هيكلي واحد قادر على مواجهة تمدد تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بداعش في منطقة المغرب العربي والذي بات يزاحم القاعدة في مناطق عدة بالقارة السمراء وبخاصة في منطقة الساحل وشمال أفريقيا.

وجماعة "المرابطون" تأسست منتصف العام 2013 إثر اندماج تنظيمين منشقين عن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، هما جماعة "التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا" وجماعة "الملثمون".

وتنشط جماعة المرابطين أساسا في الساحل الأفريقي، مستغلة الأوضاع غير المستقرة التي تشهده بلدانه، وقد قامت على مدار السنتين الأخيرتين بعدة عمليات إرهابية.

وقد قتل أول أمير لها وهو أبو بكر المصري بعد فترة قصيرة من تأسيسه، كما تمكنت القوات الفرنسية من اغتيال أميرها الثاني أحمد التلمسي نهاية العام 2014، بينما قرر التنظيم عزل أميرها الثالث عدنان أبو الوليد بعد مبايعته تنظيم الدولة، وتنصيب مختار بلمختار أميرا له.

وبلمختار هو أحد القادة الجهاديين الأكثر بأسا في منطقة الساحل ويعمل من أجل تحالف كبير مع الجهاديين في النيجر وتشاد وليبيا، وقد أعلن عن موته عدة مرات وخصوصا في يونيو 2015 وفي أبريل 2013، لكن تم نفي هذه المعلومات.

وسبق لمختار بلمختار، أن جدد مبايعته في مايو 2015 لتنظيم القاعدة نافيا ولاءه لتنظيم الدولة الإسلامية.

وأوضح زعيم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أن التنظيمين الجهاديين "سيكونان سيفا واحدا لنحر عدوهم الأول فرنسا الصليبية وعملائها في المنطقة".

ووجه دروكدال رسالة تهديد إلى الشعب الفرنسي مشيرا إلى هجمات باريس في 13 نوفمبر.

وقال "إن ما تدفعونه من ثمن في أرواحكم في فرنسا وخارجها هو رد على جرائم حكوماتكم وجزء يسير من القصاص العادل ضد جرائم جيوشكم الإجرامية المرتزقة، باسم الحضارة والحرية الزائفة".

وينتشر أكثر من ألف جندي فرنسي في مالي التي تعد مركزا لعملية برخان التي تشمل خمس دول في منطقة الساحل الأفريقية المضطربة.

كما وجه رسالة لمن سماهم المجاهدين، وتضمنت تحذيرا ممن سماهم "دعاة الفتنة الذين اتخذوا قتال المجاهدين منهجا وتفريق صفوفهم غاية"، في إشارة إلى داعش.

شوارع باريس تغري التنظيمات الجهادية

المرأة المغربية شريكة في الحرب على الإرهاب

فاطمة الزهراء كريم الله

□ **الرباط** – نجح المغرب إلى حد كبير في تأمين نفسه من التهديدات الإرهابية، بفضل اعتماده على مقاربة شاملة تركز في كثير من جوانبها على إعطاء الأسرة والمؤسسات المجتمعية المكانة الأبرز للتصدي لهذه الظاهرة العابرة لحدود الدول والقارات.

وتعتبر المرأة المغربية عنصرا أساسيا وفاعلا في الوقوف بوجه هذه الظاهرة المتنامية، سواء على مستوى محيطها المصغر (الأسرة) أو الموسع (المجتمع).

وتقول ماريا الشرقاوي رئيسة وحدة دراسات قضايا الأسرة والنوع الاجتماعي في مركز أطلس الدولي لتحليل المؤشرات العامة في تصريحات مع "العرب": إن الأسرة والمرأة العاملة في مؤسسات المجتمع بالمغرب كان لها دور كبير في مكافحة الإرهاب، والحد من الغلو والتطرف وصناعة الوجدان الثقافي والوطني للأجيال.

وتضيف الشرقاوي إن "تفادي الإرهاب مقترن بالأساس بتشجيع مخطط ولوج النساء إلى مناصب المسؤولية والقرار، وتشجيع المشاركة الفعلية في تدبير الشؤون العامة على الأصعدة المحلية والوطنية، واتخاذ تدابير عمل إيجابية، والرفع من نسبة تمثيلية النساء في الهيئات المنتخبة، وتشجيع مشاركتهن في النمو الاقتصادي للبلاد.

ويعتبر المغرب استثناء على المستوى الإقليمي في دعم مكانة المرأة وتمكينها تشريعيا من حقوقها.

واشنطن تواجه صعوبات في إقناع العبادي بمهام القوة الخاصة

الميليشيات تشوش على إرسال قوات أميركية إلى العراق ولكنها لن تمنعها

يبدو أن الجدل الحاصل خلال الأيام الأخيرة بشأن إرسال قوة أميركية خاصة لقتال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، لن يمنع واشنطن من تنفيذ خطوتها بعد اتفاقها مع حيدر العبادي حولها ويرى مسؤولون أميركيون أن الإشكال الحقيقي يكمن في التفاصيل، والخلافات الدائرة حاليا هي حول مهام هذه القوة وعلاقة رئيس الوزراء العراقي بها.

من صاحب القرار

□ **بغداد** – لم تتوصل الولايات المتحدة بعد إلى اتفاق مع بغداد بشأن مهام الوحدة الجديدة من القوات الأميركية الخاصة المراد إرسالها إلى العراق لملاحقة تنظيم الدولة الإسلامية، الأمر الذي يسلط الضوء على الصعوبات التي تواجهها واشنطن في التعامل مع رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي.

وأعلن وزير الدفاع الأميركي آشتون كارتر يوم الثلاثاء خططا لإرسال القوة الصغيرة التي ستكون حملاتها ضد أهداف تنظيم الدولة الإسلامية أول عمليات عسكرية متواصلة تنفذها القوات الأميركية في العراق منذ أن غادرت القوات القتالية الأميركية البلاد عام 2011.

وقال مسؤولون أميركيون إن القوة كانت محل نقاش وتنسيق مع العبادي، إلا أن الأخير نفى الأمر معتبرا في تصريحات صدرت عنه يوم الخميس، أن إرسال قوات برية أجنبية سيعتبر عملا "عدوانيا".

وأضاف أن "الحكومة العراقية ملتزمة بعدم السماح بتواجد أيّ قوة برية على أرض العراق ولم تطلب من أيّ جهة سواء إقليمية أو من التحالف الدولي إرسال قوات برية إلى العراق".

وقد اعتبر محللون أن نفي العبادي معرفته أو تنسيقه مع واشنطن تهربا من تحمل مسؤولية تبعات ذلك، خاصة بعد أن تواترت تصريحات من أعضاء في الائتلاف الحاكم في العراق ومن فصائل كبرى منضوية ضمن ميليشيات الحشد الشعبي الشيعي تحذر من تطبيق الخطة.

وقد ذهبت بعض الفصائل إلى حد التلويح باستهداف أيّ قوات أميركية تطأ أرض العراق، وقال المتحدث العسكري باسم كتائب حزب الله جعفر الحسيني "سنقاتل أيّ قوة أجنبية سواء تتبع للائتلاف الأميركي أو غيره". وأضاف "سنضع كل تركيزنا على القوات الأميركية التي ستتواجد في العراق"، مؤكدا "إننا عازمون على سحق الجنود الأميركيين إذا تواجدوا على أرض العراق".

ويقول مسؤولون أميركيون إنه ورغم الجدل القائم فإن إرسال القوة أمر شبه محسوم ولكن الإشكال يكمن في تحديد مهامها، وتحركاتها. وشدد المسؤولون على أنه لن تكون هناك عمليات عسكرية أميركية من جانب واحد في العراق على النقيض من سوريا، لكن لم يتحدد بعد إلى أيّ مدى ستكون للعبادي سلطة على أنشطة الوحدة وإلى أيّ مدى سيتمتع الأميركيون بحرية التصرف.

ويعتقد هؤلاء أن موافقة العبادي على كل غارة ستكون أمرا مرهقا وستقوض فعالية الوحدة الجديدة.

وذكر مسؤولون أن إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما تعتزم إرسال فريق إلى بغداد في الأسابيع المقبلة للاتفاق على التفاصيل مع حكومة العراق.

وقال مسؤول كبير في الإدارة الأميركية "مع العبادي.. المبدأ الأساسي لنا في هذا الأمر برمته هو أن أيّ شيء نقوم به في العراق سيتم بموافقة وتنسيق كاملين مع الحكومة. لن نقوم بأيّ شيء في العراق من جانب واحد."

ولم يتضح بعد إذا كانت الأسئلة المعلقة ستؤدي إلى تأخير نشر نحو مئة من أفراد قوات العمليات الأميركية الخاصة في العراق والذين قال كارتر إنهم سينفذون مداهمات في سوريا والعراق لتأمين رهائن وجمع معلومات والقبض على قادة تنظيم داعش.

ويريد أوباما أن يقوم بما هو أكثر لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية الذي أعلن مسؤوليته عن هجمات دامية في فرنسا ومصر وغيرهما ويسيطر على مناطق واسعة من سوريا والعراق، لكن الرئيس الأميركي لا يريد أيضا أن يقوض سلطة العبادي حليف واشنطن الذي يواجه تحديات بالفعل من الجماعات الشيعية المسلحة الموالية لطهران.

ويتعرض العبادي لضغوط أميركية متزايدة لكبح جماح هذه الجماعات الأمر الذي أثار غضب الأخيرة التي تحظى بدعم الطائفة الشيعية في العراق والتي كانت العمود الفقري للمعركة ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

وبموجب أحد الخيارات التي تجري دراستها من أجل القوة سيقدم العبادي وحكومته موافقتهم للجنود الأميركيين على تنفيذ مداهمات في مناطق محددة وضد قائمة أهداف متفق عليها مسبقا.

وسيتيح هذا للقوات الأميركية أن تكون أكثر فطنة في التعامل مع معلومات تعتمد على التوقيت. وسيجري إخطار العبادي قبلها على الأرجح أو مع بدء كل مداهمة لكنه لن يمنح موافقته على كل مهمة.

وقال المسؤول الكبير الذي طلب عدم ذكر اسمه نظرا لحساسية الموضوع "هناك سبل لإنجاح هذه الأمور".

وهناك سؤال آخر بشأن ما إذا كانت بغداد ستوضح في الصورة فيما يتعلق بالمداهمات التي تنفذها القوات الأميركية حصريا مع قوات البيشمركة الكردية مع الأخذ في الاعتبار أن الأكراد كثيرا ما يصرون على التحرك بشكل مستقل عن الجيش العراقي.

ويقول مسؤولون أميركيون إن العبادي على الأرجح سيطلع بشكل مسبق على العمليات المهمة مع المقاتلين الأكراد مثلما حدث في عملية إنقاذ تمت في أكتوبر بقضاء الحويجة وتمخضت عن تحرير العشرات من الرهائن من سجن للدولة الإسلامية. لكن العبادي لن يُطلع على المداهمات الروتينية.

وفي بغداد حيث لا تزال ذكريات الاحتلال الأميركي حية في الأذهان هدد مشرعون شيعة باستجواب العبادي في البرلمان بشأن خطط نشر القوة الأميركية بل والتصويت لسحب الثقة منه.

كما أثيرت شكوك العراقيين عندما دعا اثنان من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي وهما الجمهوريان جون ماكين وليندزي جراهام أثناء زيارة لبغداد يوم 29 نوفمبر إلى زيادة مستويات القوات الأميركية بواقع ثلاثة أمثال أي إلى عشرة آلاف وإرسال عدد مماثل إلى سوريا.

وقال سامي العسكري وهو مشرّع في ائتلاف دولة القانون الحاكم إذا توقف الأميركيون عن الإدلاء بهذه التصريحات ونفذوا الأمر مع الحكومة فقد يستطيعون إرسال حتى 500 فرد دون أن يعترض أحد.

وأشار مسؤول أميركي إلى أن واشنطن تدرك أن إعلان كارتر قد يزيد من الصعوبات السياسية التي يواجهها العبادي.

وأضاف أن واشنطن تأمل في أن يساهم تعبيرها عن الاستعداد للتشاور مع العبادي بشأن إرسال القوة في تهدئة المتشددين الشيعة.

وقال وزير الخارجية الأميركي جون كيري يوم الأربعاء "سنواصل العمل عن كثب شديد مع شركائنا العراقيين بشأن من سيرسل تحديدا وأين سيرسلون وطبيعة المهام التي سيقومون بها".

ولد الشيخ في عدن لإقناع هادي ببدء مفاوضات جنيف

□ **عدن (اليمن)** – زار المبعوث الدولي إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ أحمد، السبت، عدن للقاء الرئيس عبدربه منصور هادي، سعيا لعقد مباحثات سلام بين طرفي النزاع في 12 ديسمبر الجاري، بحسب مسؤولين يمنيين.

والتقى ولد الشيخ أحمد الرئيس هادي في عدن التي أعلنها الرئيس اليمني، المدعوم من التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية، عاصمة مؤقتة للبلاد بعد سيطرة المتمردين الحوثيين وحلفائهم على صنعاء في سبتمبر 2014.

وكان هادي عاد الشهر الماضي إلى عدن من مقر إقامته في السعودية التي انتقل اليها في مارس 2015 مع مواصلة الحوثيين وحلفائهم التقدم جنوبا بعد السيطرة على صنعاء.

وقال مسؤول مقرب من الرئاسة "يسعى المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أحمد إلى انتزاع موافقة من الرئيس هادي على إعلان موعد عقد لقاء جنيف يوم الثاني عشر من ديسمبر الجاري".

وأضاف أن هذه المهمة "ستواجه صعوبة كبيرة في ضوء مواقف الانقلابيين السياسية والعسكرية، وأسلوب المماطلة الذي يتبعونه".

وأشارت المصادر المقربة من الرئاسة إلى أن الحوثيين "لم يقدموا دليلا" على استعدادهم لتطبيق قرار مجلس الأمن الرقم 2216، لا سيما لجهة الانسحاب من المناطق التي سيطروا عليها.

وفي سياق متصل، قال وزير الخارجية اليمني عبدالملك المخلافي إن "الانقلابيين لم يقدموا حتى الآن قائمة بأسماء الوفد المفاوض كما هو متفق عليه، ويصعدون من خلال قصفهم المستمر للعديد من الأحياء السكنية"، لا سيما في تعز (جنوب غرب)، ثالث كبرى مدن البلاد التي يحاصرونها منذ أشهر.

وأشار المخلافي إلى أن الحوثيين وحلفاءهم من القوات الموالية للرئيس السابق علي عبدالله صالح، يرفضون حتى الآن "تسليم السلاح والسماح للحكومة بالعودة لممارسة مهامها".

وانتقد الوزير المعين في منصبه هذا الأسبوع، إطلاق الحوثيين محاكمة للرئيس هادي وعدد من معاونيه في صنعاء في الثاني من ديسمبر، بتهمة "المساس باستقلال الجمهورية وسلامة أراضيها" عبر طلب دعم التحالف بقيادة السعودية ضد الحوثيين.

إلى ذلك، اتهم وزير حقوق الإنسان اليمني عزالدين الأصبحي "ميليشيات الحوثي وصالح" بارتكاب "مجازر وحشية" في تعز، وذلك في رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون.

وأشار إلى "سقوط 33 قتيلا وجريحا من المدنيين بينهم أربعة أطفال" بين 28 نوفمبر والثالث من ديسمبر.

وبحسب أرقام الأمم المتحدة، أدى النزاع في اليمن إلى مقتل أكثر من 5700 شخص وجرح قرابة 27 ألفا منذ مارس الماضي، منهم قرابة 2700 قتيل وأكثر من 5300 جريح من المدنيين.

السلطان التركي يستنجد بحليفه القطري للتخفيف من وطأة عقوبات القيصر

□ **أنقرة** – يخيم التوتر المستمر على العلاقات التركية الروسية، في ظل تواتر التصريحات النارية من كلا الجانبين، وآخرها تلويح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان باعتماده على الدوحة كممزود لبلاده بالطاقة بديلا عن موسكو.

وأعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أمس السبت، أن روسيا ليست المصدر الوحيد لتزويد بلاده بالطاقة.

وقال أردوغان في خطاب متلفز "من الممكن إيجاد مصادر أخرى"، في إشارة إلى الحليف القطري.

وروسيا هي مصدر الطاقة الرئيسي لتركيا، إذ تزودها بـ55 في المئة من احتياجاتها من الغاز و30 في المئة من احتياجاتها النفطية. وتستورد تركيا 90.5 في المئة من نفطها، و98.5 في المئة من الغاز الطبيعي.

وتمر العلاقات التركية الروسية بأزمة خطيرة نتيجة إقدام الجيش التركي على إسقاط طائرة عسكرية روسية على الحدود السورية في 24 نوفمبر. وتقول تركيا إن الطائرة انتهكت مجالها الجوي لكن موسكو تنفي ذلك.

وأعلنت موسكو سلسلة من العقوبات الاقتصادية ضد أنقرة تشمل قطاعي السياحة والزراعة وكذلك وقف أعمال اللجنة الاقتصادية المكلفة بالتفاوض على خط توركستريم.

وقال الرئيس التركي السبت إنه لا يوجد حتى الساعة "أيّ دليل" على أن هذه الأعمال الانتقامية قد تؤثر على قطاع الطاقة، لكنه أكد أنه وقع الأسبوع الحالي اتفاقا مع قطر لاستيراد غاز النفط السائل.

> روسيا هي مصدر الطاقة الرئيسي لتركيا، إذ تزودها بـ55 في المئة من احتياجاتها من الغاز و30 في المئة من احتياجاتها النفطية

وفي ما يتعلق بوقف موسكو لمشروع خط أنابيب أنقرة، وصف أردوغان هذا الإعلان بـ"الكذبة"، وقال إن "توركستريم مشروع سبق وألغيناه نحن لأن روسيا لا تلبي احتياجاتنا".

ويرى مراقبون أن تركيا ستتجه إلى قطر لتعويض خسائرها الاقتصادية جراء العقوبات الروسية.

وجاءت زيارة رجب طيب أردوغان إلى الدوحة لمقابلة أمير قطر الشيخ تميم بن حمد لتسلط الضوء على المقاربة التركية للتعامل مع التحركات الروسية.

وتعتبر الدوحة تقريبا الحليف الوحيد لتركيا بالمنطقة العربية، حيث تتشاركان تقريبا نفس الرؤية تجاه قضايا المنطقة، وتتبنيان نهجا يقوم على إيصال ما اصطلح عليه بالإسلام السياسي إلى السلطة في الدول العربية التي شهدت وتشهد اضطرابات.

وفي ظل التوتر الشديد بين روسيا وتركيا والمهدد للتعاون الاقتصادي الكبير بينهما، ستكون قطر وجهة طبيعية لتركيا للتعويض عن خسائرها في روسيا.

وكانت كل من تركيا وقطر، قد اتفقتا منذ أشهر على إنشاء مجلس أعلى للتعاون الاستراتيجي برئاسة رجب طيب أردوغان وأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، لبحث سبل تطوير العلاقات بين البلدين ومتابعة الموضوعات في كافة المجالات.

ورغم اللهجة الحادة التي يبديها رجب طيب أردوغان في مواجهته مع روسيا إلا أنه لا يريد في واقع الأمر استمرار هذا التصعيد الذي سيكلفه الكثير وخاصة اقتصاديا.

ودعا في هذا الإطار وزير الخارجية التركي مولود جاوش أوغلو السبت إلى الحوار مع روسيا للتغلب على التوترات بعد إسقاط المقاتلة الروسية "سوخوي 24".

وقال جاوش أوغلو "بالطبع يوجد خلاف في الرأي بيننا، ولكن علينا أن نواصل الحوار من أجل تضييق الخلافات"، بحسب ما نقلت عنه وكالة أنباء الأناضول الرسمية.

أنقذني إني أغرق

وجاءت تصريحات جاوش أوغلو خلال مأدبة فطور للمواطنين الروس الذين يعيشون في بلدته أنطاليا والتي تعتبر كذلك مقصدا للسياح الروس على ساحل المتوسط.

والتقى وزير الخارجية التركي بنظيره الروسي سيرجي لافروف في بلغراد الخميس في أول لقاء على هذا المستوى بين الجانبين منذ إسقاط الطائرة.

وصرح جاوش أوغلو السبت "لقد عقدت اجتماعا مفيدا جدا مع صديقي سيرجي لافروف (...) وناقشنا جميع القضايا في جو إيجابي".

وحذر الوزير من التصريحات "غير الدقيقة" التي ينشرها الإعلام في روسيا. وقال "يوما ما ستحل المشاكل، ولكن بذور الخلاف التي زرعتموها بين شعبكم يمكن أن تستمر حتى فترة طويلة، ولذلك يجب على الجميع التصرف بمسؤولية".

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

جامعة القاهرة تحصر التطرف في مربع ضيق

جابر نصار: انحراف الفكر لا يقوّم بالأسلوب الأمني

سجّلت زيارة شيخ الأزهر، أحمد الطيب، إلى جامعة القاهرة، بدعوة من رئيسها جابر نصّار، لعقد لقاء مفتوح مع طلاّبها، بضربة واحدة عدة أهداف في مرمى المتطرفين وكلّ من يشكّك في استراتيجية إحدى أعرق الجماعات المصرية لمواجهة ثقافة التطرّف بمختلف أشكالها، والتي لن تستثني، وفق تصريحات رئيسها لـ"العرب"، كل أنواع التطرف: الإسلامي واليساري والليبرالي، بما يساهم في نشر ثقافة تنويرية معتدلة.

شيخ الأزهر من جامعة القاهرة: اللعب صار على المكشوف

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – لم تعد جامعة القاهرة، ذلك المكان العلمي والتربوي الذي يضم خيرة أساتذة وباحثي وطلاب مصر فقط، لكنها أضحت ساحة معارك ضارية مع المتشددين. ففي الآونة الأخيرة واجهت الجامعة هجوما عنيفا من فئات ذي توجهات دينية وسياسية بعينها، على إثر قرارات صدرت عن مجلسها برئاسة جابر نصّار.

ولم يكن سهلا على جامعة، بقيمة جامعة القاهرة ومكانتها التنويرية، أن تقود مبادرة الدخول في معركة مع المتشددين في ارتداء المرأة للنقاب، بعد تردد المؤسسات الدينية بشكل أو بآخر، في حسم هذه القضية. وأصدر مجلس الجامعة قرارا، منذ حوالي شهرين، بمنع ارتداء السيدات من هيئة التدريس للنقاب داخل المحاضرات.

ولم تكد تهدأ أزمة النقاب، حتى دخلت الجامعة معركة أخرى مع السلفيين والإخوان، من الأساتذة والطلاب، حين قرّرت منع الصلاة في ممرات الجامعة وقررت هدم ما يعرف بـ"مصليات" الكليات، وعوضتها بتشييد مسجد يتسع لنحو ألف طالب وطالبة، وحظرت إقامة الشعائر خارج جدران هذا المسجد الذي يقع داخل مقر الجامعة.

ومنحت زيارة شيخ الأزهر أحمد الطيب، إلى جامعة القاهرة، الأسبوع الماضي، أبعادا دينية وسياسية عديدة، حيث اعتبرتها إدارة الجامعة بمثابة دعم لقرار منع ارتداء النقاب وعدم الصلاة في الزوايا والطرقات، وهو

> نشر الثقافة والتحضر والفنون والآداب واحترام الاختلاف في الرأي، أقصر طرق جامعة القاهرة للدخول في مواجهة غير مباشرة مع المتشددين وأصحاب الفكر المتطرف

ما كان ردا قويا على الجماعات المتشددة وطلبتها.

ودفعت خطوة تأييد شيخ الأزهر بعض المنتمين لتيارات سياسية ودينية لشن مزيد من الهجوم على الشيخ والجامعة، واعتبروا أنها بدأت تتحول إلى مؤسسة تستخدمها الدولة كذراع دينية للرد على المتشددين.

تصفية حسابات

جاء اختيار جامعة القاهرة، من جانب هيئة الأمم المتحدة مؤخرا، لتكون مهد إطلاق حملة المساواة بين الجنسين في مصر، ليعزز أفكارها الداعمة للفكر المدني التنويري، كأفضل ردّ على التيارات والآراء المتشددة؛ بما يدعم تصدي الجامعة للأفكار المتطرفة.

ويرى بعض المراقبين أن دخول الجامعة غمار التصدي للمتشددين، سواء في السياسة أو الدين، لم يكن بمحض إرادتها، لكنه فرض عليها، وتحديدا منذ ثورة 30 يونيو 2013، عندما أراد بعض الطلاب المنتسبين إلى تيارات إسلامية، تصفية حساباتهم السياسية داخل جدران الجامعة.

وكان لضعف الدولة في هذه الفترة، أو ما يمكن وصفه بتراجع وسائل فرض سلطتها، دور كبير في أن تجد الجامعة نفسها في مواجهة مع هذه التيارات، لكنها سلكت طريقا مغايرا عن ذلك الذي اتبعته الحكومة للتعامل مع هذه الإشكالية من خلال الحل الأمني، وآثرت الجامعة الحلول العلمية لمواجهة الأفكار المتطرفة.

تلك الحلول، من وجهة نظر بعض المتابعين، كانت عبارة عن تحليل لظاهرة التشدد السياسي والديني في المجتمع بأسره، فضلا عن تحليل انتشار ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب داخل الجامعة، من خلال تفكيك البنية الأساسية لهذه الأفكار، بعيدا عن الحل الأمني.

وكانت ثمرة هذا الاتجاه تعدد الرؤى داخل الجامعة. والأمر لم يقتصر على القضايا المتعلقة بالمتشددين، سياسيا أو دينيا، فهناك تيارات مدنية، يسارية وليبرالية، كان بينها متشددون، وكان لزاما على إدارة الجامعة أن تحتوي كل هؤلاء وفقا لطريقة تفكيرهم، حتى لو كانت لا تتواءم مع توجهات الدولة.

وهذا ما أكد عليه جابر نصّار، رئيس جامعة القاهرة في تصريحات لـ"العرب"، حيث اعتبر أن الأسلوب الأمني في نشر التنوير أو حتى فرض رؤية سياسية أو دينية معينة لإقرار واقع معيّن، لم يعد يجدي نفعا. لذلك، كان اللجوء إلى نشر الثقافة والتحضر والفنون والآداب واحترام الاختلاف في الرأي، أقصر طرق جامعة القاهرة للدخول في مواجهة غير مباشرة مع المتشددين وأصحاب الفكر المتطرف.

والجامعة، من وجهة نظر نصّار، تبدو دولة صغيرة، خاصة أنها تضم 300 ألف طالب وطالبة، و25 ألف عضو هيئة تدريس، إضافة إلى 40 ألف موظف إداري، وكل شخص من هؤلاء يعيش داخل أسرة أو عائلة، ويمكن بسهولة أن ينقل إليها كل هذه الأفكار، ما يساهم في نشر ثقافة جديدة لمحاربة التطرف والتشدد في المجتمع بأسره.

وقال إن كل هذه الوسائل غير التقليدية، بإمكانها أن تحصر التطرف في مربع ضيق، لا سيما أن الجيل الجديد أصبح واسع الاطلاع والثقافة وشديد الاعتزاز بنفسه وأفكاره، سواء أكانت تتواءم مع الدولة من عدمه، لذلك كان الاتجاه لإقامة جسور للتواصل مع طلاب الجامعة، ونقل هذه الجسور بطريقة غير مباشرة إلى خارج الجامعة، من أهم وسائل القضاء على التشدد والتطرف.

في ذات الوقت، كان الأمر يحتاج إلى قرارات صارمة، مثل منع النقاب وغلق زوايا المساجد، لمساندة الفكر التنويري المتحضر، ما يمكن وصفه بأسلوب "السلاسة والصرامة" في آن واحد، أو استخدام كل الأسلحة الخفيفة والثقيلة في هذه المواجهة، لأجل أن يكون نشر التنوير في فترة قصيرة، قبل أن تتشعب الآراء حول القضايا الحيوية، سياسيا أو دينيا أو اجتماعيا.

واعتمدت الجامعة على الأسلحة الخفيفة بشكل أكبر، خاصة عندما لجأت إلى بناء 24 مسرحا بالجامعة والاستعانة بعدد من الفنانين والسينمائيين للغناء والتمثيل داخل الجامعة. وتم استقدام علماء دين مشهود لهم بالنزاهة والمصداقية، للتحاور مع الطلاب في الأمور السياسية والدينية التي يحدث حولها خلاف مجتمعي، أو حتى مناقشة بعض الكتب المتعلقة بالإرهاب والتطرف والتشدد لفكر أو تيار سياسي بعينه، لأجل نشر ثقافة السياسة الوطنية.

استقلال الجامعة

التنوع في الأفكار الذي اتبعته جامعة القاهرة لنشر التنوير ومواجهة التشدد، اعتبره جابر نصار، نتاج استقلالها عن أيّ مؤثرات سياسية، وعدم تلقيها تعليمات من الدولة، بمعنى أنها تبدع ولا تنتظر من يفكر لها، سواء أكان جهات أمنية أو حكومية، ما قد يؤثر على أيّ قرار أو طريقة بعينها، من شأنها أن تأتي بنتائج إيجابية عاجلا أو آجلا.

إلى ذلك، تظل محاولات نشر التنوير واقتلاع جذور الأفكار المتطرفة، في حاجة إلى نزول صاحب القرار إلى أصحاب هذه الأفكار، والتحاور معهم بشكل مباشر، وهذا ما تنتهجه جامعة القاهرة، بحسب ما يذكره الطلاب أنفسهم، بأن عمداء الكليات يخرجون إلى الطلاب باستمرار للتحاور معهم، حتى لو حدث خلاف حاد في الرأي.

وبرغم ذلك، لم تسلم الجامعة بقياداتها، من الانتقادات اللاذعة، وقال جابر نصار لـ"العرب": وصلت إلى حد التشكيك في وطنيتي، ووطنية عمداء الكليات، لكن نحن نعتبر أن النقد إذا كان على قاعدة سياسية، فهذا لا يعنينا في شيء، ونرفض الإيمان بقاعدة إذا لم تكن معي فأنت ضدي.

وأضاف "التمييز والاستقطاب يؤديان إلى التطرف لا محالة، وهذه قاعدة لا غنى عنها لدرء التشدد ونشر التنوير، بمعنى أنه من حق اليساري والمتدين والمثقف وقارئ الروايات والإسلامي والسُنّي، أن يجد له مكانا في الجامعة، ومكانا في المجتمع، وذلك يعني الاحتواء، وكل منهم يجد نفسه".

ومن أشد المخاطر على أيّ دولة أن تمنح للآخرين حقوقهم وفقا لانتماءاتهم الدينية والسياسية، لأن الانتقائية أول طرق التطرف والكراهية تجاه المجتمع، وبالتالي يبقى الحل في مواجهة التشدد هو نشر الثقافة الحضارية.

حل أزمات العراق ليس بيد السياسيين ولا رجال الدين، الإعلام هو الأقدر

يتحدث صحفي كردي عراقي عن تزايد الانقسام بين المسلمين في العراق الذين يريدون التعايش بسلام مع جيرانهم بعيدا عن أفكار المتطرفين الإسلاميين؛ ويرى الصحفي، بموقع "نقاش"، والذي اختار عدم ذكر اسمه، في رصده لهذا الانقسام أن حلّ مواجهته بيد وسائل الإعلام لا الفقهاء المسلمين.

❑ **بغداد** – بعد أحد عشر عاما من العمل كصحفي في هذا البلد، أستطيع أن أرى أن هناك اليوم حربا أيديولوجية في الشرق الأوسط، وهذه الحرب هي ليست بين الغرب والشرق الأوسط، أو بين المسيحية والإسلام، إنها حرب بين المتطرفين الإسلاميين والمسلمين المسالمين الذين يرغبون في الحصول على حياة جيدة بعيدا عن العنف.

أعتقد أن لدى المتطرفين اليد العليا في هذه الحرب الأيديولوجية. وحتى لو لم يكتو كل الشرق الأوسط بنيران هذه الحرب في وقت قريب، فإن الشعب العراقي قد فقد كل أمل تقريبا في تحقيق مستقبل أفضل. لذلك، هناك حاجة ملحّة لإجراء تغييرات من شأنها أن تسمح للمسلمين المسالمين أن ينتصروا في هذه الحرب.

والتغيير الأكثر أهمية وإلحاحا هو إصلاح الإسلام. ومع ذلك أشك في أن يحدث هذا الأمر وأنا على قيد الحياة لأسباب عديدة:

● أولا، يعتقد رجال الدين المسلمين أن دينهم مثالي وأن أيّ محاولة لإصلاحه هي كفر؛ فعلى مدى قرون خلت كانوا يروجون لهذه الفكرة.

● ثانيا، لدى الإسلام مشكلة سلطة. ومن الصعب جدا جلب رجال الدين البارزين للجلوس إلى طاولة واحدة، ناهيك عن جعلهم جميعا يتفقون على اتخاذ قرار واحد.

● ثالثا، يفضّل رجال الدين البقاء في الفضاء المريح لهم ولذلك فهم يعلنون أن المتطرّفين الذين يمارسون العنف ليسوا سوى بضع تفاحات فاسدة سقطت من شجرة الإسلام الضخمة، ولكن تلك الشجرة ما زالت تنتج المزيد والمزيد من العناصر الفاسدة. فإذا ما أنتجت شجرة الكثير من الفاكهة الفاسدة لمدة طويلة من الزمن، فهذا دليل على وجود شيء خاطئ بتلك الشجرة.

● رابعا، رجال الدين الإسلامي الرائدون ليس لديهم الرغبة في إجراء تغيير أو بذل المزيد من الجهد. مثال على ذلك عندما ترسم صحيفة ما رسما كاريكاتوريا للنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، أرى غالبية رجال الدين يدعون إلى المظاهرات ويدينون الصحيفة التي تنشر هذه الرسومات. ولكنني لم أر أيّ رجل دين سنّي ينظم مظاهرة لإدانة الجماعة المتطرفة التي تعرف باسم تنظيم الدولة الإسلامية لقتلها للإيزيديين ولسبيها لنسائهم أو لقتلها الناس الأبرياء من الشيعة، ولم أر حتى الآن أيّ رجل دين شيعي ينظم أيّ مظاهرات للاحتجاج على قتل المدنيين الأبرياء السنّة من قبل الميليشيات الشيعية.

ولكنني لا أعتقد أننا بحاجة إلى الانتظار عقودا ليبدأ رجال الدين الإسلامي بالعمل، بدلا من ذلك لديّ إيمان أن بإمكان وسائل الإعلام العراقية أن تلعب دورا في تثقيف الجماهير، فمن الصعب جدا تغيير وسائل الإعلام في الشرق الأوسط لأن معظمها ممول إما من الدول أو من الأحزاب السياسية، ولكن بإمكان الإعلام اليوم في الشرق الأوسط وفي العراق، أن يكون في بعض الحالات، أقوى من رجال الفقه الإسلامي.

يستخدم الفقهاء المسلمون وسائل الإعلام ولكن في الواقع يمكن لوسائل الإعلام حشرهم في الزاوية، وإجبارهم على مناقشة المشاكل الموجودة في الإسلام، وإجبارهم على الاعتراف بأن هناك مشكلة ويجب على وسائل الإعلام العراقية عدم تجنب موضوع الإصلاح الإسلامي. إذا لم يفعلوا ذلك سيكونون جميعهم وسيكون جمهورهم أيضا من ضحايا المتطرفين.

للأسف، تنشر وسائل الإعلام الكثير من المعلومات التي تشجع على العنف، فقط من أجل أن تحصل على المزيد من الإعجاب على صفحات الفيسبوك أو من أجل الحصول على المزيد من التعليقات. ويروّج العديد من الصحفيين المحليين بسذاجة لوحشية تنظيم الدولة الإسلامية وهم لا يدركون أنهم بقيامهم بذلك يسممون مجتمعهم.

ويجب على وسائل الاعلام المحلية أن تتحقق من نوعية المعلومات التي تقدمها لجمهورها وأن تتأكد من أن هذه المعلومات لا تغذي الانتهاكات وتشجع على ارتكابها. فعلى سبيل المثال نشرت واحدة من وسائل الإعلام الكردية العراقية مقالا على الإنترنت قالت فيه إن أسبانيا اهتزت بأربع انفجارات بعد الهجوم الذي وقع في باريس. أصبت بالصدمة وعندما فتحت المقال وقرأته أدركت أنه يتحدث عن مباراة لكرة القدم بين فريقي برشلونة وريال مدريد، حيث فاز فريق برشلونة بأربعة أهداف مقابل لا شيء لفريق ريال مدريد. هذا هو مثال لعدم الاكتراث الذي أتحدث عنه.

ويجب على الإعلام أيضا أن يركز أكثر على ضحايا الجماعات المتطرفة بدلا من التركيز على الجماعات المتطرفة نفسها. فالضحايا ليسوا مجرد أرقام، إنهم بشر ولهم محبّوهم، لذلك يجب على الإعلام أن يروي قصصهم. وعلى وسائل الإعلام المحلية أيضا أن تركز أكثر بكثير على الفقهاء المسلمين الذين يدعون إلى السلام والتعايش وأن تتجاهل أولئك الذين يدعون إلى العنف والكراهية. أريد أن أشدد مرة أخرى على ما يلي: إن وسائل الإعلام في العراق أقوى من الفقهاء المسلمين. فإذا ما وضعت وسائل الإعلام هذه فكرة الإصلاح الإسلامي في جداول أعمالها سيكون الجميع منتصرا.

حال العراق لن ينصلح إلا بصلاح حال الإسلام

الجماهير المحلية تريد أن تتحدث حول هذا الموضوع، سواء اتفقت أم اختلفت معه

ومثل هذا الحديث سيفيد المجتمع الذي يعاني بالفعل كثيرا من التطرف الديني ومن النزعة الطائفية. علينا أن ننسى السياسيين العراقيين والزعماء الدينيين في العراق عند التفكير في حلّ المشكلات الناجمة عن التطرف، وعلينا أن نضع ثقتنا في وسائل الإعلام العراقية فهي أملنا الأخير.

إيران في العراق.. بداية الشرق الأوسط الجديد

خيرالله خيرالله

❑ مرّ اختراق عشرات آلاف الإيرانيين الحدود العراقية المعترف بها دوليا، بحجة المجيء إلى كربلاء في ذكرى أربعين الحسين، مرور الكرام. مثل هذا الحادث، أي وجود إيران في العراق، كان يتسبب بحروب في الماضي، لكنه صار أمرا عاديا تمكن معالجته بتصريح من هنا وموقف مزايد من هناك، من دون أيّ فعل على الأرض.

بعد أيام، جاء الإعلان المفاجئ عن الوجود التركي إلى الموصل، والذي يبدو أنّه قديم بموجب اتفاق بين الدولتين، ليؤكد أن العراق مستباح وأنّ كل ما تستطيع الحكومة العراقية عمله هو الاحتجاج وذلك لإثبات أنّها موجودة. المؤسف أن الاحتجاج على الوجود التركي، جاء لتبرير الوجود الطاغي لإيران والتغطية عليه. كذلك، يمكن أن يندرج في سياق التدهور في العلاقات بين تركيا من جهة وإيران وروسيا من جهة أخرى بسبب سوريا وإسقاط تركيا للقاذفة الروسية.

في ما يخص الوجود الإيراني العسكري والمدني، احتج العراق رسميا، لكن الاحتجاج لم يترافق مع أيّ إجراءات ذات طابع جدّي من أي نوع. لن تكون للاحتجاج أيّ متابعة، نظرا إلى أنّ طابعه شكلي، بل من باب رفع العتب لا أكثر. يكشف ذلك هشاشة السيادة العراقية وسقوط الحدود بين العراق وإيران في ضوء الغزو الأميركي لهذا البلد العربي، سابقا، وتسليمه على صحن من فضّة إلى ايران.

سقط العراق وسقطت معه منطقة المشرق العربي، من دون أن يعني ذلك أنّ نظام صدّام حسين كان يجب أن يبقى وأنّه كان ضمانة للعراق والعراقيين ولمنظومة الأمن العربية، خصوصا بعد احتلاله الكويت في العام 1990.

حطم إيرانيون منفذ زرباطية بين العراق وإيران في محافظة واسط. دخل عشرات آلاف الإيرانيين الأراضي العراقية من دون تأشيرة أو إذن. حصل ذلك عن سابق تصوّر وتصميم في منطقة يزداد فيها يوما بعد يوم عمق الشرخ المذهبي واتساعه. أرادت إيران بكلّ بساطة توجيه رسالة، إلى كلّ من يعنيه الأمر، بما في ذلك العراقيين أنفسهم. مضمون الرسالة أنّها لم تعد تعترف بالحدود الدولية للعراق، كدولة ذات سيادة. صار الرابط المذهبي فوق الحدود المعترف بها دوليا.

> يعطي تجاوز الحدود العراقية الإيرانية بالطريقة التي حصلت بها، ثم الدخول التركي الحديث نسبيا، فكرة عن الشرق الأوسط الجديد الذي بدأ يتبلور في العام 2003

ما بدأ في العراق كان الفصل الأوّل من مسلسل نشهد في كل يوم فصلا جديدا منه. عنوان المسلسل حلول الرابط المذهبي مكان السيادة الوطنية. صار هذا الرابط أهمّ بكثير من أيّ حدود، معترف بها، بين دولة عربية وأخرى. تفوّق المذهب على الحدود.

لذلك، لم يعد مستغربا أن يدخل إيرانيون إلى العراق، بحجة إحياء أربعين الحسين، أو أيّ مناسبة دينية أو تاريخية أخرى من دون كلفة أو تأشيرة. الأرض أرضهم والبيوت بيوتهم وذلك منذ حصول الاتفاق الأميركي - الإيراني على خوض حرب العراق معا.

لم يكن لدى الإدارة الأميركية أيّ حليف إقليمي حقيقي في حربها على العراق سوى إيران. في مقابل تعاون إيران، قدّمت إدارة جورج بوش الابن كل التنازلات المطلوبة. شملت هذه التنازلات تلبية طلب يدعو إلى الإقرار بوجود "أكثرية شيعية في العراق".

وردت هذه العبارة في البيان الختامي لمؤتمر لندن الذي عقدته المعارضة العراقية في كانون الأوّل - ديسمبر من العام 2002، أي قبل أربعة أشهر من بدء العملية العسكرية الأميركية. كان في الإمكان الكلام عن أكثرية عربية في العراق، في حال أخذنا في الاعتبار الشيعة العرب والسنّة العرب معا. لماذا كان ذلك الإصرار على عبارة "الأكثرية الشيعية" والإصرار على التمييز بين القوميات والمذاهب؟

في كلّ الأحوال، وضعت إدارة بوش الابن حجر الزاوية للشرق الأوسط الجديد، انطلاقا من العراق، بالتفاهم مع إيران. قبضت إيران سلفا ثمن دفعها لبعض الأحزاب والتنظيمات الشيعية الموالية لها مثل "المجلس الأعلى للثورة الإسلامية" إلى المشاركة في مؤتمر لندن وتوفير غطاء للاجتياح الأميركي الذي توّج بحدثين جاءا بعد إسقاط النظام الذي كان على رأسه صدّام حسين.

تمثل الحدث الأول بتشكيل مجلس الحكم الانتقالي الذي كرّس تهميش السنّة العرب، والآخر حل الجيش العراقي، بما وفّر لاحقا حاضنة لـ"داعش" وكلّ الحركات الإرهابية التي مهدت لصعود هذا التنظيم الإرهابي وتمدّده في كلّ الاتجاهات. حصل ذلك بتشجيع من النظام السوري أوّلا وبسبب وجود الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران، تلك الميليشيات التي أخذت مكان الجيش العراقي ذي التاريخ الطويل والتقاليد العريقة.

يعطي تجاوز الحدود العراقية - الإيرانية بالطريقة التي حصلت بها، ثمّ الدخول التركي الحديث نسبيا، فكرة عن الشرق الأوسط الجديد الذي بدأ يتبلور في العام 2003. لم يعد غريبا بعد ذلك أن يربط "داعش" بين الأراضي السورية والأراضي العراقية التي فيها السنّة العرب وصولا إلى الموصل المدينة التي يبلغ عدد سكانها نحو المليونين.

كذلك، لم يعد غريبا أن يتورّط "حزب الله" بصفة كونه ميليشيا مذهبية لبنانية تابعة لإيران في الحرب على الشعب السوري تحت شعارات تتحدّث عن حماية مزار الستّ زينب في ضواحي دمشق وقرى شيعية في الداخل السوري. عمليا، كان "حزب الله" يلبي طلبا إيرانيا يستهدف نجدة النظام السوري من منطلق أنّه نظام أقلّوي لا أكثر.

ما نشهده حاليا أكثر من طبيعي في ضوء انهيار الحدود بين العراق وإيران نتيجة المغامرة التي أقدم عليها جورج بوش الابن الذي لم يكن يدرك النتائج التي ستترتب على مثل هذه المغامرة المجنونة.

من المفيد في مثل هذه الأيّام العودة إلى كلام صدر عن الرئيس الفرنسي الراحل فرنسوا ميتران في تبريره لدعم العراق عسكريا في مطلع ثمانينات القرن الماضي. وقتذاك، بدأت كفة الحرب تميل لمصلحة إيران، فما كان من ميتران إلّا أن وافق على "تأجير" العراق ست طائرات "سوبر أتندار" لم تكن البحرية الفرنسية تمتلك غيرها وتزويده بصواريخ "إكزوسيت" وذلك من أجل ضرب الموانئ الإيرانية في الخليج.

قال الرئيس الفرنسي الراحل، الذي لم يكن مغرما بصدّام حسين بأيّ شكل، إن المسألة تتجاوز الحدود القائمة بين بلدين. شدّد على ضرورة المحافظة على هذه الحدود التي عمرها مئات السنين، نظرا إلى أنّها "حدود بين حضارتين عظيمتين".

شدّد أيضا على أن المحافظة على هذه الحدود يعني المحافظة على التوازن الإقليمي. انتهت الحرب العراقية - الإيرانية التي استمرّت ثماني سنوات بالمحافظة على التوازن الإقليمي. كان ذلك في العام 1988.

كلّ ما يمكن قوله الآن إن هذا التوازن انهار في ضوء وضع إيران يدها على العراق بدعم أميركي.

لم يكن الحدث العراقي مجرّد تغيير لنظام كان يجب تغييره ولكن في ظروف مختلفة وأخذ في الاعتبار للمشروع التوسّعي الإيراني الذي يستثمر في الغرائز المذهبية. ترك هذا الحدث انعكاساته على كلّ المنطقة، خصوصا في سوريا التي صارت أرضا مستباحة بعدما رفض النظام فيها الانصياع للإرادة الشعبية وفضّل الدخول بدوره في الحرب المذهبية الدائرة في الإقليم. ما زلنا في بداية حال المخاض التي يمرّ فيها الشرق الأوسط. المشهد الذي شاهدناه عند إحدى نقاط الحدود بين العراق وإيران والذي تلاه الوجود العسكري التركي في الموصل الذي لا يبدو أنّه جديد، مشهد تكرّر وسيتكرّر. إنّه حقا الشرق الأوسط الجديد الذي نرى فيه تنسيقا روسيا - إسرائيليا في سوريا مع تغاض إيراني تام عن ذلك وتجاهل له.

عش دهرا ترى عجبا.

* إعلامي لبناني

«يا لثارات الحسين».. بلاء العراق

> ما نشهده حاليا أكثر من طبيعي في ضوء انهيار الحدود بين العراق وإيران نتيجة المغامرة التي أقدم عليها جورج بوش الابن الذي لم يكن يدرك النتائج التي ستترتب على مثل هذه المغامرة المجنونة

مسارات جديدة في الخليج العربي

سالم الكتبي

❑ صدرت في الآونة الأخيرة تقارير ودراسات عديدة حول التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية لدول الخليج العربي. وأحدث هذه التقييمات ما ورد في التقرير السنوي لجهاز المخابرات الألمانية، الذي حذر مما وصفه بـ"جنوح" السياسة الخارجية السعودية إلى "الاندفاع".

هذه التقارير تنطلق من حقائق ومعطيات واقعية، وإن كانت تصل إلى استنتاجات غير واقعية، فالسعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة تحديدا تدركان ما يحيط بالمنطقة من أخطار وتحديات استراتيجية بالغة الخطورة. لذا فقد بدأت الدولتان في الإمساك بزمام المبادرة إقليميا سعيا وراء بناء حائط صد عربي قوي ضد الهجمة التوسعية الشرسة للمشروعات التي تريد بعض القوى الإقليمية فرضها وإجبار الجميع على التسليم بها والتعامل معها كأمر واقع.

منذ أن تباهي القادة والمسؤولون الايرانيون باحتلال أربع عواصم عربية لم يكن هناك بديل أمام أيّ عاقل سوى التدخل المباشر من أجل وقف هذا الزحف الطائفي الإيراني، لا سيما بعد أن بدأت طهران إحكام طوق الحصار الطائفي على دول مجلس التعاون عبر وكلائها في العراق وسوريا من الشمال وعبر الوكيل الحوثي في اليمن جنوبا.

ما تصفه التقارير الغربية بالاندفاع هو عبارة عن إعادة رسم السياسة الخارجية لبعض دول مجلس التعاون والتخلي عن الحذر والتردد والمعالجات الهادئة للأزمات إلى تبني استراتيجية جديدة تعتمد الدفاع الوقائي منهجا على الصعيدين السياسي والعسكري، وهذه الاستراتيجية نابعة من رؤية واعية لخارطة المصالح وشبكات التحالفات التي تتشكل في منطقة الشرق الأوسط، كما أنها استراتيجية مرنة تتسم بقدر عال من الديناميكية والتفاعل مع الأحداث والمتغيرات السائدة إقليميا ودوليا.

هذا التحول في السياسات والاستراتيجيات لا يعبّر عن توجهات جديدة، ولا يعكس تخليا عن المبادئ والثوابت وأنماط العلاقات التي تحتفظ بها السعودية أو الإمارات أو غيرهما من دول مجلس التعاون، ولكنه يعد بالأساس استجابة لمتغيرات طرأت في مواقف القوى الكبرى وسياساتها حيال الإقليم؛ فلم يكن من المنطقي أن تظل سياسات دول مجلس التعاون على حالها عقب بروز متغير الاتفاق النووي الإيراني، الذي يعد الانعطافة الأهم في مسار العلاقات الإيرانية - الأميركية منذ قيام ثورة الخميني عام 1979، كما أنه لم يكن منطقيا أيضا الصمت على انقلاب جماعة طائفية موالية لإيران على الشرعية الدستورية في اليمن الشقيق، بما له من خصوصية وأهمية استراتيجية وما يجمعه بدول مجلس التعاون من علاقات تاريخية وصلات قربى وأواصر دم.

المسألة إذن لا علاقة لها بالاندفاع بل بالمبادرة الإيجابية ضمن استراتيجية دفاع وقائي محسوبة، وتوظيف موارد القوة الشاملة التي تتمتع بها دول مجلس التعاون في الحفاظ على مكتسبات ومقدرات ومصالح شعوبها بعد أن أيقنت هذه الدول أن الأمور تمضي إلى "صفقات" استراتيجية كبرى لتقاسم المصالح والنفوذ بين القوى الإقليمية ونظيرتها الدولية، وأن الصمت على ما يجري من حولنا سيكون بالغ التكلفة وينطوي على خسائر استراتيجية فادحة ويصعب تحمّلها.

> ما تصفه التقارير الغربية بالاندفاع هو عبارة عن إعادة رسم السياسة الخارجية لبعض دول مجلس التعاون والتخلي عن الحذر والتردد والمعالجات الهادئة للأزمات

ولا شك أن لهذه الاستراتيجية الخليجية الاستباقية الجديدة تكلفة، ولكل خطط ومبادرات حسابات تكلفة استراتيجية بطبيعة الحال، ومن يزعم بأن السياسات الجديدة لدول التعاون تعود بالضرر على الاقتصادات الوطنية، لا سيما في ظل تراجع المداخيل النفطية، ينظر من زاوية ضيقة بل لا يرى أبعد من تحت قدميه، فلو أن هذه الدول ظلت صامتة لأشهر أخرى على ما يجري من حولها لكانت التكلفة أفدح والخسائر التي تتحملها الاقتصادات على المدى البعيد أصعب وأخطر.

العبرة الحقيقية بأن دول مجلس التعاون، وفي مقدمتها السعودية والإمارات لا تطبق استراتيجيات هجومية، بل هي استراتيجيات دفاع وقائي عن مصالح هذه الدول ومن ثمة صون وحماية الأمن القومي العربي والخليجي. ولو افترضنا أن السعودية والإمارات قد التزمتا الصمت على ما يحدث للشعبين اليمني والسوري على يد جماعة الحوثي وميليشيات صالح وقوات الأسد وتنظيمات الإرهاب، فهل ينصف التاريخ قادة هاتين الدولتين وقد وقفا يتابعان ما يدور من حولهما دون أن يتحركا قيد أنملة للدفاع عن هذه الشعوب الشقيقة!

لا ينبغي أن ينسى أحد أن دول مجلس التعاون تسعى من أجل تحقيق الأمن والاستقرار في اليمن منذ أحداث عام 2011 عبر المبادرة الخليجية، التي اعتمدت انتقالا سياسيا هادئا للسلطة وحافظت على الدولة من الانهيار كما حدث في دول عربية أخرى وقتذاك، ولكن طهران كان لها رأي آخر، وسعت إلى استنساخ الفوضى التي أنتجها وكلاؤها في العراق وسوريا في اليمن الشقيق، وتباهى مسؤولوها بما يفعلون علنا وأمام وسائل الإعلام العالمية وفي مناسبات مختلفة.

أدرك تماما أن العواصم الغربية قد بدأت تشعر بقدر من القلق والتوجس حيال سياسات المبادأة والمبادرة التي باتت تنتهجها بعض دول مجلس التعاون حفاظا على مصالحها، وربما ترى فيها نوعا من السلوك غير المعتاد في هذه المنطقة من العالم، ولكن ما يدركه الجميع بالفعل أن هذه السياسات هي بالأساس ردة فعل منطقية وطبيعية تستهدف حماية مصالح الشعوب الخليجية.

الشرق الأوسط بشكل عام يمر بلحظة تاريخية ولم يكن من الحصافة والحكمة أن تتمسك دول مجلس التعاون بالسياسات القديمة المعتادة، فهي سياسات كانت من إنتاج ظروف ومتغيرات معينة وكان لها إيجابيّاتها في تلك الظروف، ولكن تغير الواقع يملي ضرورة إحداث تحول في الاستراتيجيات والمواقف بما يتناسب مع معطيات المرحلة الراهنة ويحافظ على مصالح هذه الدول.

* كاتب إماراتي

هل يعتذر الإسلاميون عن دورهم في التمكين للإرهاب

مختار الدبابي

❑ يتبرأ الإسلاميون في تونس من أيّ صلة لهم بما يجري من عمليات إرهابية رغم كل الاتهامات التي توجّه إليهم، ويميلون إلى التفسير السّهل الذي قد ينقل الكرة إلى ملعب غير ملعبهم، خاصة الاتكاء على اتهام الدولة العميقة التي صارت بمثابة المشجب الذي يعلق عليه الجميع فشل سياق ما بعد الثورة.

ولا تنفك أوساط الإسلاميين في تونس، بمن فيهم نشطاء مقربون من حركة النهضة، تردد أن العمليات الإرهابية التي يجري تنفيذها هي عمليات موجهة من داخل المنظومة القديمة التي تحكم البلاد من الخمسينات، وأن لوبيات مالية وأمنية تستعمل الإرهاب لفرض نفسها ودعم نفوذ ارتباطاتها الخارجية.

ويعكس هذا التفسير التآمري بالدرجة الأولى تنصلا من أيّ مسؤولية تجاه ما يجري في البلاد من فوضى وعنف، تنصل من تجربة حكم استمرت سنتين ومثلت فرصة نادرة للمجموعات المتشددة للاستقطاب وإقامة معسكرات التدريب وتوفير السلاح، فيما كان قادة من النهضة يأملون باستيعاب هذه المجموعات وتحويلها إلى ورقة ضغط لإثبات اعتدالهم ومدنيتهم، فضلا عن استثمارها كقاعدة انتخابية عريضة.

لم يكن قادة النهضة يتخوفون من السلفيين الذين بدأوا وقتها حملات استهداف وجوه مدنية وتكفير المبدعين، كان ثمة أمل في أن ينجح "المشترك الإسلامي" في ترويض السلفيين، لكن الأمل تلاشى بدءا من الهجوم على السفارة الأميركية يوم 14 سبتمبر 2012 تحت حكم النهضة.

ومثلت حركة النهضة، ذات الهوية الإخوانية، لأكثر من 40 عاما فضاء جامعا لأجيال متناقضة، بينهم فئات تميل إلى تونسة الحركة وتخفيف غلوها، وكثير من المغادرين الغاضبين على غموض هويتها الدينية ولعبها على الحبال.

وما جمع بينهم أنهم تربوا داخلها لسنوات على أن الإسلام يجب أن يسود، وأن الأنظمة التي لا تحكم بما أنزل الله أنظمة كافرة وجب قتالها، وأن "الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا".

وهي الشعارات التي استمر بحملها الغاضبون من تذبذب مواقف الإخوان تجاه تنفيذ شعاراتهم الأولى بحد السيف. والمفروض هنا أن تعلن حركة النهضة ومختلف الجماعات المتفرعة عن الإخوان (ولو فكريا) اعتذارها عن الدور الذي لعبته أدبياتها في نشوء أجيال تؤمن بحاكمية الإسلام وبالجهاد وتحكيم الشريعة ولو بالقوة.

ستقول الحركة إنها تجاوزت هذا الخطاب، وإنها تبرأت منه، لكن لا يمكنها أن تنفي أن لها مسؤولية تربوية وأخلاقية في نشوء التيار المتشدد، وأحد أسبابه صدمة مئات الشباب الناجمة عن تراجعها عن أدبياتها وتبرّئها من مبدأ تحكيم الشريعة وفرضه في الدستور مصدرا للتشريع.

ولا يعلم المرء كيف يمكن أن تتجاوز الحركات الإسلامية خطابها ومرجعيتها بيسر دون مراجعات مدونة وظاهرة للعيان تتبرأ من العنف كثقافة، وتولي تأصيل خطاب التسامح والتناقض مع داعش والقاعدة تأصيلا مرجعيا لا تحكمه التقية ولا الرغبة في طمأنة أيّ جهة واسترضائها.

وإذا كان الإخوان قد تخلوا عن هذا الطريق لاعتبارات تكتيكية أو براغماتية، فإن الأجيال التي تربت داخل الجماعة (بفروعها المختلفة) أو على هامشها مرددة مقولات سيد قطب أو أبو الأعلى المودودي أو سعيد حوى لم تتراجع عن الحلم القديم.

ولم يغير التيار الجهادي جوهر فكره الإخواني، لكن طور أساليبه لفرض هذا الفكر بقوة السلاح، واستبدل التقية الإخوانية للوصول إلى التمكين في الأرض بخطاب يتبنى العنف في أكثر وجوهه دموية وفق مدونة "إدارة التوحش" لأبي بكر ناجي التي تمثل النص المرجعي لتنظيم داعش.

هل يمكن أن يعتذر الإسلاميون في تونس أو في مصر أو في أيّ مكان آخر عن هذا التراث الذي يؤسس للعنف وسيلة وحيدة للتمكين؟

الإسلاميون يسوّقون أنفسهم للعالم أنهم دعاة للسلمية ويتبنون الديمقراطية الغربية بحذافيرها ولم يعودوا يبحثون عن المشترك بينها وبين الشورى في سعيهم القديم للجمع بين المتناقضات المعرفية، لكنهم يعجزون عن الاعتذار عن تراث العنف الذي تربوا فيه وساعدوا على انتشاره بحماسة، والذي هو أحد أسباب انتشار الكراهية ضد الإسلام لدى الغرب الذي يغازلونه للقبول بهم في لعبة تغيير الأنظمة التابعة.

ويحتاج الاعتذار إلى شجاعة فكرية وسياسية لا تتوفر لدى الإسلاميين، على الأقل حاليا، الذين ما زالوا يؤمنون في قرارة أنفسهم أنهم يحملون رسالة ربانية، ولا يمكنهم أن يعتذروا عنها ولو من باب التقية لأن ذلك يؤدي بهم إلى فقد صفة الربانية التي تعني تنزيه الجماعة وأفعالها واعتبارها الفرقة الناجية ولا شك أن التنازل عن الربانية يعني التنازل لداعش عن قيادة العالم، وأن هامش المناورة لدى الإخوان "المعتدلين" لا تسمح لهم بتنازلات تمس الأسس والهوية التي جعلت من التنظيم تنظيما دوليا مترامي الأطراف، وهي الحاكمية التي يرفعها داعش في العلن ويتمسك بها "المعتدلون" في السر ويعملون على التمكين لها.

لكن الإسلاميين لا يمكنهم أن يتنازلوا عن احتكار صفة الربانية لأن الأمر يعني ببساطة أن ينزعوا عنهم الرداء الذي يجعلهم التيار الأوسع انتشارا في المنطقة، ما يقود إلى فقدانهم الشرعية الدينية التي أوصلتهم إلى البرلمانات، وجعلتهم يمتلكون امبراطورية مالية كبرى، وسيعني تخلي الناس البسطاء عنهم إذا تخلوا عن شعار "الإسلام هو الحل".

وهذا المآل لمسه المشرفون على حركة النهضة في انتخابات 25 أكتوبر 2014، ذلك أن من أسباب تراجع تمثيلهم في البرلمان انفضاض الكثير من المتدينين من حولهم وخاصة منتسبي أنصار الشريعة (الذي يرفع الآن السلاح في وجه الدولة) وتيار السلفية الواسع، بعد قرار النهضة بالتخلي عن المطالبة بفرض مبدأ تطبيق الشريعة في الدستور.

وتشهد الحركة تململا واسعا لدى جمهورها بعد النأي بنفسها عن عزل وزير الشؤون الدينية عثمان البطيخ لعدد كبير من الأئمة المحسوبين عليها، وهو ما سيزيد من حدة الانسحابات بسبب غموض الصفة الدينية للحركة وفق ما صاغتها أدبياتها منذ أن كانت تحمل اسم الجماعة الإسلامية (على الطريقة الباكستانية) ثم لاحقا الاتجاه الإسلامي وخاصة وثيقة الرؤية الفكرية، وهي الوثيقة التي تتبنى فيها المنهج الأصولي السلفي، ولم تحدث عليها أيّ مراجعة إلى الآن.

وليس هناك شك في أن الاستمرار بمناورة الحزب المدني التي لجأت إليها حركة النهضة في مواجهة ما تسميه عادة بـ"إكراهات الواقع" سيقودها إلى خسارة المزيد من الجمهور الذي ناصرها باعتبارها حركة دينية ترفع شعار تطبيق تعاليم الإسلام حال وصولها إلى السلطة.

إن اعتذار أيّ تنظيم عن المسؤولية الاعتبارية للحركات الإخوانية عن العمليات الإرهابية، التي يذهب ضحيتها الآلاف من الأبرياء، سيضعه على طريق سوي يقود إلى مصالحة الدين مع الواقع وبناء تجربة إسلامية متحررة من خطاب يسرق حاكمية الله في الخلق والوجود ويحوّلها إلى حاكمية بيد التيارات الإسلامية تجريها على هواها وفق ارتباطاتها الإقليمية والدولية.

لا يمكن أن تبقى بيانات التبرؤ من الإرهاب مجرد مخرج من الأزمات، بل لا بد أن تتحول إلى ثقافة مؤصلة شرعيا، وأن تتحول التصريحات والمقالات التي تكتب وتنشر في صحف أوروبية أو أميركية بغاية طمأنة الغرب إلى مدونة شاملة يتم الاشتغال عليها بعمق لتحدث القطيعة اللازمة مع المدونة الإخوانية باعتبارها الأرضية الفكرية التي تربى فيها التيار الجهادي ومر إلى تنفيذها بوسائل أكثر رعبا.

* كاتب وصحفي من تونس

تونس الخضراء وشحوها بالسواد

> لم يغير التيار الجهادي جوهر فكره الإخواني، لكنه طور أساليبه لفرض هذا الفكر بقوة السلاح بدل التقية

الإخوان يتغزلون بالسلاطين العثمانيين ويركبون موجة معاداة الشيعة

❑ **اسطنبول** – في قمّة الأزمة التركية على خلفية التطورات الإقليمية والتصدّعات الداخلية، انعقد في العاصمة التاريخية إسطنبول، وعلى مرمى حجر من مقام الباب العالي، الذي ظل سلاطينه لقرون يقودون البلاد العربية ومعظم العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة العثمانية، المؤتمر العلمي العالمي حول البلاد العربية في العهد العثماني.

المؤتمر كان "كبيرا" في دلالاته الاستراتيجية والزمنية وأبعاده السياسية ورسائله المشفرة، التي حملها الهجوم الذي شنّه الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، محي الدين القره داغي، في كلمته في المؤتمر، على الشيعة الصفويين مقابل تبييض صورة السنة العثمانيين.

وعكست كلمة القره داغي صورة مزدوجة، جانب منها يتعلّق بالعلاقة بين الإخوان المسلمين والعثمانيين الجدد، الذين يقودهم الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان، ومن الجانب الآخر كشفت عن أن تركيا تسعى لتقديم نفسها كبديل سنّي ترضى عنه الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية.

وكلا الصورتين لا تنفصلان عن التطورات في المنطقة، وتطوّر الأحداث في سوريا والعراق، والحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، حيث يقول مراقبون إن ملامح الخسارة التي تتكبّدها تركيا في معركتها مع روسيا، جعلتها تحول دفة الصراع من سياسي واقتصادي إلى عقائدي وتاريخي.

ولم تجد أفضل من ذراعها اليمنى، الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، ليضفي الشرعية الدينية والتاريخية على تواجد تركيا في المنطقة وبما يغطّي على الفوضى التي تسبّبت فيها خلال السنوات الأخيرة.

وبركوب موجة العداء للشيعة يضرب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عصفورين بحجر واحد؛ يلبي مطلب تركيا من جهة ويضمن مصالحه من جهة أخرى؛ بالإضافة إلى فائدة ثالثة وهي الترويج لنفسه أيضا كممثل عن الإسلام السني في مواجهة المد الشيعي الإيراني؛ فالاتحاد قرر أن يضبط سياسته لخدمة أجندة معينة في المنطقة، ويخضع أسلوب تعامله مع أحداثها وفقا لسياسة داعميه ومصالحه.

وزعم القره داغي في كلمته، التي حملت عنوان "البلاد العربية في العهد العثماني، ودور العثمانيين في البلاد العربية"، أن "العثمانيين لم يتجهوا نحو العالم العربي إلا بعد أن تهدد باحتلاله من قبل الصفويين الرافضة ونحوهم، فكان مبدأ الحماية هو هدف دخولهم تلك البلاد، وكذلك لحماية المقدسات في مكة والمدينة والقدس الشريف".

واعتبر خبراء أن ما جاء في كلمة القره داغي وأيضا مختلف المداخلات والدراسات التي قدّمها المشاركون في المؤتمر، الذي بدأ يوم 4 ديسمبر وينتهي اليوم 6 ديسمبر، تؤكّد أن العثمانيين الجدد يبحثون عن مدخل لإعادة الحوار الاستراتيجي التركي العربي.

وقد كان من أهم عناوين المؤتمر: فلسطين والقدس وشبه الجزيرة العربية والخليج، وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد العرب في العهد العثماني اجتماعيا وثقافيا، إضافة إلى الحديث عن الأوقاف في العالم العربي خلال ذات العصر، ومواضيع مختلفة أخرى، كلّها تسوق بين سطورها، أن لتركيا والعرب، ماض مشترك، ولما لا مستقبل مشترك ايضا.

ولم يكن مفاجئا أن يعدّد نائب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أهم المنجزات العثمانية في العالم العربي، وهو الذي صادق قبل يومين من انطلاق المؤتمر، على فتوى تفرض دعم تركيا في أزمتها مع روسيا.

وبالتالي لن يكون من الغريب أن يشدّد على أن "الدولة العثمانية، كانت الحصن الحصين للسنة، ومنعت الزحف الأوروبي على المنطقة، ومنعت اليهود من استيطان سيناء، والهجرة لفلسطين".

ولم يحد عن الفكرة عدنان دميرجان، وهو أستاذ في كلية الشريعة بجامعة إسطنبول، الذي قال بدوره إن "إسطنبول أخت كل العواصم العربية"، معربا عن رغبته بتأسيس علاقات جيدة مع الدول العربية، والإسلامية.

ودعا مرتضى بدر، عميد كلية الشريعة بجامعة إسطنبول، إلى إعادة كتابة التاريخ المعاصر للحجاز؛ فما هو موجود إلى حد الآن، على حد تعبيره، "مكتوب من وجهة نظر علمانية". بينما قال رئيس وقف دراسات العلوم، علي أوزك، إن "أكبر نجاح للعثمانيين هو احتواء جميع المعتقدات، وسبب المشكلة في بلاد الشام هي المذهبية".

وانتقد خبراء تابعوا فعاليات المؤتمر، ما اعتبروه نظرة تعال من الأتراك الذين حرصوا على تنزيه عهد الإمبراطورية العثمانية، ومحاولاتهم من خلال استحضار هذه الانجازات، التي أريد بها في الظاهر دفع الحوار السني العربي التركي، ولكن باطنها حمل عقدا استعمارية ورغبة في استعادة أمجاد العثمانيين في الشرق الأوسط.

وألمح الخبراء إلى أن أغلب المحاضرين في المؤتمر، هم أساتذة في كلية الشريعة وباحثون إسلاميون وأعضاء في الاتحاد الدولي للعلماء المسلمين، الأمر الذي يؤكّد الأبعاد الدينية السياسية الموجهة لهذا المؤتمر.

وقال هشام النجار، الخبير في شؤون الحركات الإسلامية لـ"العرب"، إن أنقرة في أمسّ الحاجة إلى استخدام جماعة الإخوان لإنجاح هذا المشروع. وكشف أن أردوغان يستخدم الإخوان كأداة في صراعه؛ وقد حول تركيا إلى موطن ومأوى لهذه الجماعة فضلا عن دعمها لوجيستيا.

وأدت المصالح المتبادلة بين أنقرة وجماعة الإخوان، إلى دخول الأخيرة بشكل رسمي كجزء من أزمة روسيا وتركيا، والتي تبدو إيران ليست بعيدة عنها. وقد حاول الإخوان تضخيم الأزمة، بعدما أسقطت أنقرة طائرة لموسكو، ودخلوا على خطها أملا في استثمارها ليكون لهم دور بعد أن فقدوا بريقهم السياسي وفتر حماس أنقرة وغيرها من الداعمين للإخوان لفكرة العمل على عودتهم إلى الحكم قريبا.

وأوضح أحمد بان، الخبير في شؤون الحركات الإسلامية، أن ما يدور في اليمن والعراق وسوريا ولبنان، تحول إلى صراع سني شيعي؛ لذلك تعمل تركيا، التي تنافس إيران على التواجد الإقليمي وبعد أن فشلت في تولي أمر القيادة بنفسها، على التواصل مع القوى الإقليمية السنية وحلفائها الغربيين لتكون جزءا من التحالف الذي سيحسم الأمر في النهاية، وهي تقدّم نفسها في هذا السياق على أنها تركيا العثمانية المسلمة السنيّة العضو في حلف شمال الأطلسي.

الإيرانيون اليوم شيعة روافض، ومن يدري ربما غدا يصبحون إخوة في الإسلام

> ملامح الخسارة التي تتكبدها تركيا في معركتها مع روسيا، جّعلتها تحول دفة الصراع من سياسي واقتصادي إلى عقائدي وتاريخي

مرشح لرئاسة لبنان كان الناجي الوحيد من مجزرة فتكت بعائلته

فرنجية والرهان المزدوج على سليمان «الزغيّر»

❑ **لندن** – أن يصبح سليمان طوني فرنجية رئيسا للجمهورية اللبنانية، وهذا احتمال وارد، بدعم من سعد الحريري وغطاء منه، دليل على تغيير جذري في التحالفات بين القوى السياسية اللبنانية وإعادة خلط للأوراق في البلد. إنّه لقاء بين شخصيتين لا يجمع شيء بينهما، خصوصا منذ اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من فبراير 2005 عندما كان سليمان فرنجية وزيرا للداخلية.

أكثر من ذلك، شارك سليمان فرنجية، في المرحلة التي سبقت تفجير موكب الحريري الأب، مجموعة من السياسيين اللبنانيين الموالين للنظام السوري في التحريض بطريقة وقحة على والد سعد الحريري تمهيدا للتخلص منه.

وراثة أجنحة العائلة

كان هناك دائما جناحان داخل عائلة فرنجية. جناح المثقفين، الذي كان على رأسه حميد فرنجية، الشقيق الأكبر لسليمان الجد الذي لم يكن أكثر من مرافق لحميد، أحد ألمع السياسيين في تاريخ لبنان.

جاء الموت الباكر لحميد فرنجية، والد قبلان وسمير ونبيل، ليصبح المجال مفتوحا أمام الجناح الثاني ووراثة شقيقه الزعامة التي تكرّست في العام 1970 عندما وصل إلى رئاسة الجمهورية بصفة كونه مرشحا لكتلة الوسط التي كانت تضمّه مع الرئيس صائب سلام (سنّي) والرئيس كامل الأسعد (شيعي).

كان طرح اسم سليمان فرنجية الأمل الوحيد بالانتصار في معركة رئاسة الجمهورية على مكان يسمّى "النهج"، وهو التيار الذي كان يمثله الرئيس فؤاد شهاب. انتخب سليمان فرنجية رئيسا في أغسطس 1970، بفارق صوت واحد. دخل قصر بعبدا في الثالث والعشرين من سبتمبر. نال خمسين صوتا في مقابل تسعة وأربعين صوتا لمرشح "النهج" إلياس سركيس الذي ما لبث أن خلف فرنجية الجدّ في قصر بعبدا.

كان سليمان فرنجية الجدّ طرفا في الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت إبّان عهده في الثالث عشر من أبريل 1975. وأمضى السنتين الأخيرتين من ذلك العهد الذي انتهى في سبتمبر 1976 خارج قصر الرئاسة وذلك بسبب القصف المدفعي المستمرّ للقصر. كان عضوا فاعلا في "الجبهة اللبنانية" التي ضمّت الزعماء المسيحيين، لكنّه تميّز عن الآخرين بإبقاء الجسور مفتوحة بينه وبين حافظ الأسد من جهة وبمعاداته لأيّ اختراق للأحزاب المسيحية لمنطقته، أي لزغرتا الواقعة في شمال لبنان وغير البعيدة عن طرابلس حيث ولد سليمان "الزغير" في العام 1965، من جهة أخرى.

حرب مسيحية مسيحية

كانت نقطة التحوّل في علاقة آل فرنجية بالزعماء المسيحيين الآخرين، في الثالث عشر من يونيو 1978 عندما نفّذ الجناح العسكري في حزب الكتائب عملية عسكرية في بلدة إهدن القريبة من زغرتا. في تلك المرحلة، لم يكن هناك سوى حزب الكتائب، ذلك أنّ "القوات اللبنانية" لم تكن ظهرت بعد.

أبيدت في تلك العملية العسكرية التي قادها إيلي حبيقة ولم يشارك فيها سمير جعجع، الذي أصيب قبل وصوله إلى إهدن، كلّ أفراد عائلة طوني سليمان فرنجية النجل الأكبر لسليمان الجدّ. كان الجناح العسكري للحزب يريد تأديب آل فرنجية الذين اتهموا بتصفية قيادات كتائبية في الشمال اللبناني.

وحده سليمان "الزغير" نجا، وكان في الثالثة عشرة من العمر. قتل والده ووالدته وأخته الصغيرة جيهان. ومنذ ذلك التاريخ عاش سليمان "الزغير" في كنف جدّه، وهو انتقل من مدرسة في طرابلس إلى مدرسة في زغرتا، ثم إلى مدرسة في جونيه، من دون أن يدخل الجامعة.

ليس معروفا بعد كيف سمحت القوات السورية التي كانت منتشرة في كلّ المنطقة المحيطة بإهدن وكل الطرقات المؤدّية إليها بوصول القوّة الكتائبية إلى منزل طوني فرنجية لتنفيذ المجزرة.

الثابت بعد مجزرة إهدن، التي لا تزال لغزا، أنّ شرخا مسيحيا ـ مسيحيا نشأ وترسّخ. لم يعد من مجال للقاء بين آل فرنجية والزعامات المسيحية الأخرى، خصوصا مع الجناح العسكري لحزب الكتائب الذي تحوّل لاحقا إلى جناح مستقل بقيادة بشير الجميّل. في الواقع، تصالح آل فرنجية مع الكتائب، لكنّه لم تحصل بعد مصالحة مع "القوات اللبنانية". تصالح سليمان فرنجية مع إيلي حبيقة، الذي قاد الحملة العسكرية التي انتهت بمجزرة إهدن، بعدما أصبح الأخير الطفل المدلل للنظام السوري. لم يسامح سمير جعجع الذي لم يصل إلى إهدن لسبب في غاية البساطة يعود إلى عداء النظام السوري للرجل.

لا هوامش للرئيس المرشح

الأهمّ من ذلك كلّه، أن سليمان فرنجية الجدّ خضع نهائيا للإملاءات السورية، وعلّم هذا الدرس لحفيده الذي لم يحد عن النهج الجديد للعائلة، بصفة كونها زعامة مسيحية، محصورة بمنطقة الشمال، مرتبطة ارتباطا كلّيا بآل الأسد بعيدا عن أيّ نوع من التحالفات الأخرى خارج النهج الذي يخطّه النظام السوري.

نشأ سليمان "الزغير" في ظل العلاقة الجديدة بين آل الأسد وعائلته. علاقة لا هامش فيها لأيّ استقلالية أو هامش مناورة من أيّ نوع. أمّن له حافظ الأسد موارد مالية عن طريق شركات لبنانية في منطقة الشمال وطريقة توزيع الأرباح الناتجة عن استيراد المحروقات وما شابه ذلك.

كان الهدف منذ البداية أن يصبح سليمان طوني فرنجية رئيسا مع خلافة باسل الأسد لوالده. لكن الموت، في حادث سيارة، كان في انتظار باسل في العام 1994. كان باسل أقرب إلى سليمان "الزغير" من أيّ شخص آخر، بما في ذلك بشار الأسد الذي ما لبث أن اضطر السياسي اللبناني إلى وضع نفسه تحت عباءته قبل أن يخلف والده في السنة 2000.

يروي سياسيون لبنانيون أنّ سليمان فرنجية عرف كيف يتأقلم مع بشار الذي بدأت العائلة تعدّه لخلافة والده. أيقن سريعا مدى كره بشّار لرفيق الحريري وذلك من منطلق خشيته من قيام تحالف بينه وبين حكمت الشهابي وعبدالحليم خدّام وغازي كنعان، في مرحلة كانت صحّة حافظ الأسد تسوء بشكل تدريجي.

كان الحريري الأب يفرّق بين تصرفات سليمان "الزغير" وحقيقة نياته، كان يعرف أنّه كان مغلوبا على أمره. لذلك أبقى قناة مفتوحة معه. كان مسؤولا عن تلك القناة اللواء وسام الحسن، الذي اغتيل قبل عامين. كان وسام الحسن رفيق سليمان "الزغيّر" في رحلات الصيد.

في كلّ الوزارات التي تولّاها منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي، عرف سليمان فرنجية كيف يبني شعبية على صعيد منطقته. كان رجل خدمات من الدرجة الأولى، على الرغم من كلّ ما شاب بعض تصرفاته من عيوب، خصوصا عندما التصق اسمه، لدى توليه وزارة الداخلية، بتوزيع أرقام مميّزة للسيارات وتراخيص للعبة "بينغو" الممنوعة.. من دون إذن رسمي.

مقارنة مع الثقافة المتواضعة التي يمتلكها، بدا سياسيا حذقا على الرغم من أنّه كان مضطرا إلى الذهاب بعيدا في إظهار ولائه لبشار الأسد والسير في ركب العداء لرفيق الحريري. من مميّزات سليمان فرنجية امتناعه الدائم عن مهاجمة المملكة العربية السعودية خلافا لسياسيين آخرين، مثل ميشال عون، يخضعون كلّيا لإملاءات "حزب الله".

غطاء حزب الله

عرف سليمان فرنجية، فور خروج القوات السورية من لبنان، أن عليه الحصول على تغطية من "حزب الله" الذي ملأ الفراغ الأمني الذي تركه النظام السوري. بدا وكأنّه من أشدّ المؤمنين بخط "المقاومة" و"الممانعة"، معتمدا في خطابه السياسي اللغة الخشبية التي ينطق بها المسؤولون السوريون وقادة الحزب الإيراني في لبنان.

من يعرف آل فرنجية عن كثب، يعرف تماما أن سليمان "الزغير" لا يؤمن بأيّ كلمة يقولها، لا في مجال "الممانعة" ولا في مجال "المقاومة"، كذلك، يعرف هؤلاء أنّ الرجل يمكن أن يصبح شيئا آخر في غياب الضغط السوري عليه وفي ظلّ البحث الدائم عن استقلالية من نوع ما فقدتها عائلته منذ مجزرة إهدن.

أظهر سليمان "الزغير" مدى استعداده ليكون مستقلا عندما رفض حضور الاجتماع الأسبوعي للكتلة النيابية للنائب ميشال عون. في الواقع، رفض حضور الاجتماع لأنه يرفض أن يكون مجرّد عضو في كتلة يرأسها ميشال عون ويتحدّث باسمها ويفرض مواقفه عليها. لم يقطع شعرة معاوية مع ميشال عون، لكنّه أبلغه على طريقته أنّه ليس مقتنعا به وبزعامته.

يبدو رهان سعد الحريري زعيم "تيار المستقبل" واضحا كلّ الوضوح. إنّه رهان مزدوج على إمكان إنقاذ الجمهورية بانتخاب رئيس للجمهورية عبر تأييد شخص موثوق به من "حزب الله" من جهة وعلى أن سليمان طوني سليمان فرنجية هو من جهة أخرى غير سليمان "الزغير" في غياب نظام بشّار الأسد.

هذا النظام، في حسابات رئيس الوزراء اللبناني السابق لم يعد موجودا منذ صار تحت حماية الإيراني في دمشق والروسي في المنطقة العلوية. هل هو رهان مزدوج في محلّه؟

لاعب تحت الحماية السورية

❑ لا يمكن إلّا الاعتراف بأنّ سليمان فرنجية استطاع فرض نفسه كلاعب سياسي في لبنان منذ ورث زعامة آل فرنجية عن جدّه سليمان الذي كان رئيسا للجمهورية بين العامين 1970 و1976.

فهم سليمان "الزغيّر"، أي الصغير، كما يسمّونه في منطقته زغرتا، للتمييز بينه وبين جده، باكرا توازنات اللعبة السياسية في لبنان واضعا نفسه كليّا تحت حماية النظام السوري. استمدّ كلّ قوته من هذا الغطاء السوري في وقت كانت كل السياسة في لبنان تدار من دمشق أو من بلدة عنجر حيث كان يقيم المفوّض السامي السوري، أي ضابط المخابرات المكلّف بملفّ لبنان.

كان في استطاعة سليمان فرنجية تجاوز هذا الضابط، أكان غازي كنعان أو رستم غزالة بسبب الارتباط المباشر بينه وبين الرئاسة السورية، وهو ارتباط ذو جذور تاريخية بين عائلتين.

يعود تاريخ العلاقة إلى الخمسينات من القرن الماضي عندما كان كميل شمعون رئيسا للجمهورية. فقد فرّ سليمان الجدّ إلى المنطقة العلوية في سوريا بعد اتهامه بالوقوف وراء مجزرة ارتكبت داخل إحدى كنائس زغرتا ذات التاريخ الحافل بالخلافات العائلية بطابعها الدموي بين العائلات الكبرى فيها. ومن أبرز تلك العائلات، إلى جانب آل فرنجية، عائلات معوّض وكرم والدويهي.

منذ فرار سليمان الجدّ إلى سوريا، حيث أقام فترة من الزمن، سبقت حصوله على عفو رئاسي بعد خلافة فؤاد شهاب لكميل شمعون في الرئاسة، ترسّخت العلاقة بين آل فرنجية وآل الأسد. وشاءت الصدف أن ينتخب سليمان الجد رئيسا للجمهورية في صيف العام 1970 وأن ينفّذ حافظ الأسد انقلابه على رفاقه العلويين والبعثيين في خريف السنة نفسها.

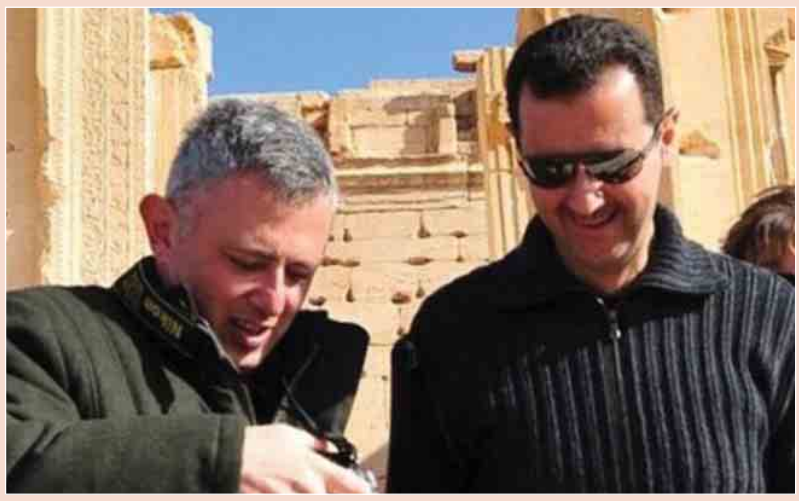

فرنجية والأسد في رحلة سافاري في البادية السورية قبل سنوات

ميشال عون يشكل الحاجز الذي كسر فيه فرنجية عصا الطاعة مع دمشق

وليد جنبلاط وابنه تيمور يستقبلان فرنجية ونجله في محاولة لفك ارتباط الأخير مع المحور الإيراني

سياسيون لبنانيون يروون أن سليمان فرنجية عرف كيف يتأقلم مع بشار الذي بدأت العائلة تعده لخلافة والده. وأيقن سريعا مدى كره بشار لرفيق الحريري وذلك من منطلق خشيته من قيام تحالف بينه وبين حكمت الشهابي وعبدالحليم خدام وغازي كنعان، في مرحلة كانت صحة حافظ الأسد تسوء بشكل تدريجي

محارب ضد الفساد مهدت له صراحة السيسي طريقه

أحمد درويش
مدني في مهمة قتالية على خط قناة السويس

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – بعكس أغلب رجال عصر الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، لم يكن ابتعاد أحمد درويش مثيرا للانتباه أو فاتحا لشهية الإعلام في مطاردة الرجل وشيّه على ألسنة لهب الانتقام قبل تقديمه وجبة شهية للشعب الغاضب.

السبب فيما يبدو أن الرجل الذي تولى وزارة التنمية الإدارية في حكومة أحمد نظيف بين عامي 2004 و2011، لم يكن متورطا في أعمال فساد مثل تلك التي أحاطت ببقية رموز حكومة نظيف، أو الرجال المحيطين بمبارك نفسه، فلم تحم حوله شبهات، لا هو في الوزارة أو بعد خروجه منها، مع بقية أعضاء الحكومة التي أجبرت على تقديم استقالتها، بعد اندلاع ثورة 25 يناير 2011.

شعبية غير متوقعة

سمعته النظيفة ربما، هي التي شجعت الرئيس عبدالفتاح السيسي على الاستعانة به في الوقت الراهن رئيسًا للهيئة العامة للمنطقة الاقتصادية لقناة السويس، دون أن يخشى غضب الشارع، ووضع بين يديه آمال المصريين العريضة، لتحقيق طفرة كبرى في الاقتصاد المصري المترنح.

على خلاف العديد من المسؤولين في عصر مبارك يحظى درويش بشعبية لدى الشارع والسياسيين، لدرجة أنه حصل على لقب "محارب الفساد"، لإصراره على نشر تقرير عن الشفافية في وسائل الإعلام، أثار غضب الرئيس الأسبق مبارك، الذي عبّر عن استيائه من إقدام وزير في الدولة على اتهام الحكومة بالفساد وهو أحد أعضائها.

على عكس غالبية من يشغلون مناصب سياسية رفيعة في مصر، يؤمن درويش بأحقية الشعب في معرفة ما يدور داخل أروقة الحكومة إعمالا بمبدأ المصارحة والشفافية، وأن يكون إعلان السيئة قبل الحسنة حتى يكون الجميع شركاء في المسيرة، واعتبار أن أيّ تصرف غير ذلك خيانة للأمانة والشعب.

الخيانة الأكبر، من وجهة نظر درويش، أن يكون المسؤولون عن متابعة ورصد الشفافية والفساد في أيّ مجتمع، يعملون بالحكومة أو تربطهم مصالح بكبار مسؤولي الدولة، ومن هنا كان قراره بإنشاء لجنة الشفافية والنزاهة واختيار غالبية أعضائها من المعارضين والسياسيين والصحفيين وناقدي الحكومة.

في هذا السياق، جاء قراره بفضح الفساد في حكومة أحمد نظيف الذي برره بقوله "كانت التقارير تقدم إلى الأجهزة الرقابية دون اتخاذ إجراءات بعينها ضد المخالفين والفاسدين، لهذا كنت مضطرًا لإظهار الحقيقة أمام الرأي العام".

غياب الشفافية في رأي أحمد درويش هو العامل الرئيسي لما تمر به مصر حاليا من تهاو اقتصادي وتراجع معدلات التنمية، وزيادة الدين الخارجي.

فهو يعتقد أن متخذي القرار بعد ثورة 25 يناير قاموا بعمليات ترضية واسعة لإسكات الغاضبين والثائرين سواء من المواطنين العاديين أو العمال في الحكومة والقطاع الخاص، دون أن يملكوا المال الكافي لعمليات الترضية، فقرروا ألاّ يصارحوا الشعب بحقيقة ما تحويه خزانة الدولة من أموال وودائع، وما عليها من ديون واستحقاقات عاجلة لدول خارجية.

المصارحة قبل المصالحة

قد يكون ما يدعو إليه درويش، أمر صعب التنفيذ على أرض الواقع، خلال هذه الفترة من حياة الشعب الذي بات يمنّي نفسه بالأخبار الإيجابية، لكن تأجيل الحقيقة من وجهة نظره، قد يدمّر المستقبل، والمصارحة أهم بكثير من المصالحة (أي إعطاء الأمل دون حقائق)، ومن آليات الحفاظ على تماسك الدول، أن يعرف الناس: كم الدخل؟ وكم الإنفاق؟ وكم القروض؟ ومن يسدد هذه القروض، وكيف؟

لذلك، رفض أن يكون شريكًا في الحكومات المتتالية التي تشكلت بعد ثورة يناير تحت مبرر أنها حكومات مسكنات تحاول استرضاء الشعب بعيدًا عن البحث في حلول مستقبلية من شأنها الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي النسبي ومعدلات التنمية المقبولة التي تركها نظام مبارك.

لكنه في الوقت ذاته كان يقدم النصائح الإدارية والاقتصادية لرجال الحكومة عندما يطلبونها بعيدا عن الظهور العلني، بهدف الإبقاء على تماسك أجهزة الدولة من الضياع في دوامة المظاهرات والاحتجاجات الفئوية وتأجيل الاستدانة من الخارج.

الفكر المتحضر للرجل وإصراره على انتهاج أساليب الدول المتقدمة في التعامل مع المشكلات والاعتراف بها بعيدا عن استرضاء الشعوب والتغاضي عن الواقع وأزماته، حرمه من تولي رئاسة الحكومة في فترة حكم جماعة الإخوان، لكن ذلك لم يمنعه من أن يقترح شخصية اقتصادية بارزة لشغل المنصب، على أن يكون هو نائبًا لها، ما أثار الاستغراب من كونه مرشحًا لمنصب رئيس الحكومة ثم يطرح بنفسه شخصية أخرى لتولى المنصب.

فقد كان أحد المرشحين بقوة لتشكيل الحكومة ضمن ثلاث شخصيات جرت معهم مقابلات من قيادات بارزة في الجماعة، لكن الرئيس السابق محمد مرسي استقر على هشام قنديل بعد لقاء جمعهما في أثيوبيا، حيث كان قنديل مديرًا لمكتب وزير الريّ آنذاك، ويبدو أن مرسي وجد ضالته فيه.

قال درويش عن ذلك "أهم نقطة أُخذت على ترشيحي لمنصب رئيس الوزراء، كما علمت فيما بعد، أنني لست سلس القيادة.. أي أنني سأجادل ولست أنا هذا الشخص الذي يقال له يمين أو يشار فيقول 'آمين'.. وأن الأغلبية بالجماعة كانوا قلقين للغاية من وجودي، لأنهم في هذه المرحلة كانوا في حاجة إلى رئيس وزراء أيسر في التعامل، لا يجادل من أجل وجهة نظره، لكن مرسي وجد أنني حاد الآراء في مجال تخصصي".

إخواني أم ليبرالي

برغم استبعاده، لم يسلم الرجل من مطاردته بتهمة الانتماء إلى الإخوان تارة والتعاطف معهم تارة أخرى، ما سبب له أزمات عدّة في حياته الشخصية والأسرية، وزاد من ذلك تجاهله لما يثار في وسائل الإعلام باعتباره شخصية تعيش في الظل.

البعض يصفه بالشخص المحيّر فهو دائم الذهاب إلى دار الأوبرا المصرية لمشاهدة الفقرات الفنية والأعمال الثقافية برفقة زوجته وابنته "غير المحجبة"، لكنه في المقابل دائمًا ما يقطع اجتماعاته المهمة لأداء الصلاة، ثم العودة للاجتماع مجددًا، إضافة إلى أنه أينما تلقى اتصالا هاتفيًا يرد بعبارة "السلام عليكم".

وعندما سُئل عن هذا الأمر، في مناقشة جماعية دارت معه خلال تواجده داخل دار الأوبرا، أجاب "والدتي هي التي عوّدتني على ذلك، ومن يراني في الأوبرا ويرى ابنتي غير المحجبة سيقول إنني ليبرالي، ومن يراني أصلي أثناء الاجتماعات سيقول إنني إخواني، لا أدرى من أين تأتى هذه الأقاويل، وأعتقد أن جزءاً منها مرتبط بترشيحي لرئاسة حكومة الإخوان".

وبرغم ذلك، لا يؤمن الرجل بكفاية الحل الأمني من قبل الدولة في التعامل مع الجماعة، لأنه يعتقد أن الفكر لا يجابه إلا بالفكر وليس بالقوانين.

وتبقى الإشكالية الأكبر لديه في ما يتعلق بشباب الجماعة، والحل يبقى رهين احتوائهم وجعلهم يفكرون بطريقة مختلفة عن الطرق التي يحاول البعض إرغامهم عليها، على اعتبار أن مفهوم "مد اليد والتقرب منهم ومساعدتهم" أقرب من فكرة المصالحة التي يدعو إليها البعض من حين إلى آخر.

فكرة الاحتواء المجتمعي اكتسبها درويش من نشأته في أسرة متوسطة الحال، ثم تطورت معه بمرور الوقت، وساهمت في تكوين شخصيته السياسية، حيث جعلته دائم البحث عن السبل والآليات التي تحفظ حقوق الطبقة الفقيرة في المجتمع المصري، وعدم التعرض إليها بأيّ قرارات سلبية تستهدف تحسين الوضع الاقتصادي، مثل رفع الدعم عن السلع.

بل إنه واجه حربًا ضروسا عندما بدأ في اتخاذ قرارات لم تكتمل لاندلاع الثورة كانت تهدف لإعادة توزيع الأسعار حسب المستوى الاجتماعي للأسرة بدلا من رفع الأسعار على الجميع.

شجاعته في مواجهة وهم الإصلاح بأساليب هشة جعلته لا يخشى التحدث عن استحالة انتهاء الفساد في مصر بالكلام المعسول، حتى لو كان رجل دولة في منصب سياسي رفيع، فقد كان الوزير المعارض صاحب المقولة الشهيرة "أزمة الفساد تكمن في تلاقى رغبة الموظف المرتشي مع المواطن الراشي".

وكان الحل من وجهة نظره في التوسع في تقديم الخدمات الإلكترونية، ما يقلل التعامل المباشر بين المواطن طالب الخدمة والموظف المنوط به تيسير إجراءاتها، ومن ثمة يمكن تقليل الرشوة والفساد.

كل ذلك جعله شخصية مقربة من نبض الشارع، ما جعل وسائل الإعلام تطرح اسمه بقوة، أثناء تشكيل حكومة إبراهيم محلب للاستفادة من خبراته الاقتصادية والإدارية ومكافحة الفساد والخروج سريعًا من هذا المشهد القاتم. لكن تصريحات جديدة له ساهمت في استبعاده حين صدم الرأي العام بتصريح واضح أواخر العام 2013 "إن الوضع الحالي لن يتحسن قبل حلول عام 2020، سواء عاد للمشهد أم لم يعد".

كان لافتًا، أن يلقى ذلك التصريح حالة من الجدل في الأوساط الإعلامية والسياسية، خاصة وأن البعض وصفه بـ"المتشائم" لكن الرجل فنّد الوضع بشكل منطقي، مؤكدا أن المجتمع المصري غير متفق بشكل تام، بمعنى أن الدول التي قامت فيها ثورات كان يوجد فيها توجه سياسي عام يجمع المجتمع كله.

أما في مصر فكان هناك توجه سياسي يجمعنا، وهو أننا غير راضين عن النظام السياسي الموجود، لكن لم يوجد توجه عام يجمعنا على النظام الذي نرغب في الانتقال إليه.

> الأغلبية في جماعة الإخوان تقلق من وجوده، وسبق أن قلقت لأنها في تلك المرحلة كانت بحاجة إلى رئيس وزراء أيسر في التعامل، لا يجادل ولا يدافع عن وجهة نظره

المثل الأعلى

في نظر درويش، يبقى السيسي هو المثل الأعلى لديه، أو على الأقل هو من يطبق فكرة المصارحة مع الشعب، على غرار أحاديثه المتكررة المدعومة بالأرقام والإحصائيات عن التحديات الاقتصادية والأمنية والسياسية والخارجية التي تواجه مصر منذ إعلانه الترشح لرئاسة البلاد، كي يكون الشعب شريكا فاعلا في التحدي وعلى دراية كاملة بما يحيط به من أمور قد تؤخر عجلة التنمية داخليًا.

هذه القناعة أو لنقل الإعجاب المتبادل بصراحة الرئيس وعداء الوزير السابق للفساد، كان المدخل المثالي لبدء علاقة عمل جديدة بينهما من خلال اختيار درويش ليحمل على كتفيه أحلام الشعب المكافح في مشروع تنمية إقليم قناة السويس، الذي يبني عليه المصريون آمالا عريضة في تحسين مناخ الاستثمار والتنمية الاقتصادية.

الرجل لم ينس للسيسي أنه قال للشعب قبل الترشح للرئاسة "هل أنتم مستعدون للعمل من الخامسة صباحًا وأن تقتسموا معًا رغيف الخبز؟" معتبرًا أن تلك كانت دعوة صريحة للمشاركة بين الحاكم والمحكوم، تستدعي من الجميع أن يشارك حتى لو كانت بشكل تطوعي دون مقابل، فمع المصارحة تسقط كل المصالح الشخصية.

تنموي بين العسكر

❑ تبقى إشكالية درويش في منصبه الجديد، كما يزعم البعض أنه رجل مدني وسط نخبة من العسكريين تتولى مجريات العمل في المشروع، باعتبار أن قناة السويس وما يحيط بها جزء من الأمن القومي المصري.

لكن الرجل أظهر غراما بالجيش في أول تصريحاته، حين قال إنه أي "الجيش" لا يعرف سوى الجد، وشرف لي التعاون مع مؤسسة خرج منها رئيس يصارح شعبه بكل شيء.

من يتوقعون نجاحه في منصبه الجديد يراهنون على أن أحمد درويش من عينة المسؤولين الذين يركزون على النواحي الفنية ويتميزون فيها، دون أن يتورّطوا في أمور سياسية لا يعرفون الكثير عنها. ويدللون على ذلك بأن الرجل منذ ظهوره على الساحة وحتى الآن، لم يكن له موقف سياسي واضح وصريح، سواء كان معارضا أو مؤيدا لأي نظام تعاقب على الحكم، فقط كان يطرح فكره ومبادئه في العمل على الأنظمة التي تطلبها فيتعاون مع من يستجيبون لها، ولا يبخل بالنصائح في الخفاء على من يتجاهلونه في العلن.

> الخيانة الأكبر، من وجهة نظر درويش، تتجلى في أن يكون المسؤولون عن متابعة ورصد الشفافية والفساد في أي مجتمع، من العاملين في الحكومة أو تربطهم مصالح بكبار مسؤولي الدولة، ومن هنا كان قراره بإنشاء لجنة الشفافية والنزاهة واختيار غالبية أعضائها من المعارضين والسياسيين والصحفيين وناقدي الحكومة

من يتوقعون نجاحه في منصبه في قناة السويس يراهنون على أن درويش من عينة الخبراء الذين لا يتورطون في لعبة السياسة

«أمير صغير» تحتفل به فرنسا والعالم في عيده السبعين

إكزوبري
وطفله الفضائي وحكايته السحرية كما في الأدب

علي سفر

❑ **إسطنبول** – يحتفل الفرنسيون هذه الأيام ومن خلال معرض في فرساي–باريس بالذكرى 70 لولادة شخصية طافت شهرتها الآفاق مع صدور الطبعة الفرنسية الأولى من رواية "الأمير الصغير" للأديب الفرنسي المغامر أنطوان دو سان إكزوبري.

المعرض، الذي يضم صوراً وأغراضا كثيرة تتصل بالرواية ومؤلفها، يقدم حصيلة سبعة عقود من الاحتفاء العالمي بالرواية الأكثر شهرة وربما الأهم في عالم الأدب الموجه للأطفال.

وبالرغم من أن الكثير من النقاد والقراء على حد سواء، لم يعتبروا بأن هذه الرواية هي رواية "طفلية" بل رأوا فيها رواية موجهة للكبار قبل الصغار، إلا أن شخصيتها الرئيسة، وكذلك رسوم المؤلف التعبيرية التي زينت صفحاتها، وكذلك تحويلها إلى أفلام سينمائية أو تلفزيونية أو رسوم متحركة، كل ذلك حافظ على صبغتها الأصلية، واضعاً إياها في دائرة الأعمال ذات الخصوصية في التأثير، فالإدهاش والخروج عن المعتاد هو عالم الأمير الصغير، وهو عالم مؤلفها الذي قتل في حادثة سقوط طائرته الحربية قبالة الشواطئ الفرنسية عام 1944.

قادم من كوكب بعيد

"الأمير الصغير" قدم إلى كوكب الأرض من كوكب آخر صغير الحجم يحمل اسم بي 612، واضطر إلى زيارة الأرض بعد أن تعطلت طائرته، ليلتقي بالراوي/المؤلف. لتدور بينهما أحاديث غريبة عن كل ما يشاهده الفتى الزائر. ومن خلال هذه الحواريات وكذلك الأحداث الصغيرة التي تمر فيها، تفسح الآفاق لدى القارئ عن عالمين يتعارضان دون صراع، عالم البراءة وعالم الكبار الذين قولبتهم الحياة بتفاصيلها، ودون أيّ عناء أو مقاومة يجد القارئ نفسه في حالة غريبة من الدهشة قوامها الاصطدام بالعوالم التي لم تنجح الحياة الرتيبة في تخريبها.

القصة تبدأ بحكاية مفعمة بالسخرية من عالم الكبار يحكيها المؤلف عن نفسه فيقول "رأيت وأنا في السادسة من عمري، صورة رائعة في كتاب عن 'الغابة العذراء' يدعى 'قصص حقيقية' وكانت الصورة تمثل ثعبان بوا يبتلع وحشاً. وقرأت في الكتاب: أن الثعابين تبتلع فريستها بكاملها، من دون أن تمضغها، فإذا ابتلعتها عجزت عن كل حركة، ونامت مدة ستة أشهر حتى تنتهي من هضمها. وبعدها، فكرت ملياً في ما يقع في الغابات من الحوادث. أخذت قلماً فيه رصاصة ملونة وخططت أول رسم رسمته.

ثم أريت باكورة فني الكبار من الناس، أعني الكبار في السن، وسألتهم قائلاً: أما يخيفكم هذا الرسم؟".

ويتابع إكزوبري "فأجابوا: متى كانت القبعة تخيف الناس؟ ما كان رسمي يمثل قبعة بل ثعباناً يهضم فيلاً. ثم رسمت باطن الثعبان عسى أن يفهم الكبار فإنهم في حاجة دائمة إلى الإيضاح. وكان رسمي الثاني كما ترى".

ونبقى مع إكزوبري الذي يقول "فلما أبرزته لكبار الناس، نصحوني بأن أدع جانباً رسم الثعابين من الخارج والباطن وقالوا: الأفضل لك أن تعنى بدرس الجغرافيا والتاريخ والحساب وقواعد اللغة. فأهملت، وأنا في السادسة من عمري، مستقبلاً باهراً في فن التصوير لأن رسمي الأول والثاني لم يروقا كبار الناس. إن هؤلاء الكبار لا يدركون شيئاً من تلقاء نفوسهم فلا بد للصغار من أن يشرحوا لهم ويطيلوا الشرح ويكرروا. ولا يخفى ما في هذا من التعب والعناء".

هذه الحكاية الافتتاحية، وكذلك التفاصيل الأخرى تفسر لنا السر في الإهداء الذي قدم به إكزوبري روايته، حيث كتب اعتذاراً للأطفال لأنه يهدي كتابه لشخص كبير، عدد فيه الأسباب وختمه بالقول "إني أرغب تقديم هذا الكتاب لهذا الطفل الذي كانه ذاك الإنسان الكبير. لأن كل الكبار كانوا ذات يوم أطفالاً (وإن كان القلائل منهم يتذكر هذا) لذلك أصحح إهدائي الذي أقدمه: إلى ليون فيرث حين كان طفلاً صغيراً".

غرابة القصة وغرابة مصير

لا تضيف النهاية الغريبة لحياة أنطوان دو سانت إكزوبري شيئاً على رؤيتنا "المشتهاة" لمصير أميره الصغير، فكلٌ منّا يتماهى مع هذه الشخصية الروائية الفطرية، في المواجهة الدائمة مع كل التفاصيل الاستهلاكية التي غمرتنا بها الأزمنة الحديثة.

ولد هذا الكاتب في العام 1900 ابناً لعائلة أرستقراطية من ليون، وقد تعلق الطفل بأمه لا سيما بعد رحيل مبكر لوالده، وقد درس إكزوبري في مدرسة الآباء اليسوعيين. وبعد تخرجه أدّى خدمته العسكرية في صفوف القوات الجوية، ولكنه سرعان ما ترك الطيران بسبب اشتراط عائلة الفتاة التي أحبها تركه للطيران من أجل الموافقة على زواجه منها، غير أن إكزوبري عاد فجأة إلى هوايته بعد أن مارس العمل التجاري ومل منه مما أدى لفقدانه زوجته.

منذ العام 1926 بات إكزوبري طياراً محترفاً، وقد عمل في مؤسسة لتوزيع البريد إلى كافة أنحاء العالم عبر النقل الجوي، وهكذا سيتعرض الكاتب إلى حادثتين سترسمان مستقبله هما: نجاته من الموت إثر سقوط طائرة عام 1935 في الصحراء المصرية، وكذلك سقوط طائرته عام 1938 في غواتيمالا، هاتان الحادثتان لم تؤثرا على رغبة إكزوبري في ارتياد آفاق السماء، فالطيران بالنسبة إليه هو الحياة "حياتي دون طيران ليست ذات معنى".

سقوط الطائرة ليس مجرد موت يندم عليه المرء أو يخاف منه "لو سقطت طائرتي فلن أشعر بأيّ حزن فأنا متشائم من فوضى المستقبل" و"الحياة تعني أن تثبت قدرتك على تحدي الموت"، فالطيران كما ينقل عنه أحدهم هو "وسيلة المعرفة، ومعرفة النفس تحديداً".

ولعل النهاية التي نعرفها لحياة إكزوبري تفقد زخمها هنا ونحن نعرف استعداده لها كاحتمال، لا سيما وأنه اشترك في الحرب العالمية الثانية لا عبر قتاله في سلاح الطيران بل عبر رواياته التي كانت في مواجهة هتلر الذي اجتاحت قواته فرنسا وأجبرت الكاتب على العيش في أميركا كمنفيّ.

فألمانيا وبكل جبروت آلتها العسكرية لم تستطع أن تنل من روايات إكزوبري سوى عبر حذف عبارة "هتلر أحمق" من روايته "الطيران إلى أراراس"، وهكذا رحل إكزوبري يوم الـ31 من يوليو عام 1944 في نهاية الحرب حينما اختفت طائرته فوق البحر المتوسط قبالة خليج آنج ولم يبق من هذا الروائي/الطيار إجرائياً سوى عبارة "لم يعد".

> النهاية التي نعرفها لحياة إكزوبري تفقد زخمها هنا ونحن نعرف استعداده لها كاحتمال، لا سيما وأنه اشترك في الحرب العالمية الثانية لا عبر قتاله في سلاح الطيران بل عبر رواياته التي كانت في مواجهة هتلر الذي اجتاحت قواته فرنسا وأجبرت الكاتب على العيش في أميركا كمنفي

عودته بعد عشرات السنين

لكن إكزوبري عاد فجأة في العقد الأخير من القرن العشرين. بذات المنحى الغرائبي والملتبس لتفاصيل حياته الشخصية، وهو صاحب روايات "طيران الليل"، "أرض للرجال" و"رسائل الشباب" و"طيار حربي" و"بريد الجنوب". ففي بداية عقد التسعينات قرر الفرنسيون –جرياً على عاداتهم في تكريم أدبائهم– الاحتفال بإكزوبري عبر وضع صورته ورسمه لأميره الصغير على ورقة نقدية من فئة الخمسين فرنكاً، وقد جرى ذلك فعلاً غير أن هذه الورقة النقدية سرعان ما سحبت من الأسواق، واستبدلت بأخرى مماثلة إثر اكتشاف خطأ غير ملحوظ، وغير متوقع بالأحرى في طريقة كتابة اسم الكاتب "القديس إكزوبري".

غير أن العودة الثانية تضعنا مباشرة أمام بوابة سحرية، إذ أنه وللمرة الثانية يأتي ليختم القرن على طريقته التي تظهر ملامحها في "الأمير الصغير" فقد أوردت وكالات الأنباء في نهاية العام 1998 خبراً غريباً هو عثور صياد مغربي على سوار خاص به في بطن سمكة اصطادها على الشواطئ الجنوبية لفرنسا.

بعض من قرأوا الخبر حاولوا أن يخففوا من تفاصيله بالقول: إن السوار كان عالقاً بشبكة الصياد، وقال البعض إن هذا الخبر قد يكون في تفاصيله مختلقاً من قبل الشركة التي أعلنته لتفتتح حملة للبحث عن طائرة الكاتب، ولكن هذه السمكة الراقدة في الخبر حقاً هي سمكة سحرية، وصيادها واحدٌ من رجال الحكايات الخرافية.

وهذه الحادثة تذكر بإحدى المسرحيات الهندية التقليدية "شاكونتلا" لمؤلفها الملك كاليداسا، وفيها تلعب السمكة دوراً بطولياً مشابهاً حينما تبتلع خاتم الملك، الذي يقوده للتعرف على زوجته/حبيبته، وذلك في مناخ أسطوري يشبه عوالم ألف ليلة وليلة.

> الكثير من النقاد وكذلك القراء على حد سواء، يرون أن «الأمير الصغير» ليس شخصية من رواية «طفلية» بل رأوا أنها موجهة للكبار قبل الصغار، رغم شخصيتها الرئيسة، وكذلك رسوم إكزوبري التعبيرية التي زينتها، وكذلك تحويلها إلى أفلام سينمائية أو تلفزيونية أو رسوم متحركة

اللحاق بالسمكة

❑ المقاربة التي تتيحها "غرضية" السمكة هنا، تدفع بإكزوبري وبنا نحو استناد أدبه في أغلب تفاصيله إلى عمله؛ حضور هذه العلاقة ما بين المصير غير المتوقع وبين الأدب، يوحد علاقة التواصل على شكل اشتهاء، فكما اعتمد "الأمير الصغير" على حوار مع المخلوقات ومن بينها الإنسان، تقام الآن علاقة الحوار/السرد الإخباري بين إكزوبري وبين السمكة، وليغدو الأمر وبغض النظر عن طرافته بؤرة "سردية" فيها شيء خارق وغير متوقع.

وإذا تم التفكير بالأمر من زاوية كونه مجرّد خبر صحفي تسوّقه شركة تبحث عن الربح، فإن اللوحة قد يتم تصنيعها حقاً من قبل طرفين هما: الحس التجاري والفضول أو الرغبة بالاكتشاف من جهة، والخيال الأدبي الإنساني وسردياته من جهة ثانية.

وفي المطالعة القصوى لثيمة السمكة والتي نعتبرها مجرد عتلة لمقاربة سحرية الحياة المؤدية إلى سحرية الأدب، نقول عن مصير إكزوبري إنه غرائبي: الوجود في قاع البحر في جوف سمكة (كما في حكاية النبي يونس الذي حفظه الحوت) مصير يفيد بخيال إنساني يمازج بين السحر وبين رغبة الخلود والتأبّد، وكذلك بسحرية واقعية ربما تكون قد أدت فعلاً وأثناء البحث عن حطام طائرة إكزوبري إلى العثور على حطام سبع سفن غارقة (لا علاقة للخبر بسحرية الرقم سبعة) وهذه السفن كانت مليئة بالجرار الفخارية وبالكنوز الغارقة قبالة السواحل الفرنسية.

فإذا ما اعتبرنا أن هذا الخبر الذي أوردته وكالات الأنباء في بداية هذا القرن، هو آخر الأخبار أو الظهورات السحرية لأنطوان دو سانت إكزوبري، فإننا حقاً لن نستغرب أبداً ما طالعتنا به عدة صحف فرنسية حينما اعتبرت –وبعيد عدة استبيانات للرأي في فرنسا والعالم– رواية "الأمير الصغير" رواية القرن العشرين، حيث يباع منها كل سنة أكثر من مليون نسخة، وقد ترجمت رسمياً إلى 250 لغة، دون احتساب الترجمات المتكررة ضمن اللغة الواحدة، من مثل وجود ثماني ترجمات باللغة العربية كمثال.

سويسري عرف الوجود النقي في أزمنة الإبادة

جياكومتي
الذي يشبه الآخر

فاروق يوسف

❏ **ستوكهولم** – في "ناشيونال بورتريه غاليري" بلندن يقام الآن معرض استعادي لأعمال الفنان السويسري ألبرتو جياكومتي. يركز المعرض وهو الأكبر من نوعه على الرسوم والمنحوتات التي تدخل ضمن اختصاص المتحف البريطاني العريق، فن البورتريه، ذلك النوع الفني الذي لم يتوقف الاهتمام به أوروبيا منذ عصر الإغريق حتى اليوم. المعرض الذي جُمعت أعماله من مختلف المتاحف العالمية أعاد جياكومتي إلى حقيقته، فنانا عائليا.

المقيم في حديقة حياته الشخصية

يضطر المرء إلى إعادة اكتشاف ألبرتو جياكومتي في كل مرة يقف فيها أمام أعماله. فالفنان السويسري الذي عاش جل حياته في باريس لم يكن من اليسير تحنيطه ورشه بمادة حافظة ليكون جاهزا بمعانيه في متحف الذاكرة. ترى لوحته أو منحوتته فتشعر أنك لم ترهما من قبل. بالرغم من أن صوتا في أعماقك يقول شيئا مختلفا.

كل عمل من أعماله يظل محاطا بالإبهام الذي لا يفارقه مهما اتسع زمن النظر إليه. لا تفهمه لكنه يعذبك بصده. هناك قدر من الصمت لا يمكن اختراقه، هو ما أعان جياكومتي على أن يحفظ لأعماله وحشتها وغربتها. ما من شيء بعينه تقوله تلك الأعمال وهي التي ترغب في أن تقول كل شيء بطريقة صادمة، لكن بلغتها. وهي لغة لن تنجح العين في إسالتها على اللسان. لا يتعلق الأمر بالكتمان، بل بسلطة المكان الخفي الذي تنبعث منه تلك المخلوقات لتعود إليه.

تشعرك تلك الاعمال بأن أيقونيّتها التي تذكّر برهبة الفن الفرعوني ليست سوى مزحة، وأن الصورة أو المنحوتة التي تراها ليست هي الصورة أو المنحوتة الحقيقية. ما فعله الفنان يكمن في أنه استخرج من الخفاء نسخة من كائن، سيعيش حياته بمعزل عن صورته المهددة بالزوال في أيّ لحظة، ذلك لأنها لم تخلق من مادة حقيقية.

الناس ليسوا مادة

جياكومتي (1901 ــ 1966) كان حريصا على أن يكون شفافا في ضالته الإنسانية "لا استعمل الناس مادة" الطين هو مادته ومن ثم البرونز. لذلك فإن استعادة جياكومتي كما يفعل الآن ناشيونال بورتريه غاليري في لندن تعتبر محاولة جريئة لإعادة الاعتبار إلى المتلقي وليس إلى الفنان الذي لم يكن يعنيه أن تُرى أعماله في حقيقتها، طالما كانت تلك الحقيقة غائبة. مفاجأة المعرض الحالي تكمن في تسليط الضوء على حقيقة أن جياكومتي لم يخرج إلا في حالات نادرة من حديقة حياته الشخصية، هناك حيث يقيم أبوه وأمّه وإخوته وأصدقاؤه وعشيقاته وزوجته. أهم الناس الذين يأبى أن يستعملهم مادة لأعماله الفنية؟ كان جياكومتي منصفا في صنع معادلاته وكان الأكثر إنسانية في عذابه من بين فناني حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

كان صديقا لسيمون دي بوفورا وجان بول سارتر وكان غالبا ما يقضي سهراته معهما في واحدة من حانات سان جيرمان دي باري. كان جياكومتي يكمل سهرته على الرصيف وهو يبكي كما تقول دي بوفوار في كتابها "المثقفون. ألم تحن القيامة؟"، رأيت ذات مرة كلبه الذي لا يكف عن الجري واللهاث، وتذكرت الجملة الأخيرة من فرانتس كافكا في روايته المحاكمة "مثل كلب" لم يكن كلب جياكومتي وصفيا.

رمزية جياكومتي حالت بينه وبين أن ينتمي إلى السريالية. كان ذلك الكلب رمزا لما يمكن أن يكون عليه الإنسان في كل لحظة قمع. وهو ما كانت عليه أعماله الفنية الأخرى. إنها رموز من حضارة اندثرت. سيكون من حقنا أن ننسى. تتعلم الكائنات التي ترى النسيان من كل الكائنات التي رسمت ونحتت. أذلك ما نتعلمه من تعاسات الحرب؟

الدرس الوحيد الذي يشقي ويشفي في الوقت نفسه. لقد استلهم جياكومتي تقنيته في الحذف من النسيان. ما نضيفه إلى العالم لن يكون مجديا. لن يكون عالم جياكومتي قابلا للإضافة. الفن في ذلك العالم هو مناسبة للتعرية. ستون عملا هي ثروة لرجل لا يزال أحد أعماله النحتية هو الأغلى في سوق الفن. ألهذا يمكن اعتبار معرض ناشيونال بورتريه غاليري مغامرة للتعريف بفنّ مبهم أنتجه الرجل الأكثر شهرة من بين فناني النصف الثاني من القرن العشرين؟ فن جياكومتي يمثّل مرحلة مفصلية وهو انعطافة مهمة في مسيرة الفن الحديث.

العيش في عصر ما بعد الإبادة

جياكومتي كان فنان العائلة التي أسرته الطاقة التعبيرية لوجوه أفرادها التي تعيده إلى وجهه. في سن الثالثة عشرة من عمره صنع تمثالا من البرونز لرأس أخيه دييغو. شبح ذلك التمثال سيرافقه في مختلف مراحل حياته.

شبح دييغو هو الذي كان يملي عليه إحساسا بجمال مختلف. كان دييغو نموذجه الأول غير أنه كان أيضا ميزانه في التحولات التي شهدها فنه. في كل مرة يرسم أو ينحت وجه أو رأس دييغو فإنه يكون قد انعطف بأسلوبه الغامض في اتجاه بقعة لم يكن قد تعرف على مباهجها أو تعاساتها من قبل.

كان مفتتحا للوصول إلى شيء ما، شيء لن يكون من اليسير وصفه. غير أن جياكومتي كان مصرا على استخراج ذلك الشيء من وجوه القريبين منه، كما لو أنه كان يحاول إعادة تأهيل تلك الوجوه بما يتناسب مع طريقته في النظر. جياكومتي كان قد درس الرسم قبل أن يتحول إلى النحت بعكس ما جرى لموديلياني الذي درس النحت وتحول إلى الرسم. الفرق بين الاثنين يكمن في أن جياكومتي كان حريصا على أن يكون رساما ونحاتا بالقوة نفسها، من غير أن يسمح للنحات وهو الأكثر شهرة أن يلتهم الرسام أو يجعله ظلا له. هذا لا يعني أن الرسام كان يقف بعيدا عن البقعة التي يقف عليها النحات.

كان الاثنان يقفان على البقعة نفسها، من غير أن يزيح أحدهما الآخر. ربما كان ذلك سببا في أن القرن العشرين قد ربح رساما ونحاتا، هما الأكثر دراية بأحوال الإنسان في واحدة من أسوأ لحظات انكساره في القرن العشرين.

كان جياكومتي دقيقا في رصد آثار الحرب على الوجوه التي تبدو ضائعة ومجهولة، حتى لو كان وجهه هو واحد من تلك الوجوه. لمَ لا نختصر دروب المتاهة ونقرّ بأن كل وجه رسمه جياكومتي كان نوعا من التعريف بوجهه، حتى لو كان وجه صديقه جان جينيه، الذي كتب عنه نصا فاتنا.

مرآة جياكومتي تقول الشيء نفسه، وهي تلهو بإظهار صور مختلفة. ليست صداقة فنان حزين من نوعه مجانية. النزهة الوحيدة الممكنة معه تقع في مساءلة الألم. فكرته عن العالم لم تكن سعيدة. غير أن كل ذلك الشقاء لم يفقده القدرة على تجديد عفويته في الإيمان بالإنسان. هو ما يبدو جليا في تماثيله العملاقة التي يسبق فيها الكائن البشري خطواته. لقد سعى إلى تسجيل التغيرات الأكثر تعبيرا عن غموض الدافع الإنساني لاحتمال الألم، ومن ثمة الذهاب به إلى أقصى درجاته من غير أن ذلك ذريعة للبطء أو التكاسل.

لقد وقف جياكومتي مذهولا أمام قدرة الإنسان على تحمّل الألم وتحويله إلى سبب للعيش. كانت هناك مقبرة خام هي مادة جاهزة للإلهام. ولكن ماذا بعد عمليات الإبادة الجماعية التي افتضح أمرها بعد سقوط النظام النازي في برلين؟

أعتقد أن جياكومتي كان من أعظم الفنانين من جهة قدرته على التقاط مغزى مقاومة الألم بالألم نفسه، هناك حيث يقيم الجوهر الإنساني الذي يواجه الحدث بشجاعة وصبر. ذلك ما يجعل رسوم ومنحوتات جياكومتي تقاوم الزمن. إنسانه البدائي غير المزين يكتسب حيوية مع مرور الزمن.

هناك من الوقائع ما يؤكد أنه كان على حق. رسوم ومنحوتات جياكومتي تطوقنا بأملها اليائس. وهو أمل طبيعي ينبعث من لحظة إصغاء إلى أصوات الضحايا. شيء من ذلك الأمل يظل يرافقنا بعين دامعة. ذلك التحدي الحزين هو ما يشكل واحدة من أهم خلاصات فن جياكومتي. كان جان جينيه واحدا من أكبر حاملي عذابات الآخرين في القرن العشرين. أنظر إلى صورته التي نفذها جياكومتي كما لو أنه يرسم شظية ضربت روحه فأشعر بالفزع. كيف أمكن لجينيه أن يظل حيا بعد تلك اللوحة؟

هل كان يعد تماثيله للموت

"جياكومتي: الوجود النقي" هو عنوان المعرض. وهو عنوان يحاكي الفنان حين يستثنيه. غير أنه يقيّده بخصلة تمنعه من أن يكون إنسانا يحب ويستجيب لعواطفه ويخدع نفسه بعلاقات عابرة يسرف من خلالها في الخطيئة. جياكومتي هو أيضا الآخر الذي نحب أن نراه، إنسانا لا قديسا. مثلما كان صديقه جينيه تماما. النحات المقيم في محاولته الجريئة هو صاحب السبق إلى تعرية الجسد الإنساني كما تفعل الريح. لقد تعلم جياكومتي من الحفر الطباعي كيف يكون الحفر بمثابة مسعى لشفاء الجسد من أورامه.

لقد حذف جياكومتي الكثير من الزينة التي تباهى أوغست رودان بتلميعها، حذف الأجزاء المكورة من الجسد التي حظيت بالكثير من غزل هنري مور. هل كان يعدّ تماثيله للموت؟ كان يفكر في أن يدفنها ليؤكد غيابها دورة حياتها الحقيقية. لم يكن جياكومتي في حاجة إلى ما يضيفه لإقناعنا بأن ما نراه ما هو إلا الجزء المتبقي من الكائن، وهو الجزء الذي قاوم بنقائه العالم.

> استعادة جياكومتي كما يفعل الآن ناشيونال بورتريه غاليري في لندن تعتبر محاولة جريئة لإعادة الاعتبار إلى المتلقي وليس إلى الفنان الذي لم يكن يعنيه أن ترى أعماله في حقيقتها، طالما كانت تلك الحقيقة غائبة. مفاجأة المعرض الحالي تكمن في تسليط الضوء على حقيقة أن جياكومتي لم يخرج إلا في حالات نادرة من حديقة حياته الشخصية

ذلك الجزء ليس خلاصة الكائن بل مادته الخام، جوهره الذي لا يمكن أن يُفنى. يلذ لي أن أحدق في الوجوه التي رسمها ونحتها جياكومتي. نظراتها تخيف لشدة ما تحمله من امتلاء يدفع إلى التفكير في الفراغ. أشعر أن يأسها أشبه بثقب أسود، له القدرة على التهام مجرة من الأمل.

غير أن معرضا عن الناس لا بد أن يكون غاصا بالعواطف، بالحكايات الحانية وبالمشاعر الغامضة. رؤى جياكومتي المبهمة تظل تحوم في فضاء عالم أناس لم يستنفدوا أوقات سعادتهم فحسب بل إنهم كانوا قد اقترضوا من أسلافهم الموتى ساعات مسرة مضافة. لذلك لم يبق لديهم ما يخشون خسرانه. ما من خسارة، ما من فقدان، لذلك ما من حسرة أو غصّة.

إنسان القرن العشرين

❏ لقد صنع إنسان القرن العشرين مركبه من رماد الإبادة الجماعية، فما الذي ينتظره سوى أن تذرو العواصف مركبه قبل أن تبتلعه المياه. عرف جياكومتي كيف يحوّل المرارة التي عاشها الإنسان زمن الحرب إلى مادة نبعث منها الكائنات التي عرفها وعاش توتر خيباتها.

الشخصيات التي رسمها ونحتها جياكومتي ستكون حاضرة في كل حفلة تُقام من أجل استعادته. تحضر قبله وقد لا تلتفت إليه، وهو الحاضر من خلال لوحة أو منحوتة واحدة.

مع ذلك فإن حضور دييغو الطاغي يظل بالنسبة إلى ألبرتو هو الحدث الأهم. حدث حياته وحدث فنه.

أإلى هذا الحد كان فن جياكومتي فنا عائليا؟ خلاصة هذا الفنان الذي عصف بأحوال النحت مستقبلا تقع هناك. لقد عبث جياكومتي بمستقبل النحت من داخله، من غير أن يتعب نفسه بالخروج من البيت. كان الرجل يكتب سيرته الشخصية من خلال النحت والرسم، لذلك كان أقرب إلى جينيه منه إلى سارتر.

كان جينييه مسكونا بأفعاله التي صنعت فنا روائيا عظيما بالرغم من أنها لم تكن لتحظى بأيّ أهمية تُذكر. ما فعله جياكومتي كان شبيها بذلك. الحياة الشخصية تستحق أن تكون موضع سؤال مثلما تستحق أن تُعاش بألم. مكابدة العيش هي الفكرة التي صنع منها جياكومتي قاسما مشتركا بينه وبين الآخر الذي يشبهه.

أتذكر أن كلبه الذي رأيته قبل عقود في أحد المتاحف السويسرية كان قد ضيّع عليّ فرصة النظر إلى ما تبقى من أعمال فنية، لذلك كنت متيقظا هذه المرة لئلا يدفعني جياكومتي إلى خيانة جياكومتي. من اليسير أن يسرق تمثال من جياكومتي قدرتك على أن ترى.

> المشاهد يضطر إلى إعادة اكتشاف ألبرتو جياكومتي في كل مرة يقف فيها أمام أعماله. فالفنان السويسري الذي عاش جل حياته في باريس لم يكن من اليسير تحنيطه ورشه بمادة حافظة ليكون جاهزا بمعانيه في متحف الذاكرة

عام على ولادة مجلة «الجديد»

حرية الكاتب وجرأة الكتابة وحوار الأفكار

نوري الجراح

❏ ها قد مضىٰ عام علىٰ ولادة مجلة "الجديد" منبرا للكتابة الجديدة ومنصة للفكر الحر، كما أرادت لها خطتها الطموحة، وكما تطلعت إليه نخبة الأقلام العربية التي التفت من حول المجلة، وصارت، اليوم، فريقها الأدبي وجماعتها الفكرية المغامرة.

ينبئنا تاريخ صناعة المجلات في الثقافة العربية، وتبرهن علىٰ ذلك مجلتنا الوليدة، أن تأسيس منبر أدبي فكري طموح ومغامر ليس بالمهمة السهلة أبداً، وأن الطريق لم تكن مرة مفروشة بالورود، ولكنها حافلة بالأشواك محفوفة بالمخاطر، في ظل ثقافة عربية لطالما تحكّمت بها نزعات وميول أبوية أعاقت تفتّح أزهارها الجديدة، وشوّشت عليها ظواهر تيه فكري أظلمت معها الأفكار وأعتمت الدروب، وعرفت تطلّعات وليدة خذلها القريب والبعيد، فباتت ثقافة مصدومة عرضة للتفكك والتهاوي في أمّة تعصف بها الوقائع وتعجز، رغم رصيدها من التجارب، عن حل ألغاز حاضرها، ناهيك عن تفكيك أسئلة هذا الحاضر، أو استشراف المستقبل.

إن نظرة علىٰ أعداد السّنة الأولىٰ من "الجديد" وما ذخرت به من كتابات أدبية وفكرية، كفيلة بأن تجيب عن السؤال حول مدى التزام المجلة بخطتها المرسومة لها، والتي عبّر عنها بيانها التأسيسي بوصفها مجلة للأدب الحديث والأفكار الحديثة.

***

مع انطلاقة المجلة قلنا إن "الجديد" تهدف إلىٰ أن تكون منبراً أدبيا يحض المثقفين العرب علىٰ "استئناف المغامرة الفكرية والجمالية الخلاّقة التي بدأتها الثقافة العربية في أبهىٰ لحظاتها، وأكثرها عصفاً فكرياً ونزوعاً جمالياً نحو التجديد والابتكار" ورأينا أن ذلك يمكن أن يتحقق لـ"الجديد" "من خلال احتضان الكتابة الجديدة والتسليم بحرية الكاتب وجرأتها وابتكاريّتها، والتفكير النقدي، وحوار الأفكار".

وهكذا ظهرت المجلة إلىٰ النور "لتُلَمّ بالجديد المغامر والمبتكر، أدباً وفكراً، وتكون منبره".

راهنت "الجديد" علىٰ الأقلام الجديدة فأفردت لها صفحاتها لتعبر عن خيالها الأدبي وقلقها الروحي وتطلّعاتها الفكرية، فلم يخلِ عدد من أسماء أدبية عربية، مشرقا ومغربا، تكتب للمرة الأولىٰ في جوار أسماء راسخة في دنيا الأدب والفكر، دستورها وديدنها ومعيارها جودة الأدب وابتكاريّته وصفاء الفكر وانتماؤه إلىٰ المستقبل، وهو ما يترجم إيماننا بحرية الكاتب، والتزامه الأخلاقي بالقطع مع الأفكار الظلامية وإيمانه بسنن التطور، والفكر النقدي، وجدل الأفكار، والحق بالاختلاف، والحوار الخلاق داخل الثقافة العربية، وبين البشر في ثقافاتهم المتعددة.

***

حاولت "الجديد" علىٰ مدار عامها الأول، ومع كل عدد من أعدادها، تمكين المفكرين والمثقفين العرب من خوض نقاش فكري حرّ يتعلق بجملة من القضايا التي تشغلهم، وأتاحت صفحاتها لفتح ملفات شائكة تجنب العديد من المنابر الثقافية العربية الاقتراب منها، وحضّت حملة الأقلام العرب علىٰ خوض سجال فكري مفتوح، من منظور نقدي، حول الثورات والانتفاضات، ووضع المرأة في المجتمع وداخل الثقافة، وثقافة النخب وثقافة الناس، وقضايا الدين والعنف الأصولي، وغيرها ممّا شغل الثقافة والاجتماع في اللحظة العربية الحاضرة.

***

من جهة أخرى، سعت "الجديد" إلىٰ لعب دورها في تجاوز عثرات التواصل الفكري بين المشرق والمغرب، فاستقطبت الكتاب من كلتا الجغرافيتين سواء بسواء، فاغتنت صفحاتها بأدب وفكر من هنا وهناك، وعملت المجلة بدأب منظور علىٰ فتح باب الحوار الفكري بين الفكر العربي وبعض أصوات الفكر الغربي فذهبت مباشرة إلىٰ تلك الأصوات فحاورتها في بلدانها، وأفردت صفحات سجالية بين مفكرين عرباً وفلاسفة غربيين، من دون وسيط أو مترجمين بينهم وبين قارئ العربية.

وفي هذا السياق استضافت المجلة حوارات فكرية وأدبية ثرية وجريئة تناولت قضايا الكتابة والسلطة والعنف والحداثة والأصولية والدين، وغيرها ممّا شغل ويشغل المنظومات الفكرية العربية والغربية علىٰ مفصل العلاقة بين الشرق والغرب، وبين العرب والعالم، مبتعدين في مسعانا، قدر المستطاع، عن الكليشيهات التي سادت النقاش في العقود الماضية بين الجانبين لا سيما في ظلّ مقولات "الصراع الحضاري" و"أولويات الاستشراق" وما شابه أو دانىٰ ذلك. فتجمّعت للقارئ العربي حصيلة فكرية طيبة شارك فيها مفكرون وأدباء بارزون من أمثال: طيب تيزيني، جاد الكريم الجباعي، مراد وهبة، عزيز العظمة، ميشال أونفري، سلمىٰ الخضراء الجيوسي، موريس برخر، إلياس خوري، عادل السيوي، إيرينا بوكوفا، صلاح فائق، أندريه سالفيني، نعومي شهاب، بروس لورنس، مارتن لانغفورد، لن دن، وغيرهم.

***

في عامها المنصرم أصدرت المجلة عددين خاصين، واحد أفردته للقصة القصيرة العربية تحت عنوان "العرب يكتبون القصص" ضمّ نصوصا لمئة كاتبة وكاتب من 15 بلدا عربياً، والثاني كرّسته للشعرً العربي الحديث وظواهره الأجد تحت عنوان "هل غادر الشعراء" وضمّ قصائد ومقالات وشهادات شارك فيه 100 شاعرة وشاعر من العالم العربي.

وفي أعدادها المتعاقبة نشرت المجلة مقالات ودراسات وآراء فكرية وأدبية لعشرات الكاتبات والكتّاب العرب. وقرأنا نصوصا وكتابات لنخبة ممتازة من ألمع الأسماء التي أثرت الحياة الثقافية العربية، مشرقا ومغربا، تنتمي إلىٰ مشارب ومرجعيات مختلفة لا يمكننا حصرها في تيّار أو جماعة أو أفق فكري أو أدبي واحد، ولكن تنوّعها وتعدّدها واختلافها يترجم في تجاوره علىٰ صفحات "الجديد" فكرة المجلة الجامعة المتطلّعة إلىٰ تكريس فكر الاختلاف، وإتاحة مناخ تتفاعل فيه عناصر هذا الاختلاف، فكراً وجمالاً، داخل الثقافة. فقرأنا لأسماء لامعة في دنيا الثقافة العربية: صادق جلال العظم، فتحي المسكيني، خلدون الشمعة، عبدالرحمن بسيسو، محمد خضير، إبراهيم الجبين، أحمد برقاوي، مرزاق بقطاش، إبراهيم الحيدري، عاصم الباشا، ريتا عوض، نبيل المالح، محمود شقير، جورج صبرة، محمود الريماوي، إلياس فركوح، وارد بدر السالم، أزراج عمر، بدر الدين عرودكي، زهير أبو شايب، زاهر الجيزاني، خطار أبو دياب، سعد القرش، فاضل السباعي، تحسين الخطيب، منتصر القفاش، ميسلون هادي، هيثم حسين، سلامة كيلة، وجدي الأهدل، أبو بكر العيادي، محمد الدميني، لطفية الدليمي، مفيد نجم، يوسف بزي، خالد النجار، فاروق يوسف، خزعل الماجدي، عبدالله صخي، إبراهيم الحسين، خالد أبو خالد، بلال خبيز، هيثم حسين، عواد علي، رشيد الخيون، تيسير خلف، أحمد الخميسي، أحمد السعيد نجم، جمعة اللامي، غسان جباعي، إبراهيم صموئيل.

ما سلف من أسماء ليس قائمة حصرية بكل من نشر علىٰ صفحات "الجديد" خلال العام الماضي، ولكنها نخبة من عدد أكبر بكثير من الأسماء التي استقطبتها المجلة، والتي نعتز بها جميعاً، ونعتبرها، مجتمعة، بعضاً من نار الشعلة التي توهج حاضر الثقافة العربية اليوم.

***

لا بد لي، قبل أن أختم هذه الكلمة، من أن أوجه تحية خاصة للفنانين التشكيليين الذين أغنوا برسومهم وتخطيطاتهم الفضاء البصري للمجلة، وصنعوا لحظتها الجمالية، وأخص بالذكر هنا: يوسف عبدلكي، عاصم الباشا، بهرام حاجو، حسين جمعان، صفوان داحول، إبراهيم الصلحي، أمل بشير، مروان قصاب باشي، فيصل لعيبي، موفق قات، بشار العيسىٰ، محمد عبدالرسول، عبدالباسط الخاتم، عادل السيوي، فاطمة برزنجي، نهاد الترك، جمال الجراح، ألفريد طرزي، أسامة بعلبكي، أسامة دياب، رندة مداح.

علما أن العلاقة بين الكتابة والرسوم والصور في المجلة هي علاقة تجاورية تفاعلية تتيح للعمل الفني أن يحضر مستقلا، ولا يكون بالتالي ملحقا بالكتابة بغرض التزيين.

***

وقبل أن أختم هذه الكلمة أنوّه بالجهود الطيبة التي بذلتها الهيئة الاستشارية للمجلة ممثلة في الأساتذة خلدون الشمعة، أحمد برقاوي، عبدالرحمن بسيسو، أزراج عمر، خطار أبو دياب، أبو بكر العيادي، رشيد الخيون، إبراهيم الجبين، تحسين الخطيب، مفيد نجم. لقد دأبوا، كل بطريقته المميزة وإمكاناته الخاصة، انطلاقاً من مكانته داخل الثقافة العربية، ومن الجغرافيا التي يقيم فيها، علىٰ التواصل الدوري مع قلم التحرير لاقتراح الملفات والموضوعات وإبداء الملاحظات الضرورية والقيّمة، فكانوا العصبة المؤمنة بالفكرة والحريصة عليها، والمبشرة بها في الأوساط الثقافية العربية.

أما راعي هذا المشروع ومؤسسه العزيز هيثم الزبيدي، فله بالتأكيد الحصة الأكبر من تقدير "الجديد" لمثقف شغوف بالمعرفة، آمن بأهمية هذا المنبر ودوره التنويري الخطير في لحظة عربية غير مسبوقة المخاطر والمفاجآت. فلولا شغفه بالمعرفة وإيمانه العميق بالفكرة ودورها المؤثر في الوعي لما أمكن لهذه المجلة أن تشهد النور.

***

بدأنا بإصدار ورقي، واليوم لدينا موقع علىٰ الإنترنت يحتوي علىٰ مجمل ما نشر وينشر في المجلة دوريا. وهو متاح للمتصفحين من دون عقبات التسجيل وما شابه. ويمكن للقارئ أن يحمّل بيسر النص الذي يرغب في تحميله.

ما سلف، أخيرا، ليس جردة حساب، فمازال الوقت باكرا للقيام بشيء كهذا، إنها وقفة خاطفة مع ملامح عام مضىٰ من عمر المجلة.

* شاعر من سوريا مقيم في لندن
* لندن في ديسمبر/كانون الأول 2015

عام أول من المحاولة

«الجديد» واللحظة الراهنة

هيثم الزبيدي

❏ تكشف جردة الأحداث التي رسمت معالم العام الأول من عمر مجلة "الجديد" صعوبة المهمة. تكشف قائمة الموضوعات المنشورة في "الجديد" مدى الآمال التي نعقدها علىٰ الثقافة كجزء من الحلول لأزمات عالمنا اليوم.

المنطقة العربية تعوم علىٰ بحيرة من مشاكل كبرى تبدو عصية علىٰ القراءة، دع عنك إيجاد الحلول. كلما حاولنا الوصول إلىٰ استنتاجات مهما كانت أولية لطبيعة المشكلات، كلما دخلت عوامل إضافية تجعل من الصعب إيجاد قراءة صحيحة للوضع.

المشكلة صميمية وعميقة، أعمق مما كان أغلبنا يعتقد. وهذا يتطلب جهدا فكريا وثقافيا حقيقيا وليس فقط مساهمات تبدو من باب الاستطراق أكثر منها نظرة لسبر طلاسم المشكلة.

تساعدنا القراءة الثقافية للمشكلة بعض الشيء حتىٰ وإن كانت لا تقدم حلولا شاملة. القراءات التي حفلت بها المجلة علىٰ مدى العام تصب في هذا الإطار.

لعل من المفيد الإشارة إلىٰ طبيعة المصاعب.

لنبدأ من عصر الاستعمار أولا. كانت الثقافة تعيش عصرا ذهبيا لأن الخطوط الفاصلة بين القضايا المختلفة كانت واضحة المعالم. كان الاستعمار حالة سهلة التشخيص ومسألة لا تحتمل الأخذ والرد كثيرا. الفعل الثقافي كان واعيا بمسألة التحرر الوطني والاستقلال وكان من السهل عليه أن يقف ويقول كلمته. كان الاستعمار نفسه يقف عاجزا عن التدخل في هذا الأمر لأنه إن تدخل فإنه يكون قد انتهك منظومته الثقافية والفكرية نفسها، وهي التي تدعو إلىٰ الحرية والمسؤولية. المثقف كان يقول كلمته ويجد تجاوبا فعالا لا يكون محصورا في النخبة، بل يجد أصداء عند الطبقة الصاعدة التي أفرزها الحراك الاقتصادي والاجتماعي في فترة ما بين الحربين العالميتين. كان المثقف العربي يجد من يصفق له حتىٰ في بلد الاستعمار.

نهل عصر الاستقلال الأوّلي من تركة عهد الاستعمار. مثقفو صدر الاستقلال كانوا هم أنفسهم مثقفو نهايات عصر الاستعمار. حملوا معهم الكثير من انفتاح الغرب المستعمر واستطاعوا بشكل لافت الإتيان بتوليفة حيوية للإنجاز الثقافي. الشاهد، تلك الأدبيات من رواية وشعر وفكر وتلك الإنجازات السينمائية والغنائية والمسرحية. انظر إلىٰ تركة المشهد التشكيلي لذلك العصر لتعرف كم كان الأوائل مبدعين.

في مرحلة الاستقلال، وهي المرحلة الثقافية الثانية، تعثّر المشروع مع تقدم السياسي علىٰ الثقافي. سيطرت النخب السياسية، وخصوصا التي وصلت إلىٰ السياسة من بوابات وزارات الدفاع وثكنات الجيش، علىٰ كل مفاصل الحياة. دخلنا عصر "الثقافة" العضوية التي يجب أن تقوم بمهمة واضحة المعالم في دعم النظام السياسي. صار يمكن أن تشاهد لوحة لرسام بعنوان "مواطن يستمع إلىٰ خطاب الزعيم من الراديو". إنه النفاق بلا حدود لسلطة وجدت نفسها تغير كل شيء بلا حدود. جاء التلفزيون ليصبح الأداة الجديدة والمبتكرة لتحويل الفكر والثقافة إلىٰ منهج للسيطرة وحسم الجدل وتوجيه العقول.

الأوجه القومية واليسارية والعسكرية للحكم في العالم العربي كانت مكشوفة حتىٰ لدى الذين يسبّحون بحمدها. كان أصحاب المديح يدركون في قرارة أنفسهم أن ما يقولونه فيه الكثير من الافتعال. بتقادم السلطة العربية وتراخي قبضتها، صار الخطاب المفتعل "للنخبة" المثقفة أعجز من أن يقنع أيّ صغير. اكتشفت السلطة بدورها أن ما عاد من أحد يصدق ما تقوله، مهما حاولت من افتعال وتجميل. المواطن العادي، الذي أصبح أكثر وعيا واطّلاعا، يعرف تماما أن سنوات التطبيل لم تترك أيّ أثر في نفسه، وسرعان ما تزعزع ما تبقىٰ من مهابة للسلطة مع تراجع إمكانات الدولة المالية والأمنية. كنا قد دخلنا ما صار يعرف بـ"الربيع العربي".

الشكل الثالث لواقع الثقافة في عالمنا العربي مختلف تماما. أعيد تأسيس الوعي علىٰ معطيات دينية. هذا التأسيس أعمق كثيرا من تأثير المستعمر أو المثقف المنفتح أو المثقف العضوي الذي تحركه السلطة. الانطلاقة الدينية الاجتماعية لإعادة التأسيس، تحوّلت بمرور الوقت إلىٰ وجهة الإسلام السياسي بأشكال إخوانية أو سلفية أو خمينية. ولأنها مرتبطة بالدين، فإنها غارت عميقا في نفوس الناس وصار من الصعب علىٰ كثيرين ممن تثقفوا في المساجد والأركان والحسينيات ولاحقا من علىٰ شاشات الفضائيات الدعوية، أن يتمكنوا من تمييز الفرق بين السياسي والديني. هذه ثقافة تتقصّد إذابة الحدود لتصبح نمطا حياتيا وليست مجرد توجهات فكرية.

هذا ما يحيلنا إلىٰ اللحظة الراهنة وصعوبة الشأن الثقافي. كنت كمثقف، تستطيع تشخيص مشكلة الاستعمار أو الأيديولوجية أو الطغيان بسهولة وأن تحث الناس علىٰ النظر إليها كشيء منفصل. الآن قد يصبح أبسط خوض في المسلّمات الثقافية هو موقف يُفهم أو يُفسّر علىٰ أنه موقف من الدين.

لا يزال من المبكّر لمطبوعة مثل "الجديد" أن تقول إنها في مسار النجاح في الخوض في الشأن الثقافي الراهن. هذا ما يدعونا إلىٰ الاستمرار في المحاولة.

* كاتب من العراق مقيم في لندن

* تخطيط: ساي سرحان

تحرير العقل

المحرمات الثقافية تحبس العقل العربي في سجون الماضي

حنان عقيل

❑ "أخطر أستاذ جامعي في الجامعات المصرية".. هكذا كُتب في التقارير الأمنية ضد الفيلسوف والأستاذ الجامعي مراد وهبة، عقب معارضته لبعض السياسات الاقتصادية في عصر الرئيس السادات، ذلك الخطر الذي لا زال يلازمه حتى الآن، فهو رافض على طول الخط أن يقمع عقله أو يساير الواقع أو أن يقبع في برج عاجي بعيدًا عن المجتمع الجماهيري، والذي يسكنه غيره من المفكرين القانعين بضرورة انفصالهم عن العامة باعتبارهم "نخبة".

مراد وهبة، أستاذ الفلسفة في جامعة عين شمس، وصاحب العديد من المؤلفات الفكرية والفلسفية، سعى على مدار سنواته التسعين، أن يكون سقراط في القرن العشرين، أن يتنازل عن "عرش الفلاسفة" إلى حيث يوجد الجماهير، يحاورهم ويغيّر من معتقداتهم السائدة المتوارثة عن غير تفكير، وتحمّل في سبيل ذلك الكثير من الهجوم والحملات الشعواء التي اعتبرته خطرًا على المجتمع.

يشغل الدكتور مراد وهبة عضوية العديد من الأكاديميات والمنظمات الدولية المرموقة، كما أنه مؤسس ورئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير العام في العام 1994 م، ويعتبر من بين الـ500 شخصية الأكثر شهرة في العالم، وفقًا لموسوعة الشخصيات العالمية، وشارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات المتعلقة بالفلسفة حول العالم، له العديد من المؤلفات الهامة مثل "المذهب عند كانط"، "العنف والمقدس"، "المذهب في فلسفة برجسون"، "رباعية الديمقراطية"، "الأصولية والعلمانية"، "فلسفة الإبداع"، "مستقبل الأخلاق"، وغيرها الكثير.

ولد مراد وهبة في 13 أكتوبر 1926 م، في مدينة أسيوط في جنوب مصر. درس الفلسفة في جامعات القاهرة وعين شمس، ونال الدكتوراه من جامعة الإسكندرية، وعقب الهجوم الضاري الذي واجهه بعد المؤتمر الذي عقده بعنوان "الفلسفة ورجل الشارع"، لا زال وهبة يمارس دوره في التنوير من خلال منتدى ابن رشد الذي أسسه، ومن خلال كتاباته وعمله في الجامعة.

يمتلك مراد وهبة العديد من الأفكار التي تعد صادمة للكثيرين، هو ضد الجماعات الدينية والإسلامية بكافة تفرعاتها، يرفض الفصل بينها ويعتبرها فروعا كثيرة من أصل واحد هو "الأصولية الدينية"، تلك الأصولية التي ساهمت في تخريب العقل العربي، وحرمانه من التفكير الناقد الذي يجعله ينظر إلى المستقبل، ويقبل بالعلمانية التي تدفع نحو تطور المجتمعات والتي تعد البديل الوحيد للوغاطيقية الفكرية.

يطالب وهبة دومًا بإحياء فلسفة ابن رشد في العالم العربي والإسلامي، فهي فلسفة تدعو إلى إعمال العقل والنظر في باطن النص الديني وليس في ظاهره، يؤمن أن التطور والتقدم يستدعي إعادة فلسفة ابن رشد إلى التطبيق، والبقاء في دائرة التخلف يأتي من الإبقاء على فكر ابن تيمية المستشري في العقليات العربية.

الجديد: ترنح الفكر العربي، عبر فترات التاريخ المتعاقبة، بين الجمود الذي عززته الأصولية الدينية في كثير من الأحيان، والتمرد الذي كان عاجزًا عن الوصول به إلى الثورة الفكرية القادرة على التغيير الجذري للأفكار المتوارثة.. برأيك ما سبب هذا القصور، وما السبيل نحو تجاوز الحال الموصوفة؟

مراد وهبة: ترنُّح الفكر العربي وعجزه عن القيام بثورة فكرية شاملة يرجع إلى عجزه عن تجاوز رؤية مستقبلية، وأنا أعبر عن الرؤية المستقبلية بمصطلح "الوضع القادم" في مواجهة "الوضع القائم"، فعندما يكون الوضع القائم في أزمة يجب استدعاء "الوضع القادم" للتفكير في حلول لهذه الأزمة، وبغياب الوضع القادم يظل الوضع القائم في حالة أزمة، وإن تمرّد على الأزمة لن يستطيع تجاوز الوضع القائم".

وفي رأيي أنه يخلط بين فكرين: فكر أصولي يعيش في الماضي لاستعادة زمن نقاء وصفاء مزعوم، لا يعترف بسنن التطور والتقدم ولا بتاريخية النص الديني، وفكر عقلاني حداثي لا يلتزم بحرفية النص الديني، بل يطرح له تأويلا جديدا وقراءة مستنيرة، مستفيدا من المناهج النقدية الحديثة للخروج من العهد الفقهي، على غرار اجتهادات نصر حامد ابو زيد ومحمد الطالبي ومحمد عابد الجابري وعبدالمجيد الشرفي وهشام جعيّط ويوسف الصدّيق. فالتراث، وإن لم يكن خيرا كله، ليس شرا كله أيضا، ففيه نجد أعلاما أثروا الفكر الإنساني كابن سينا وابن خلدون والمعري (نعم، المعري، ملهم دانتي الغيبري) مثلما ساهمت في تطور الحضارة الغربية.

حاولت إحياء فلسفة ابن رشد في مواجهة فكر ابن تيمية، لكنني قوبلت بهجوم شرس، واتهموني بأنني "سيبي النية" في تبني ابن رشد، كما جاءتني تهديدات بالقتل، فلأسف نجح ابن تيمية في التأسيس للوهابية والأصولية الدينية، وجاء القرن العشرين لتبرز جماعة الإخوان المسلمين التي تتبنى الفكر ذاته، وبالتالي ستظل الحضارة الإسلامية متخلفة طالما أنها مستندة إلى أفكار ابن تيمية الرافضة لإعمال العقل.

إحياء فلسفة ابن رشد يحتاج إلى جرأة عقلية، تلك الجرأة القادرة على الحفر في النص الديني لمعرفة المعنى الباطن، وبالتالي التحرر من المعنى الظاهر، ما يؤدي في النهاية إلى الانطلاق نحو آفاق أرحب وتسمح بالإبداع، مع ابن رشد يوجد إبداع، ولكن مع ابن تيمية سيموت الإبداع، ربما خلق فلسفة ابن رشد من جديد.

تعدد الأجوبة

الجديد: كان لك مشروع هو "الإبداع والتعليم"، طرحته في العام 1988، ولكن لم يتم تطبيقه.. ما تفاصيل المشروع؟ وهل ما زال مناسبا، ما هي السبل الممكنة لتطبيقه في الوقت الراهن في ظل الانحطاط الذي يعاني منه التعليم في شتى البلدان العربية؟

مراد وهبة: طرحت فكرة المشروع على رئيس الوزراء آنذاك، أحمد فتحي سرور، ورحب بها، لكن القيادات في الوزارة رفضت تمامًا مشروع الإبداع، وبركز مشروع "الإبداع والتعليم" على منع التلقين والحفظ، لأن التلقين هو الحفظ بجعل الفرد يعتقد واهمًا أنه وصل إلى الحقيقة المطلقة، فوجود المناهج الدراسية الثابتة والمعلم الذي يلقنها للطلاب يجعل اليقين لدى لطالب مرتبطا بمدى حفظه وتذكره للمناهج الدراسية.

وقلي يتم إيجاد مجال للإبداع إلا به من قبول تعدد الأجوبة، وهذا يحتاج قراءة متسعة خارج المقرر ليكون الطالب قادرًا على التنويع في إجاباته، وذلك يأتي أولا بإلغاء الكتاب المقرر ليكون أحد الكتب المقررة، كما يجب ألا تحتل الاختبارات كل هذا الاهتمام المبالغ فيه، وذلك عن طريق تقليل النسب المئوية المخصصة للاختبار، في مقابل التركيز على البحث والأنشطة وغيره مما ينمي الإبداع، أيضا لا بد من تقليل المقررات الدراسية لتقليل ضخامة العدد في الفصول لاستيعاب أفضل.

في هذا الإطار، كانت لي تجربة عملية، فعندما كنت أدرس للطلاب في عامهم الثاني في كلية الآداب قسم الفلسفة، كنت أطلب منهم القراءة في موضوع معين من عدة كتب ومؤلفات، وتكون المحاضرة حوار بيني وبينهم، كما يجري الاختبار في المكتبة ودون ملاحظين، وفي هذه الحالة يمكنهم الاستعانة بالكتب، وتمّ محاسبتهم ليس على كمّ المعلومات التي يوردونه أو مدى تذكرهم للمعلومات، بل على قدرتهم على الربط بين الأفكار، لكن عندما طرحت التجربة على مجلس الكلية، قوبلت بالرفض الجماعي، فالبعض قال إنها مخالفة للائحة الكلية، وآخرون اعتبروا ما يحدث غشا جماعيا.

أعتقد أن مشروع الإبداع لن يكتب له التطبيق في ظل هيمنة جماعة الإخوان المسلمين على المؤسسات التعليمية والثقافية، فرغم وجودهم خارج السلطات، إلا أن تغلغل فكرهم يجعلهم متحكمين فكريًا في كل ما يتم إنتاجه.

فكرة التساؤل

الجديد: ثمة أمراض عدة للتخلف تنهش في الجسد العربي، أودت إلى تطرف فكري وانحطاط أخلاقي وسيادة منظومة من القيم البالية المستهلكة.. كيف يمكن الشفاء من هذه الأمراض في ظل استفحالها؟

مراد وهبة: يجب تسليط الضوء على المحرمات الثقافية من خلال العقل الناقد للوصل إلى كمّ الوهم الذي يعشّش في العقل العربي، على سبيل المثال، الانشغال بالحديث عن عمل المرأة يبرز هيمنة المحرمات الثقافية على الذهنية العربية، التي لا زالت قاصرة عن إعطاء مساحات من الحرية في التفكير والحياة، أيضا التربية مهمة جدا لتعزيز العقلية الناقدة؛ فلا بد من إعطاء مساحات من الحرية للطفل حتى سبع سنوات لكي يخطئ ويدرّب على الخطأ والصواب دون تكبيله وفرض أفكار بعينها عليه، ويجب تعزيز فكرة التساؤل لديه، وتشجيعه على البحث والتفكير.

كبت الإبداع مسؤولية فردية واجتماعية، من الممكن أن يمنع المجتمع الإبداع ويغامر الأفراد بتبني أفكار مغايرة للسائد، ويتحمّل نتيجة خروجه عن المعتقدات السائدة، فعندما غامر الكاتب فرج فودة بالحديث عن العلمانية وأهمية تطبيقها كان القتل مصيره، وعندما تحدث جالليلو عن دوران الأرض حول الشمس تمت محاكمته، وكل ذلك نتيجة للتخلف، هي مغامرة لا بد منها للقضاء على التخلف، فالفيلسوف الألماني كانط كان يقول "كن جريئا في إعمال العقل".

الجديد: قدّم الأنثروبولوجي البريطاني "إدوارد تايلور" اول تعريف للثقافة بانها "الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوًا في المجتمع .. هل تنظر إلى الثقافة النظرة ذاتها؟ أم لديك تعريف مختلف، وما تقييمك لوضع الثقافة العربية في الوقت الراهن؟

مراد وهبة: النسق الثقافي مكوّن من مجموعة قيم ومبادئ، وهذا النسق يأتي في مرحلة ولا بد من تغييره نتيجة التطور وعدم تغييره سيؤدي إلى التخلف، فعندما يكون الوضع القائم مازومًا ولا توجد رؤية مستقبلية لتغييره، هنا يحدث التراجع والتخلف، أختلف مع تعريف تايلور في تحديد ماهية هذا الكل المركب، هل هو استاتيكي أم ديناميكي، لا بد أن يكون النسق الثقافي ديناميكيًا لأنه قابل للتغير، وبالتالي لا يجوز أن نكتفي بقول "الكل المركب" دون تحديد مدى التغير.

الديناميكية هي الأصل في الأنساق الثقافية، لكننا في الوقت الراهن نواجه نسقًا ثقافيًا متخلفًا، ويعاني من الجمود والاستاتيكية، إذ إن الثقافة العربية متأثرة بفكر الجماعات الأصولية وجماعات الإسلام السياسي، والتي تستند إلى فكر ابن تيمية، والتخلص من ذلك يستدعي التخلص من الأصوليات الدينية وفكر ابن تيمية المستشري في العقلية العربية.

التطور والنهضة في أوروبا لم يحدث إلا بعد استدعاء فلسفة ابن رشد، في القرن 13 لأن الإمبراطور فردريك الثاني يعارض رجال الدين، ويقف مع طبقة التجار التي نشأت حول القصور الإقطاعية، فتصحه باستشاروه بضرورة ترجمة مؤلفات ابن رشد لأهميتها في الإصلاح، وبالفعل اصدر قرارًا بترجمة مؤلفات ابن رشد، في الوقت ذاته كان ابن تيمية يبث أفكاره الظلامية في العالم الإسلامي والعربي، وهو ما نتج عنه نهضة أوروبية وتخلف عربي.

العاجز والجريء

الجديد: في ظل انهار الدماء التي تسيل في الدول العربية، والمصير المخزي الذي وصلت له إيران ما تطلق عليه "ثورات الربيع العربي".. هل تظن ان المثقف وقف عاجزًا عن التغيير بينما يرفض التعرّض لمثل تلك المحرمات، أي الدين والجنس والسياسة، وتناولها بعقل ناقد لأنه ملزم بالماضي، وإن "الماضوية" التي يعاني منها تجعله عاجزًا عن التفكير في المستقبل، ولكن لم ينجح في نظره إلا بامتلاك ما يسميه العقل الناقد والتحلي برؤية مستقبلية "تخلّص الذهنية العربية من الالتزام بالماضي والحياة فيه، وإحكامه بطلقها في نوع من الحسم الذي لا يقبل مراجعة والتعميم الذي لا يستثني أحدا. وهذا في حدّ ذاته مأخذ كبير سنفصّل القول فيه أدناه.

> امتلاك رؤية مستقبلية يحتاج إلى تخلص الذهنية العربية من الالتزام بالماضي والحياة فيه، «الماضوية» التي يعاني منها العقل العربي تجعله عاجزا عن التفكير في المستقبل

مراد وهبة: نعم المثقف وقف عاجزًا عن القيام بأيّ دور إيجابي إبان ثورات الربيع العربي، بل كان عاجزًا وقت قيامها أيضًا، عندما قامت الثورات كان الشباب هو المحرك الأول والأخير لها، وهم من قادوا الثورة وطالبوا بالإصلاح، المثقف آنذاك وبعد الثورات كان مشغولًا بتحالفاته مع جماعات الإسلام السياسي وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، لذلك استولت الجماعات الإسلامية على الحكم في عدد من البلدان العربية، وهو ما أدى إلى فشل ثورات الربيع العربي في تحقيق أهدافها، لأنها لم تجد دعمًا من قبل المثقفين الذين يمتلكون رؤية مستقبلية تمكّن الشباب من تحقيق مطالب ثوراتهم.

نحتاج إلى مثقف جريء لديه رؤية مستقبلية تطرح حلولًا للواقع المأزوم، واليات للتفكير في الخروج من الأزمات الراهنة التي سببت الأصوليات الدينية في استحقالها، مثقف لديه وعي بأهمية العلمانية في الخروج من الأزمات الراهنة، يجب على المثقف مواجهة الأصولية الدينية وإعلاء فكر العلمانية في المقابل، فدون العلمانية سنظل في ذلك الوضع المأزوم دون أمل للخروج منه.

> لا نفهم كيف يطالب المثقفين بالوقوف وراء فكر العلمانية، وهم في رأيه رأس الأبلاء، في نوع من التعميم المخل بالحقيقة

ينشر الحوار بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الألكتروني

مراد وهبة والتعميم المخل بالحقيقة

المثقفون العرب مولعون بمصطلح «الأزمة»

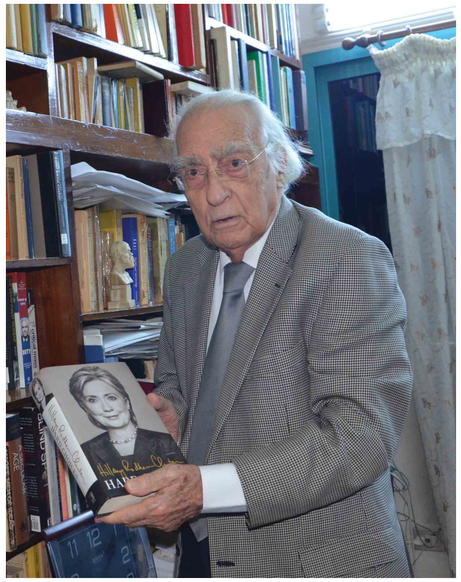

مراد وهبة.. عندما يناقض المفكر نفسه بدأ السجال

أبو بكر العيادي

❑ ينطلق مراد وهبة من توصيف للراهن يتبدّى من خلاله الوضع العربي مأزوما في شتّى أوجهه، ففكره ماضوي ومنظومته التعليمية تقليدية ولغته عاجزة عن مواكبة التطور ونخبته متعالية على العامة ومثقفوه متواطئون مع الحركات الأصولية، ولا مخرج في نظره إلا بامتلاك ما يسميه العقل الناقد والتحلي برؤية مستقبلية "تخلّص الذهنية العربية من الالتزام بالماضي والحياة فيه"، وإحكامه بطلقها في نوع من الحسم الذي لا يقبل مراجعة والتعميم الذي لا يستثني أحدا. وهذا في حدّ ذاته مأخذ كبير سنفصّل القول فيه أدناه.

العربية ومعضلة التلقين

من المسلّمات حديثُه عن أسلوب التلقين والحفظ كسبب أساس من أسباب فشل المؤسسات التربوية العربية في تخريج أجيال واعية لا تواجه الواقع باسترجاع ما خزّنته الذاكرة، بقدر ما تستهدي بفكر نيّر ناقد لفهم تجليات ذلك الواقع ومستجداته، فقد وقع التنويه به مرارا وتكرارا في تقارير سائر الخبراء العرب، سواء على مستوى الوزارات المعنية أو في إطار الإليكسو، دون أن تعدل تلك المؤسسات عن أسلوبها المعتاد. والسبب، فيما يرى الأستاذ وهبة، "هيمنة جماعة الإخوان المسلمين على المؤسسات التعليمية والثقافية"، فيقول "فرغم وجودهم خارج السلطات، إلا أن تغلغل فكرهم يجعلهم متحكمين فكريًا في كل ما يتم إنتاجه".

قد يصح ذلك على مصر، ربما، ولكن كيف نفسر حدوث الفشل نفسه في أقطار عربية أخرى لم تعرف الإخوان، أو كانت الإصلاحات التربوية فيها سابقة لتغول الحركات الإسلامية.

ففي تونس مثلا، بدأ الاستئناس بالمناهج الغربية، الفرنسية بخاصة، منذ الاستقلال، ووقع التركيز على تنمية الفكر النقدي لدى المتعلمين في شتّى مراحل الدراسة، ولا يمكن بحال، رغم ذلك، أن نزعم أن المنظومة التربوية التونسية نجحت في تخريج أجيال ذات تعليم جيد، فإن استطاعت أن توجد نخبة متميزة في شتى حقول المعرفة، فإن السواد الأعظم نصف أميّ، لا يتقن العربية ولا الفرنسية، وأعداد المنقطعين عن الدراسة سنويا بالآلاف.

هذا الفشل لا علاقة للإخوان به، فسببه خيارات سياسية متهافتة، خصوصا في عهد بن علي، حين صارت القرابة تنوب عن الجدارة، وصارت الشهادة، كذم بعض النفوس، تباع وتشترى. عهد من سماته حصول الأميّين بن علي وزوجته على شهادة الدكتوراه من جامعتي بادوفا الإيطالية وتولوز الفرنسية بتدبير ممّن لهم في ذلك منفعة. هذه الأجيال الضائعة، هي التي تستغلها الحركات الأصولية لنسف كل قائم. يقول فيكتور شيا، الخبير الكوري الجنوبي في جودة التعليم "لا توجد دولة تتحمل إنتاج جيل كامل دون تعليم جيد. هذا الجيل سيدمر الدولة داخليا لتتفتّت وتفقد وجودها. الشرق الأوسط أهمل التعليم والآن يدفع الثمن".

من المسلّمات أيضا حديثُه عن تدهور اللغة العربية، والمقصود هنا تدهور استعمالها لدى الناطقين بها، من هلهلة في الأسلوب، وأخطاء في نحوها وصرفها ورسمها وحتى في معاني مفرداتها، وهذا يلمسه كل متابع لصحفنا ومجلاتنا وحتى كتبنا الفكرية والأدبية، وزادته المواقع الإجتماعية فظاعة. والعناية باللغة أمر ضروري، لأن اللغة حمالة للفكر، فإن اختلّت اختل الفكر وانعدم التواصل، ولكن لا نحسب أن تطويرها يكون "بتقليل كميّة قواعد اللغة إلى ما لا يزيد عن سبع قواعد"، كما قال، دون أن ندري ما هي تلك القواعد، ولا سبب حصرها في الرقم سبعة.

وأعجب منه دعوته إلى "إتقان اختيار الألفاظ المعبّرة عن المعنى المقصود بوضوح، فضلًا عن ضرورة الربط بين اللفظ والمعنى، وعدم استخدام لفظ دون وعي بمعناه، فضل الألفاظ عن المعاني يؤدي إلى مزيد من التدهور".

ولا ندري هل أن هذا الكلام موجّه إلى المتعلمين أم إلى الكتّاب والصحافيين أم إلى المجامع اللغوية التي يرجع إليها وحدها أمر وضع الأسس الكفيلة بتطوير لغتنا على نطاق عربي شامل، وإلا انصرف كل قطر لتطوير اللغة على هواه، وربما تخيّر لهجته لتكون لغة رسمية شأن لهجة الغواراني في براغواي.

ولا نوافق ما ورد في السؤال من أن "جمود اللغة العربية بات يشكل عائقا أمام تطور العرب"، فالعكس هو الصحيح، إذ إن جمود العرب هو الذي شكم تطورها وعقل انطلاقها. هذه اللغة التي استطاعت أن تستوعب رحابة الفرس وعقلانية الإغريق لا يمكن أن تعجز عن مواكبة العصر ومستحدثاته، لما لها من طاقة لا تضاهى على النحت والاشتقاق وتطويع المصطلحات. فالذنب فينا وليس فيها.

أزمة الفكر العربي

من المسائل الأخرى التي باتت في عداد المسلمات حديثه عن أزمة الفكر العربي، وليس أحبّ إلى العرب من الحديث عن الأزمات منذ عقود، حتى لا يكاد يمرّ يوم دون أن تطالعنا عناوين من نوع "أزمة الفكر السياسي"، "أزمة الفكر القومي"، "أزمة الفكر الديني"، "أزمة العالم العربي والإسلامي"، "أزمة الفكر والسياسة"، "أزمة العقل العربي".. في غمط واضح لجهود مفكرين أمثال محمد أركون وطيب تيزيني وحسين مروة وعبد الله العروي وهشام جعيط وزكي نجيب محمود وفؤاد زكريا وجلال صادق العظم وآخرين.

والأستاذ وهبة يعزو تلك الأزمة إلى سببين: أوّلهما انشداد العقل العربي إلى الماضي، وثانيهما هيمنة "المحرمات الثقافية" على الذهنية العربية، وفي رأيه أن العقل العربي يرفض التعرّض لمثل تلك المحرمات، أي الدين والجنس والسياسة، وتناولها بعقل ناقد لأنه ملزم بالماضي، وإن "الماضوية" التي يعاني منها تجعله عاجزا عن التفكير في المستقبل. ومن ثمّة يدعو إلى استشراف "الوضع القادم" لمواجهة "الوضع القائم"، حيث يقول "عندما يكون الوضع القائم في أزمة يجب استدعاء "الوضع القادم" للتفكير في حلول لهذه الأزمة. وبغياب الوضع القادم والأخذ بالأنظمة السياسية في البلاد العربية، وتبدّل أمزجة حكامها، فهي التي تمنع في تونس بحسب الظروف والأهواء حاكما حدث في تونس في عهدي بورقيبة وبن علي، مثلما تختلف ردود الناس إزاءها بحسب طبيعة المجتمع وثقافته وانفتاحه، ولا يمكن بالتالي أن نحكم بأن العقل العربي، برمته، يفكر في إطارها. فإذا كان بعض المفكرين قد تجنب الوقوع في "المحظور" لتلافي الرقابة وجرائرها، فإن بعضهم الآخر لم يتوان عن إبداء رأيه بجرأة حتى في أوج سطوة الإسلاميين، على غرار محمد الطالبي الذي صرّح على الهواء مباشرة أن "الشريعة ركام من التعاليق على حواشي الإسلام، أنتجت خلال القرن الثاني الهجري، وما هي سوى قانون أسّس لفائدة الطغاة الراغبين قبل كل شيء في التحكم والقتل بشكل قانوني". وما زال يخوض معركته ضد الأصوليين

> نجد ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومحمد بن عبدالوهاب ونعمان الآلوسي.

والفرق أن من عوّاد الماضي من يستمسك به بعلاته لغايات صارت الآن معلومة، ومنهم من يدرسه ويغربله مما ترسّب فيه من شوائب، ويستلهم منه ما يساعد على فهم الحاضر وتجاوز مشكلاته. ولا نحسب أن إحياء الأستاذ وهبة لفكر ابن رشد، أكبر رموز تراثنا العقلاني، يخرج عن هذا الإطار.

إن الرؤية المستقبلية التي يدعو إليها المفكر المصري محمودة في المطلق، ولكن لا يمكن بحال أن تستغني عن التخطيط المسبق انطلاقا من الحاضر، عن طريق علاج الوضع القائم حتى يكون قاعدة لارتياد المستقبل وليس العكس، فمن لا يملك ثروة مادية ولا ثروة بشرية متعلمة يائقن لا يمكن أن يحلم بغزو الفضاء، لمجرّد أنه يتوق إلى تحقيقه.

ثم إن المستقبل زمن لم يحدث، وقد لا يحدث، وليس من الحكمة أن نتوسّل بما لا نثق في حدوثه لحل أزمات الوضع القائم، الآن وهنا. فكم من خطط تنموية في هذا القطر أو ذاك باءت بالفشل الذريع، لأسباب ذاتية (سوء تقدير، سياسة مرتجلة) أو موضوعية (حروب، أزمات إقليمية، كوارث طبيعية)، ولا سبيل لنا حينئذ إلا الحفر في الماضي دونما تقديس، لتخيّر ما ينفع.

تقول الفيلسوفة الفرنسية سيمون وايل (1909–1934) "من العبث أن ندير الظهر للماضي بلا نفكر إلا في المستقبل، فالمستقبل لا يقدّم لنا شيئا ولا يعطينا شيئا، نحن الذين نعطيه كل شيء من أجل بنائه، نعطيه حق حياتنا. ولكن لكي نعطي، ينبغي أن نمتلك، ونحن لا نملك من الحياة والحلم والنسغ سوى كنوز ورثناها من الماضي وهضمناها وتمثلناها وأعدنا خلقها".

أما المحرمات الثقافية (التابوهات)، وإن كانت إجماعا يقينيا متوارثا تشكل على مر الأحقاب في هيئة سلطة قامعة، فإنها تختلف باختلاف الأنظمة السياسية في البلاد العربية، وتبدّل أمزجة حكامها، فهي التي تمنع في تونس بحسب الظروف والأهواء كما حدث في تونس في عهدي بورقيبة وبن علي، مثلما تختلف ردود الناس إزاءها بحسب طبيعة المجتمع وثقافته وانفتاحه، ولا يمكن بالتالي أن نحكم بأن العقل العربي، برمته، يفكر في إطارها. فإذا كان بعض المفكرين قد تجنب الوقوع في "المحظور" لتلافي الرقابة وجرائرها، فإن بعضهم الآخر لم يتوان عن إبداء رأيه بجرأة حتى في أوج سطوة الإسلاميين، على غرار محمد الطالبي الذي صرّح على الهواء مباشرة أن "الشريعة ركام من التعاليق على حواشي الإسلام، أنتجت خلال القرن الثاني الهجري، وما هي سوى قانون أسّس لفائدة الطغاة الراغبين قبل كل شيء في التحكم والقتل بشكل قانوني". وما زال يخوض معركته ضد الأصوليين السلفيين وفهمهم القاصر للإسلام رغم إباحتهم دمه، ويعتبر أن القرآن هو مرجعه الوحيد.

المثقفون والعلمانية

إضافة إلى الرؤية المستقبلية، يدعو الأستاذ وهبة إلى تبني العلمانية كضامن وحيد للخروج من المشهد المأزوم، ولكن يبدو من قوله "وهو ما يحتاج جرأة ومغامرة من المثقفين لتبني الفكر العلماني المنبوذ والمحارب" أنه يخلط بين العلمانية بما هي استبعاد للدين عن الدولة مع ما يتبع ذلك من مبادئ حرية الضمير والمعتقد واحترام كل الخيارات الروحية والفلسفية بما لا يضر بالمجتمع، وبين الفكر العلماني الذي يعالج الظواهر المجتمعية، حتى الدينية منها، بفكر عقلاني يؤمن بالنسبية وينبذ الدغمائية، وهو ما يُفهم من توجيهه دعوته إلى المثقفين أساسا، والحال أن تطبيق العلمانية موكول للدولة عبر مؤسساتها النيابية، كما وقع في فرنسا عند التصويت على قانون 1905، مثلما يُفهم من تعريفه العلمانية بكونها "التفكير في النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق، وبالتالي التحرر في الظاهرة تحت مظلة العقل الناقد وليس تحت مظلة الفتوى الدينية". ومن قوله أيضا "الفكر العلماني يدعو إلى إعمال العقل الناقد في شتّى جوانب الحياة، والنبش في المعتقدات اليقينية للوقوف على مدى صحتها، ولا يدّعي امتلاك أيّ حقائق مطلقة".

ولا نفهم كيف يطالب المثقفين بالوقوف وراء فكر العلمانية، وهم في رأيه رأس البلاء، في نوع من التعميم المخل بالحقيقة، جوهر المبحث الفلسفي إلى جانب الحكمة، حيث يقول "المثقفون يقفون ضد الفكر التنويري وضد العلمانية، بسبب تلاحمهم مع الجماعات الدينية، وعلى رأسها جماعة الإخوان، وذلك على مستوى العالم، وليس العرب فقط".

> أنه يخلط بين فكرين: فكر أصولي يعيش في الماضي لاستعادة زمن نقاء وصفاء مزعوم، لا يعترف بسنن التطور والتقدم ولا بتاريخية النص الديني، وفكر عقلاني حداثي لا يلتزم بحرفية النص الديني، بل يطرح تأويلا جديدا وقراءة مستنيرة

* كاتب من تونس مقيم في باريس

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الألكتروني

إنزال الفلسفة عن عرشها

في العلاقة الملتبسة بين المثقف والسلطة

خلدون الشمعة

رسم لبهرام حاجو: الفن يعكس الفكر والحال الإنسانية معاً

❏ قال ماركس عن ديالكتيك هيغل إنه يقف على رأسه ويجب أن نوقفه على قدميه. وهذا ما يريد مراد وهبة أن يفعله بالنسبة إلى الموقع الذي تشغله الفلسفة في المجتمع العربي. فهو يتوق بمشروعه التربوي المنزع إلى جعل الفلسفة تقف على قدميها بدلا من وقوفها على رأسها.

وتقدم محررة مقابلته مع "الجديد" هذا المشروع مشفوعة بالعبارات التالية: "أخطر أستاذ جامعي في الجامعات المصرية. هكذا كتب في التقارير الأمنية ضد الفيلسوف والأستاذ الجامعي مراد وهبة. فهو رافض على طول الخط أن يقمع عقله أو يساير الواقع أو أن يقبع في برج عاجي بعيدا عن المجتمع الجماهيري والذي يسكنه غيره من المفكرين القانعين بضرورة انفصالهم عن العامة باعتبارهم نخبة".

ولكي ندرك مدى تضاد هذه النزعة الطوباوية المغرقة في التفاؤل مع الواقع العياني، حسبنا أن نشير إلى أن القراءة "الوظيفية" التي يقترحها صاحب هذا المشروع للفلسفة، لا بد أن تؤدي بنا إلى معاينة خيارات الفاعلين الرئيسيين في مشروع الدكتور وهبة، وأعني بذلك الخاصة والعامة أو النخبة والجماهير.

ما هي هذه الخيارات؟ وهل يمكن أن يتصرف هذان الفاعلان الرئيسيان بمعزل عن المصلحة الخاصة لكل منهما عندما يتعلق الأمر بممارسة خيار عقلاني مستقل لا يتناقض مع ما ندعوه بالمصلحة العامة؟

الخيار العقلاني حسب نظرية "الخيار العقلاني" في علم الاجتماع يمكن التمثيل عليه بـ "الباراديم" أي الأنموذج المعتمد، وهو أحد النماذج المتاحة للفاعل الرئيسي (الخاصة أو العامة) في تعامله مع الحدث. وكما هو معروف فإن هذه النظرية الشائعة في العلوم الاجتماعية تفترض أن يكون الفاعل الرئيسي صاحب هدف أو قصد Purposive أي أنه يسعى إلى تحقيق نتيجة محددة من فعل الاختيار. وهذا الافتراض ليس مجرد تعميم بل افتراض بديهي يفسره ما يدعى بمفهوم التفاؤل المفرط Optimization لدى الفاعل الرئيسي الذي يتصرف بعقلانية تتسم بالميل إلى (تجميل) خياره وجعله أقرب ما يكون إلى الكمال.

ويتمثل تجميل الخيار بالمبالغة في تقدير حجم الفوائد المتوخاة فيه والتقليل من حجم تكاليف تحويل الخيار إلى حقيقة واقعة.

يخيل إليّ أن هذا ما حدث بالنسبة إلى مشروع الدكتور وهبة التنويري. فمحاولته جعل الفلسفة تقف على قدميها بدلا من رأسها يمكن تفسيرها باللجوء إلى مفهوم "التفاؤل المفرط أو المبالغة في تجميل الخيار التنويري إلى حد الاستخفاف المفرط بالصعاب التي تحول دون تحقيقه، أو ربما المغالاة التي تصل حد الغلواء في تجربة النزول بالفلسفة من أبراجها العاجية إلى رجل الشارع". فهو يخبرنا أنه عقد مؤتمرا بعنوان "الفلسفة ورجل الشارع" كان قطبه محاورة رجل الشارع البسيط في محاولة للتعرف على طريقة تفكيره وتغييرها. ولتحقيق هذا الهدف أحضر للمؤتمر بائع بطاطا كممثل لرجل الشارع وشرع بسؤاله: من هو الفيلسوف؟ فقال له: نقول عليه "أبو العريف". وهو يستنتج بالاعتماد على تلك التجربة أن ذلك الرجل البسيط على علم ودراية بمعنى الفلسفة، وأنه عبّر عن ذلك بأسلوبه البسيط. ويضيف "ثم حاورته في المشاكل التي يعاني منها وكيف أن تغيير طريقة تفكيره ربما تساهم في حل هذه المشكلات، لكن المؤتمر قوبل بهجوم شديد من قبل المثقفين واتهموني بتخريب القيم والتراث". هذه التجربة تطرح التساؤل التالي: هل الفلسفة قادرة حقا على تغيير ذهن رجل الشارع البسيط؟ ثم ألا يسيء هذا التبسيط المخل لمعنى الفلسفة؟ وهل سبب اعتراض المثقفين على المشروع هو ذلك التبسيط المخل لمعنى الفلسفة ولمفهوم العلمانية أم الاعتراض على فكرة الفصل بين الدين والدولة؟

> وهبة محق في شعوره بظلامة إزاء مواقف بعض المثقفين الرافضين لانتشار العلمانية من مشروعه التنويري. ولكني لا أجد أن من المقنع اعتبار كل المثقفين معادين لمحاولته إحياء مفهوم العلمانية المتمثل في فكر ابن رشد

يرى الدكتور وهبة أن الفلسفة (يذكرها دون أن يقرن بها التربية عموما أو التغلب أولا على الأمية الأبجدية والثقافية في المجتمع) قادرة فعلا على تغيير أذهان العامة، وأن ما يحول دون تحقيق تلك الأمنية هو السد الذي يواجهها والذي يتمثل على حد قوله في "المحرمات الثقافية الرافضة للتعامل مع رجل الشارع العادي".

وهذا في تقديري تبسيط شديد لفكرة النهضة والتنوير في تجربة العرب المعاصرين، بل لعل من الأفضل القول إنه تبسيط مخل يصل حدّ الوقوع في الاختزال. وقد اخترت الإشارة إلى مصطلح "الاختزال" عمدا للتذكير بمعناه المعتمد في الفلسفة والعلوم الاجتماعية. إن تجربة النهضة والتنوير قد اختزلت في مثال إنزال الفلسفة عن عرشها على نحو تم فيه، لتحقيق هذا الهدف، استبعاد أو تجاهل كل أو بعض مكوناتها البنيوية من الناحيتين: الإجرائية والتاريخية في وقت معا.

وتتويجا لهذه النزعة الاختزالية الجامحة ينتهي مراد وهبة إلى أن المثقفين هم الذين "يقفون ضد الفكر التنويري وضد العلمانية" ويعود ذلك في رأيه إلى "تلاحمهم مع الجماعات الدينية وعلى رأسها جماعة الإخوان، وذلك على مستوى العالم وليس العرب فقط. فالكثير من المؤسسات في العالم يدخل في تحالفات مع جماعة الإخوان المسلمين".

هذا التعميم قد ينطوي على شيء من الصحة إذا نظرنا إليه من منظور المركزية الثقافية المصرية، ويطابق الوضع المصري أكثر من سواه. ولكنه لا يطال البحث في أسباب نشوء ظاهرة الإسلام السياسي الذي جاء ليملأ الفراغ الذي خلّفه قمع الدكتاتوريات العسكرية للمجتمع المدني ولحرية العمل السياسي عموما.

والغريب أن تحميل المثقفين مسؤولية الحيلولة دون انتشار الفكر التنويري في العالم العربي، والعلمانية تحديدا، يقدم في الحوار مشفوعا بتبرئة الحاكم، ومعللا على النحو التالي: "ربما يمكن القول إن المثقف هو الأساس وليس الحاكم وإن دور الحاكم ينحصر في أن يختار ما بين عدة اختيارات ثقافية يصنفها المثقف. عندما قامت الثورة الفرنسية كان المثقفون هم المحرك الأول لها، إذ كانت برجوازية تستند إلى التنوير والعلم. وفي التاريخ العربي الشيخ أبو حامد الغزالي قام بتكفير الفلاسفة ومنهم ابن رشد في كتابه 'تهافت الفلاسفة'..".

هذه التبرئة المدهشة للحاكم المتمثل في طاغية أو مستبد عادل، لا تدع لنا مجالا للشك في أن الدكتور وهبة يتجاهل حقيقة العلاقة بين الحاكم والمثقف على مر العصور.

إن العلاقة بين طرفي هذه المعادلة يمكن أن توصف بأنها علاقة سجالية مراوغة.

> التبرئة المدهشة للحاكم المتمثل في طاغية أو مستبد عادل، لا تدع لنا مجالا للشك في أن الدكتور وهبة يتجاهل حقيقة العلاقة بين الحاكم والمثقف على مر العصور

وقد رسم ابن خلدون في نهاية القرن الرابع عشر صورة واقعية لدور المثقف بعيدة عن شطحات البلاغة الثقافية غير الواقعية، عندما تحدث عن أرباب الأقلام الذين دعاهم بـ"آلة السلطان التي يستظهر بها على تحصيل ثمرات ملكه والنظر إلى أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله". فالمثقف العربي، شأنه شأن المثقف الغربي، بحاجة إلى بلاط يرعاه، والبلاط كان بدوره بحاجة إلى المثقف. صورة ابن خلدون هذه هي في رأينا الأشد تعبيرا عن واقع المثقفين العرب في المرحلة الراهنة.

ومع نهاية عصر النهضة العربي بإحيائيته التوفيقية التي تمكّن المثقفون خلالها من أن يكونوا من آن إلى آخر حاملين للأفكار أكثر منهم أدوات للسلطان صار من الممكن الحديث عن إشكالية مراوغة للعلاقة بين الثقافة والسلطة. ما هي حدود هذه العلاقة السجالية؟ ولماذا لم يتحوّل أحد طرفي هذه الإشكالية، ونعني به ثقافة السلطة، إلى سلطة الثقافة؟ هذا في رأينا هو السؤال.

يقول مراد وهبة إن الدكتور زكي نجيب محمود كان من أشد المعارضين لفكرة نزول الفلسفة إلى رجل الشارع العادي، وإنه عارض بشدّة مؤتمر الفلسفة ورجل الشارع، وقال له "أنت ذبحت الفلسفة في هذا المؤتمر". وعندما قابله بعدها بعشر سنوات سأله: هل مازلت على رأيك؟ انفعل جدا وقال بل أعنف. ويصف وهبة هذا الموقف بقوله: "إنه قصور عن إدراك العلاقة بين الفلسفة والتغيير".

هل هذا نابع حقا عن قصور في إدراك العلاقة بين الفلسفة والتغيير أم أنه نابع عن إدراك عميق للسيطرة التي تتمتع بها الأيديولوجيا الدينية السائدة والتي يمكن التمثيل عليها بظاهرتي التدين الشعبي والأصولية غير المسيّسة والمشفوعة بحماية أجهزة السلطة الحريصة على إخضاع الجماهير وعدم إغضابها؟

في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" الصادر في عام 1921 كتب طه حسين يقول: إنه مادام لا كهنوت في الإسلام ولم تنشأ فيه طبقة ذات منفعة معينة في سيطرة الدين على المجتمع فإنه يتعذر إجراء فصل بين الدين والمدنية مماثل لذلك الذي أجري في أوروبا فحسب، بل إن ذلك سيكون أسهل على المسلمين منه على المسيحيين.".

هذا التعليل المنطقي الصرف لإمكان الفصل بين الدين والدولة مازال معلّقا بلا حسم، مازال مجرد إمكان يعثر الباحث عليه ماثلا في أبحاث الفلسفة وعلم الاجتماع، ولكن تنفيذه ظل مؤجلا ينتظر الحاكم القادر على مواجهة الأيديولوجيا الدينية السائدة.

وعندما يرى الدكتور وهبة في جواب بائع البطاطا (ممثلا برجل الشارع المصري) عن سؤاله: من هو الفيلسوف "نقول عليه أبو العريف"، البرهان على العلم والدراية بمعنى الفلسفة، يصبح تعليق زكي نجيب محمود على هذه الواقعة واقعيا إلى حد كبير.

كما أن في إشارته إلى أن سقراط كان ينزل إلى أسواق أثينا يدعو لأفكاره الفلسفية، ويحاور رجل الشارع عن المعتقدات والتقاليد المسلّم بها تدعيما منه لفكرة العلاقة بين الفلسفة والتعبير، في تلك الإشارة تجاهل محيّر يصعب فهمه، لدور الفجوة التاريخية الفاصلة، بين الماضي والحاضر. فقد عاش سقراط في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ولا يعقل ألا يأخذ مراد وهبة كوننا في عصر آخر، عصر المعلوماتية بالقرن الحادي والعشرين، بعين الاعتبار. بل إن تعليله لأسباب انفصام العلاقة بين الفلسفة والتغيير، بالقول إنه منذ تأسيس أفلاطون لأول أكاديمية لم تخرج الفلسفة من وقتها وحتى اللحظة الحاضرة عن الفصول الدراسية، استخفاف شديد بدور الأكاديمية التي وضع أفلاطون أسسها في صناعة الفكر الفلسفي عبر العصور.

يقول الدكتور وهبة "لم أستسلم لمحاربتي بسبب محاولاتي التواصل مع رجل الشارع لكنني عزلت وظللت أمارس دوري من خلال التدريس ومن خلال منتدى ابن رشد الذي يحارب من قبل المثقفين الرافضين لانتشار العلمانية وليس من قبل السلطة، فأنا أعاني من المثقفين.. حتى عندما فصلني السادات كان يحامي للمثقفين".

لا شك عندي أن الدكتور وهبة محق في شعوره بظلامة إزاء مواقف بعض المثقفين الرافضين لانتشار العلمانية من مشروعه التنويري. ولكني لا أجد أن من المقنع اعتبار كل المثقفين معادين لمحاولته إحياء مفهوم العلمانية المتمثل في فكر ابن رشد واستنباته مجددا في فكرنا العربي المعاصر.

على هذا النحو تتكشف العلاقة الملتبسة بين مشروع منتدى ابن رشد والمثقفين لا على أنها علاقة توافق بين الطرفين بل على أنها علاقة رفض للعلمانية نفسها.

والحال أن ابن رشد ليس فيلسوف الحقيقة المزدوجة كما تخبرنا بعض أدبيات الفلسفة، بقدر ما هو فيلسوف الحقيقة الواحدة التي يمكن الوصول إليها عبر طريقين متمايزين. فهو يحاجج بالقول إنّ للحقيقة شكلين: شكل ديني وشكل فلسفي، وأنه ليس مهما إذا ما أشار كل منهما إلى وجهة تختلف عن الأخرى، فهما لا بد أن يوصلا في النهاية إلى حقيقة واحدة.

وهكذا تتحقق عملية التوفيق بين العقل والنقل، ويصير البرهان العقلي طريق الفيلسوف والإيمان طريق المتدين، وبعبارة أخرى فإن محاجة ابن رشد تعزز نوعين من الفاعلين الاجتماعيين: الفاعل المتمثل بالخاصة، والفاعل الإيماني المتمثل بالعامة. ولكن رؤية ابن رشد للدين تفصح عن رأيه في أن الدين أقل شأنا من الفلسفة كأداة لتحصيل المعرفة، وأن فهم الدين من قبل المؤمنين الذين يمثلون العامة يظل فهما قاصرا بالمقارنة مع فهمه من قبل الفيلسوف.

وعندما يناقش ابن رشد موضوع الفلسفة السياسية يطالب بدور رائد للفيلسوف الذي يمثل الخاصة. كما أنه يحط على نحو مواز من شأن رجال الدين الذين يرى أنهم لا يصلحون للقيام بدور سياسي.

آية ذلك كله أن ابن رشد يظل في علمانيته ممثلا للخاصة، ومن ثمة فإنه ليس مستعدا للتنازل عن عرش الفلاسفة للعامة. وهذا الفارق بين ما يمثله فكر ابن رشد وبين ما يدعو إليه الدكتور وهبة فارق حقيقي يتعذر تجاهله. بيد أن فيلسوفنا في تمثله لسقراط ولحوارية الطريقة السقراطية مازال يأمل في جعل الطرف المقابل في حواره مع العامة يدرك ما تنطوي عليه أفكاره ومعتقداته من خطأ وخطل. فهو يقول "في إطار الثورة العلمية والتكنولوجية ظهر مصطلح (mass) أي الجمهور والمجتمع الجماهيري، وكان لزاما على الفيلسوف أن يتلاحم مع الجمهور وإلا سيكون خارج العصر".

ويضيف "ولكن المسؤول عن الانفصال بين الفلسفة والمجتمع هو السلطة الدينية التي خضع لها كوبرنيكوس عندما قال إن الأرض تدور حول الشمس، وبعد ذلك حاكموا جاليليو عندما روّج للفكرة ذاتها، لكن في النهاية انتصر فكرهم".

> محاولته جعل الفلسفة تقف على قدميها بدلا من رأسها يمكن تفسيرها باللجوء إلى مفهوم "التفاؤل المفرط أو المبالغة في تجميل الخيار التنويري إلى حد الاستخفاف المفرط بالصعاب التي تحول دون تحقيقه

تكمن المفارقة هنا في أننا مازلنا نتحدث عن ثورة كوبرنيكية، بل إن الخطاب العربي الحديث والمعاصر يحيلنا إلى زمن مَيّت حركته على حدّ قول محمد عابد الجابري "حركة اعتماد لا حركة نقلة"، أي إنه يكرّس تموضع الحركة في نفس الموضع. وهذا المصطلح "حركة الاعتماد" يستعيره الجابري من إبراهيم بن سيار النظام، المتكلم المعتزلي المشهور تلميذ أبي الهذيل العلاف. ولكن جورج طرابيشي يفضل، وهو محقّ في ذلك، مصطلح "النكوص" أي الارتداد إلى الموضع المطفور عنه. فنحن على ما يبدو في زمن نكوص يحتاج للارتداد إلى فكر ابن رشد (1126–1197).

* كاتب من سوريا مقيم في لندن

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الألكتروني

تحرير العقل العربي والمشروع النهضوي

المواطنة والحداثة وجدار الأيديولوجيا الدينية

خطار أبودياب

❑ بعد القرن العشرين وخيباته، بدأ العقد الثاني من القرن الحالي بتدشين زمن الحالات الثورية العربية التي ترمز عند البعض إلى اليقظة، وعند البعض الآخر إلى حركات انعتاق وتحرر، والتي وصمها رعيل المسكونين بالاستكانة بأنها مجرد مؤامرة خارجية.

بدل الدعم والتحفيز من المثقفين أو التنويريين، راقبنا كيف أن الكثير من صانعي القرار السياسي أو من مثقفي أو نخب الجيل المعاصر للاستبداد ناكفوا أو تملّقوا أو ناهضوا ما يسمى الربيع العربي. ولكن الأهم كان الخروج من حالة الجمود الخانق والانحطاط، وتسجيل الشباب العربي نجاحات محدودة في بدايات صنع واقع جديد.

مع سقوط سد برلين نهاية الثمانينات من القرن الماضي ومع نهاية الحرب الباردة، لم تنتصر مثالات الديمقراطية أو الخيارات الحرة في العالم، لكن حصلت تحولات في هذا الاتجاه في العديد من بلدان أفريقيا وأميركا اللاتينية وغيرها إلا في العالم الغربي الذي بدا عصيا على اختراقات الديمقراطية. وأتى تصاعد الإرهاب في مصر (قضية فرج فودة ومثيلاتها) وعقد التسعينات الدموي في الجزائر، ليكرسا واقع الانسداد في غالبية دول العالم العربي بين أنظمة الاستبداد والحركات الإسلامية أو بين الجيش كمؤسسة الدولة " العميقة" والقوى المنبثقة من الإسلام السياسي على تنويعاته والتي أخذت تحتكر ساحات المعارضة (معادلة القصر والجامع) نظرا لانحدار الحركات القومية واليسارية والليبرالية ولانحسار مساحة الحريات. لم تشذ ديناميكيات هذه المنطقة عن تطور "العمران والمجتمعات" حسب ابن خلدون وتركيزه على العصبية في الإمساك بالحكم وهذه المرة من خلال تمجيد الشخص القائد والحزب القائد والجيش القائد أو الرابطة الدينية أو الفئوية. إنها مشكلة الشرعية في منطقة كادت تصبح فيه الشرعية الحقيقية للحاكم أو للسلطة سلعة نادرة، لذا كان لا بد من قضايا مثل قضية فلسطين أو الدين بحد ذاته إلا الغطاء لاكتساب شرعية إزاء النقص في التمثيلية أو في المسافة بين الدولة والمجتمع.

ومما لا شك فيه أن هذا المأزق السياسي والعملي هو مأزق فكري يتصل بالجدل حول العلمنة والمواطنة ونموذج الحداثة المناسب. مقابل الأيديولوجية الإسلامية التي تركز على الأمة وتنسى الأوطان ومصالح الدول ، أخذت تصعد أيديولوجية الدولة والجيش وفق نظرة تمثل تكريسا لثنائية الجيش والإسلامويين وعدم الاعتراف بديناميكيات أخرى أو مقاربات غير أحادية تقر بوجود أسباب أخرى للانحطاط (بالرغم من أخطائها وهفواتها لا يمكن تحميل الحركات الإسلامية لوحدها كل أسباب انهيار التحولات العربية قبل 2011 وبعد 2011). تاريخياً، لعب "علماء السلطان" دورا كبيرا في ديمومة الأنظمة القائمة بغض النظر عن شرعيتها وتمثيليتها. ومنذ حقبة 2011، يبرز دور "مثقفي ومفكري الدولة" الذين لا يكتفوا بدعم بقاء الدولة في زمن انهيار الدول الوطنية، لكنهم يجهدوا لتبرير القمع أو التغاضي عنه.. ويصل ذلك إلى الاستعلاء على "الجمهور-القطيع" أو "الجماهير" أو بالأحرى كل ما هو آخر ومتناقض مع "الطرح الرسمي". لا يندرج المفكر المصري مراد وهبة ضمن الفئة المثقفة المشار إليها أعلاه، لكن يتضح من قراءة الحوار معه في "الجديد" وأحكامه الحاسمة (مثل موت الفلسفة) أو نظرته المتشائمة حيال آفاق التغيير والمواطنة، تدفع للقول إن "التفكير السلبي" أو "الموقف المتحمس والإنكاري"

> الدولة العربية ما بعد الاستقلال هي في الغالب ثمرة نكبة 1948 في المشرق وصعوبات نزع الاستعمار في المغرب، وعدا حالات محدودة لم يكن من مكان لدولة القانون

لا يسهم بالعصف الفكري في هذا المنعطف من أجل بلورة مشروع فكري نهضوي قادر على إخراج العقل العربي من كبوته.

نشهد حالياً ترنح المشرق وإسقاط الحدود فيه وضرب دوله المركزية. في هذه الرقصة بين التاريخ والجغرافيا، تبرز كيانات مذهبية ومنظمات جهادية عابرة للحدود وناقضة بشكل حاسم لمفهوم الدولة الوطنية أو الدولة-الأمة. وإذا كان تنظيم "الدولة الإسلامية" يحاول مدّ راياته السود من الموصل إلى تدمر وسيناء ودرنة، فقد سبق لحزب الله أن تحول إلى "قوة إقليمية" لأنه أهم دعامة عربية للمشروع الإمبراطوري الإيراني، وينطبق الأمر ولو بشكل أقل تنظيما وإشهارا على جماعة الإخوان المسلمين وعلاقتها الحميمة مع قوى إقليمية. إنها مغامرات أو تجارب لا تعترف بالحدود وتضع الكيانات كلها قيد الدرس.

في خضم المسألة الشرقية الجديدة انضم التحالف الغربي إلى الحروب المتراكمة في سوريا والعراق منذ صيف 2014، ومنذ 30 سبتمبر 2015 تكثف التدخل الروسي مع مسعى لإقامة حلف بغداد جديد. فتزايد الغموض وتزاحمت المصالح التي من بينها الدور البارز للأكراد في البلدين (لم نشهد إلا لحظة عابرة ودرامية من الاهتمام الغربي بالضحايا الإيزيديين، ولم يعد مصير مسيحيي الشرق ورقة جذب أو عبور للأوروبيين كما كان الأمر في الأيام الخوالي). ويصاب المراقب بالذهول حيال عدم قدرة تحالف دولي مؤلف من أربع وعشرين دولة على ضرب تنظيم داعش ولجمه. ومن الواضح أن هناك استخدامات متنوعة لهذه الظاهرة وكأن داعش تشبه شركة دولية-إقليمية وهناك مصالح تقف وراء السماح بتغوّلها تحت غطاء من الانحراف الديني.

إننا أمام حرب إقليمية-عالمية لا نعلم تماما كيف ستنتهي: هل بتغيير الحدود أم بقيام أنظمة حكم وكيانات جديدة. ثم ما هو مصير المكونات الأقلية الدينية والإثنية، وأين يتقاطع أو يتناحر الشرق والغرب، وما هو الانعكاس على صورة الإسلام ووضع المسلمين في أوروبا على ضوء انخراط الآلاف منهم في ما يسمى الجهاد العالمي. أليس كل ذلك من أوجه المسألة الشرقية الجديدة.

يقول البعض إن داعش وأخواتها هم أبناء الفكر الديني الإقصائي والشمولية، لكنهم أيضا بنات بيئة الاستبداد والتصحّر الفكري والانحراف الفاشي. البعض كان يرى بن لادن حليفا في الجهاد الأفغاني ثم أصبح رمز القاعدة والعدو الأول للغرب. لكن البغدادي وأمثاله ممّن ربطوا الخلافة المزعومة باستحواذ المسلمين واستعبادهم وإلغاء كل الآخرين، يمثلون خطرا داهما على المسلمين في المقام الأول وهم عقدة المسألة الشرقية الجديدة في حربهم المعلنة على الكيانات القائمة وعلى كل تنوع في الإسلام أو خارجه. وهذا المرض يزداد حدة في الصدام مع مشروع ولاية الفقيه في التنافس على زعامة وقيادة الأممية الإسلاموية. وتضطرب الأمور أكثر مع احتدام الصراع الإقليمي وعدم وجود حد أدنى من الوفاق الدولي مما يمد بعمر النزاعات ويترك الحبل على الغارب للتطرف والإرهاب.

إن الدولة العربية ما بعد الاستقلال هي في الغالب ثمرة نكبة 1948 في المشرق وصعوبات نزع الاستعمار في المغرب، وعدا حالات محدودة لم يكن من مكان لدولة القانون (أو لدولة الحق) من التي تعكس تمثيلاً حقيقياً لمجتمعاتها وتكون الأولوية فيها لمفهوم المواطنة (على حساب الرابط الديني أو الفئوي).

على صعيد التسلسل التاريخي فشلت أول محاولة نهضوية عربية في أواخر القرن التاسع عشر والتي أتت كردّة فعل على الاستبداد العثماني، وأخفقت بعد ذلك دول الاستقلال إثر انتكاسات التيار القومي العربي الذي بلور مشروعاً نهضوياً كرد على النكبة في فلسطين، لكنه كان يفتقد إلى الديمقراطية والتمثيلية كأدوات صالحة للحكم. وهكذا فإن نكسة يونيو 1967 معطوفة على انعدام الحريات الأساسية قوضت المحاولة الثانية. وتأكد مأزق عدم وجود ديناميكيات قادرة على التغيير نتيجة عدم بلورة مشروع ديمقراطي عربي ينهل من التراث العريق ويتأقلم مع متطلبات العولمة في عالم تسوده التجمعات الكبرى، خاصة أن الحلول للأزمات ضمن إطار الكيانات لم تكن ناجعة. كشف عبدالرحمن بن خلدون، ابن أفريقيا (كما كانت تسمى تونس)، عن العلة المؤدية لخراب المراحل الانتقالية في "الصحوة العربية" الراهنة والمتعثرة عندما وصف في "مقدمته" الاستبداد بـ"العسف الذي يؤدي إلى خراب النفوس وفساد النوع"، هذا الاستبداد الذي عاد الكواكبي ابن حلب وتمعن في تفصيل طبائعه ومآلاته، إنه لا يقتصر على طغيان الحاكم وجوره، بل يمتد لعدم الاعتراف بالآخر وإنكار حقوقه وتعميم ثقافة الإقصاء باسم الأيديولوجيا أو تحت ستار الدين.

في مراقبة لأحوال دنيا العرب يمكننا إجراء مقارنة بين لبنان (وسوريا استطراداً) وتونس (ومصر استطراداً) حيث تتعدد نقاط التشابه الثقافي والتفاعل الفكري وإشكاليات الهوية والحداثة. وإذا أردنا فهم أسباب الانشطار السياسي الحاد وتفاقم العنف السياسي، لا بد من العودة للخلفية الثقافية للمجتمعات العربية. وفي هذا الإطار كان ابن خلدون قد تبنى نظرة موسوعية للتاريخ العربي تفيدنا اليوم في فهم أسباب التخلف وعدم القدرة على اللحاق بالعصر. وحسب الأنثروبولوجي الأميركي الراحل إيريك وولف "حلل ابن خلدون في القرن الرابع عشر عملية بناء التحالفات وتفككها ببراعة فائقة، فلقد رأى الأمر في شكل تناوب متصل بين تضامن القرابة "العصبية القبلية" من جهة، وتنوع المصالح الملازم لحياة الاستقرار من الجهة المقابلة". وذهب ابن خلدون بعيدا في منهج يتخطى الاعتبارات القبلية والعرقية والدينية ويعتمد على الفروع الفاعلة المؤثرة المساهمة في صوغ النهر العام.

بيد أن التبني السلبي لنظرية العصبية جعلها معبرا للاستبداد والتحكم بدل أن تكون عنصر قوة للدولة والجماعة. ويسري ذلك على إعطاء الغلبة للحسابات الفئوية والقبلية والمناطقية والأيديولوجية والدينية في مراحل تحول تفترض التفتيش عن القواسم المشتركة في مراحل البناء الانتقالي.

إذا بقينا في المجال الفكري وطرحنا أسئلة ملحة حول صلة الشورى بالديمقراطية ضمن المسار القاضي بضرورة تحديث نظام الحكم، ودور الدين والتراث في عالم متحول، نستنتج بسرعة أن مرحلة الحكم القوي حوّلت عالم العرب إلى صحراء فكرية. وتكمن الخطورة في التركيز على مؤامرات دون التحلي بالشجاعة لممارسة النقد الذاتي وتحمل المسئولية في المخاض الانتقالي الذي لن يكون دربا مفروشة بالورود بل مرحلة يزدحم فيها اللااستقرار مع الجدل الفكري والمتاعب الاجتماعية.

يعتبر البعض أن الديمقراطية هي التجسيد الفعلي والتاريخي لمسار الحداثة، لكن الديمقراطية ليست هي الترياق للمشاكل البنيوية ولمعضلة إيجاد صيغة الحداثة الملائمة. وهنا يكون الإشكال حول دور مؤسسات مثل الجيش ومدى اقترابه من طرح حداثي أو ماضوي تبعا لطبيعته السلطوية.. ويصل الأمر إلى المؤسسة الدينية وإسهاماتها أو دورها التابع أو الجامد أو المعطل. ويمتدّ التساؤل إلى المجتمع المدني وإسهام المثقف في تكوينه، كما في تركيب الوعي والفكر النقدي. ولا يمكن اختصار المسائل في مجتمعات شرقية محافظة أو متخلفة عن الركب الحضاري بالتناقض بين الأصولية الدينية والعلمانية. تتوجب محاكمة العقل العربي وآثار الأسطورة ووزن الدين والقوالب الحضارية الجاهزة من تجارب الآخرين. في العودة لابن خلدون والمسعودي وابن رشد وسقراط وما شئنا من أرباب الفكر الديني أو من الفلاسفة وأرباب البراغماتيكية الفكرية،

> مما لا شك فيه أن هذا المأزق السياسي والعملي هو مأزق فكري يتصل بالجدل حول العلمنة والمواطنة ونموذج الحداثة المناسب. مقابل الأيديولوجية الإسلامية التي تركز على الأمة وتنسى الأوطان

سيتم الاصطدام بمشاكل بنيوية لأن شروط الاستنهاض الفكري تتلازم مع بلورة مشروع وطني على قياس كيانات ومشروع عربي يجمع مثالات الحرية والدين الوسيط وينطلق من توفيق بين الأصالة والمعاصرة. من دون هكذا واقعية في المقاربة سيشبه الجدل الفكري الجدل البيزنطي ونبقى ننتظر غودو الفكري من دون طائل. إذا لم تتحمل النخب العربية مهما كانت ألوانها وانتماءاتها في إطلاق حوارات منتجة سينتصر اللامعقول ويبقى أفق المجتمعات العربية حائرا بين التفتيش عن حداثة غير مرتسمة، أو بربرية العودة إلى الظلامية. إن زاد أيّ مفكر أو مثقف هو الوعي المرتبط بالحرية لتحديد المشكلات وتمحيصها وطرح الحلول من خلال مشروع حضاري منفتح تطغى فيه النظرة الإيجابية إلى المستقبل لأن الانحطاط ليس هو القدر، بل تكمن البداية في معركة دون هوادة ضد الجهل والتجهيل والتعميم وعدم الاعتراف بالآخر.

* كاتب وأكاديمي من لبنان مقيم في باريس

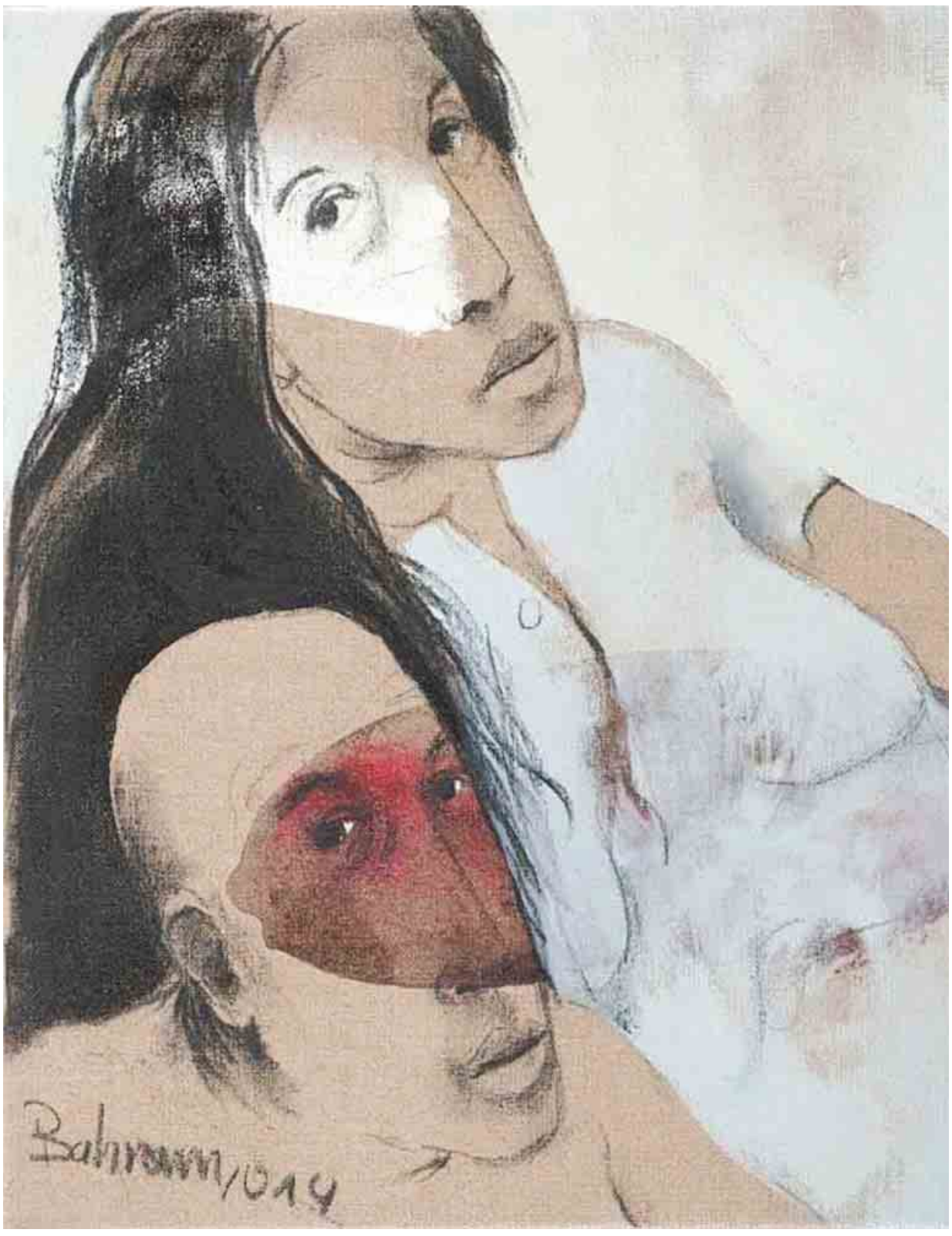

رسم لبهرام حاجو: استلهام البحث عن الحرية

من الفيلم الفلسطيني النخبوي إلى الفيلم الشعبي

المخرج هاني أبو أسعد يعود ومعه «يا طير الطاير»

أمير العمري

❏ عرض في مهرجان تورينو السينمائي الـ33 الفيلم الفلسطيني الروائي الطويل "يا طير الطاير" أو "محبوب العرب" الذي يروي فيه مخرجه هاني أبو أسعد، قصة صعود المطرب الفلسطيني الشاب محمد عساف، صاحب الحنجرة الذهبية، من حياة الفقر والفاقة في غزة، إلى الشهرة والأضواء بعد فوزه في مسابقة "محبوب العرب" التلفزيونية الشهيرة والتي تتابعها أعداد كبيرة من الشباب العربي.

وقد فاز عساف باللقب ولقي اهتماما كبيرا واتخذ طابعا رمزيا فقد أصبح مرتبطا بإثبات قدرة الفلسطيني على إسماع صوته في أرجاء العالم العربي بقوة الموهبة وحدها، بل راودت الآمال الجماهير التي شجعت عساف ودعمته بجنون حتى النهاية، في أنه يمكن أن يلعب دورا "نضاليا" أيضا في التعبير عن قضية شعبه الذي يعاني من الاحتلال والقهر.

ذهب البعض إلى القول إن فيلم "يا طير الطاير" عبارة عن مزيج من فيلم "روكي" الأميركي، والفيلم البريطاني "مليونير العشوائيات"، بينما نرى أن أبو أسعد كان يستلهم هنا من الأفلام الغنائية الميلودرامية المصرية الشعبية التي أبرزت موهبة عبدالحليم حافظ في الخمسينات، وكانت تتقاطع في الكثير من خيوطها مع بعض تفاصيل الحياة الحقيقية الشاقة التي عاشها حافظ قبل أن يصبح من مشاهير الغناء.

يروي فيلم "يا طير الطاير" من البداية كيف برزت موهبة عساف وهو بعد طفل صغير، وكانت شقيقته "هبة" أول من التفت إلى موهبته، وظلت تشجعه وتدفعه للثقة بنفسه، وتنبأت له بالوصول إلى الغناء في دار الأوبرا بالقاهرة، ثم نرى كيف يسعى عساف-الطفل لتكوين فرقة موسيقية مع بعض أصدقائه الأطفال، ويسعون جميعا لشراء آلات موسيقية، وكيف كانت أسرة عساف تعترض على مساره هذا، ثم يكبر وتكبر موهبته ورغبته في مغادرة قطاع غزة إلى القاهرة.

ما يحدث بعد ذلك معروف ويمكن التنبؤ به، فعساف يتمكن بصعوبة من الحصول على بطاقة لحضور المسابقة، ليشارك ويحقق الفوز لينتقل إلى بيروت حيث يكتمل نجاحه. والواضح أن سيناريو الفيلم، الذي اشترك في كتابته أبو أسعد مع سامح الزعبي، أدخل الكثير من المواقف والأحداث التي لا ترتبط بمسار حياة عساف الحقيقية لكي يضفي على الفيلم أجواء من الإثارة والترقب. ورغم التعقيدات التي كان بطل الفيلم الصغير يواجهها، إلا أن السبل جميعها كانت تنفتح أمامه بمعجزة، ويقف الجميع معه، سواء بموجب الصدفة وحدها أو نتيجة للإعجاب به وبصوته القوي الذي يمكنه أن يقنع أحد ضباط الأمن في حماس عند معبر رفح بأنه صوت من السماء!

هناك كثير من المصادفات والاستطرادات حول مرض "هبة" المبكر ثم وفاتها، وشبح علاقة عاطفية بين عساف وفتاة من غزة، وبعض الإشارات الخافتة إلى ما يقوم به رجال حماس في القطاع وانضمام أحد زملاء عساف القدامى الى الحركة ونبذه الموسيقى والغناء ومع ذلك يقتنع في النهاية بالوقوف مع صديقه ويساعده في دخول مصر عبر معبر رفح.

ربما لا تكون الأغاني التي اختار أبو أسعد تقديم عساف من خلالها هي الأقوى والأكثر إبرازا لقوّة صوته، وربما لا يكون الممثل الذي قام بدور عساف بعد أن أصبح شابا، متقاربا في ملامحه من ملامح محمد عساف الجميلة المتناسقة، وربما يغالي أبو أسعد كثيرا في استخدام الحوارات المنمّقة القريبة من الشعارات على ألسنة الأطفال، ولكن لا شك أن الطابع القصصي الميلودرامي والبناء المبسّط والحبكة التي تسير في اتجاه صاعد بشكل مثير رغم معرفة الجمهور بالنتيجة، هي ما يجعل فيلم "يا طير الطاير" أقرب أفلام أبو أسعد إلى الجمهور، فهو يبدو كما لو كان حلقة من حلقات "أوبرا الصابون" التي تنتهي عادة نهاية سعيدة وسط تهليل الجمهور. ولكن أبو أسعد لن يحقق به ما سبق أن حققه من سمعة ونجاح في أوساط السينما العالمية مع فيلمين سابقين له هما "الجنة الآن" و"عمر".

رحلة سينمائي

جاء هاني أبو أسعد (54 سنة) -ابن الناصرة في فلسطين- إلى السينما من عالم هندسة الطيران التي درسها في هولندا، وهو يقول إنه أصبح مولعا بعالم السينما بعد أن شاهد فيلما للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفي. ولكن على العكس من خليفي الذي يخرج أفلاما يمكن وصفها بالنخبوية تتوجه عادة إلى جمهور النخبة المثقفة، يسعى أبو أسعد منذ أول أفلامه الروائية الطويلة "زواج رنا" أو "موعد في القدس إلى تحقيق أفلام تقوم على شكل سينمائي أكثر بساطة، أقرب إلى رواية قصة محكمة، فيها من الواقعية بقدر ما فيها من الميلودراما التي تجعلها قريبة من الأفلام المصرية من الخمسينات والستينات.

مسلحا بهويته الوطنية الفلسطينية وجواز سفره الهولندي الذي حصل عليه بعد هجرته إلى هولندا في أوائل الثمانينات، وكان وقتها في العشرين من عمره، استطاع أبو أسعد أن يلتقط بذكائه وحسن اطلاعه على عالم الإنتاج السينمائي في أوروبا، طرق تدبير المال اللازم للإنتاج، فيؤسس شركة للإنتاج السينمائي مع المخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي الذي كان قد بدأ يلمع في أوائل التسعينات، وأن ينتج من خلال تلك الشركة عددا من الأفلام التسجيلية التي أخرجها مشهراوي ولفتت الأنظار إلى وجود مواهب سينمائية من داخل فلسطين.

غير أن أبو أسعد كان يريد أن يخرج أفلامه الخاصة. وقد نجح في تقديم فيلمه الروائي الطويل الأول "زواج رنا" عام 2002، ونجح في عرضه داخل تظاهرة "أسبوع النقاد" بمهرجان كان السينمائي.

تدور أحداث الفيلم في القدس الشرقية بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية في 2002، وقت المواجهات المستمرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، لكن أبو أسعد لا يقترب كثيرا من الأحداث الملتهبة التي كانت جارية هناك، فقد أراد التعامل بحذر مع الموضوع، وأن يجعل قصة فيلمه تعبيرا مجازيا عن فكرة التمسك بالهوية والصمود في الوطن رغم كل المخاطر والتحديات والإغراءات التي تدفع إلى الهجرة.

ترتبط "رنا" ابنة القدس بممثل شاب يعمل في مسرح مدينة رام الله، لكن والدها التاجر الثري، الذي كسدت تجارته بسبب الانتفاضة، ليس لديه وقت يضيعه فهو يريد أن ينقل تجارته إلى القاهرة ويستعد للرحيل، فيمنحها إنذارا لمدة عشر ساعات لكي تقبل بالزواج من رجل آخر يراه هو أكثر ضمانا وأمانا، وإلا تعيّن عليها أن تحمل حقائبها وتذهب معه إلى القاهرة.

تترك "رنا" القدس وترحل الى رام الله بحثا عن حبيبها لكي تقنعه بالزواج منها في اليوم نفسه. وبعد كثير من المصاعب والمفارقات يقبل الشاب لكنه يريد أن يقنع والدها بمباركة زواجهما، لكن الحصار الإسرائيلي يؤخر وصول المأذون الذي سيعقد قرانهما، إلى أن تتحقق النهاية السعيدة!

هذا الموضوع الميلودرامي المليء بالمصادفات والأنماط الكاريكاتورية والصور التي يعيد تجسيدها لأطفال الحجارة، تبدو في الفيلم هزيلة مقارنة بما كانت تبثه قنوات التلفزيون العالمية عن الانتفاضة. ويعاني الفيلم من الاستطرادات التي تتسبب في هبوط الإيقاع، لكنه يتميز بجرأة التصوير في المواقع الحقيقية ويقدم صورا شديدة الجمال لمدينة القدس القديمة على نحو غير مسبوق في السينما العربية.

الجنة الآن

كان "زواج رنا" تدريبا أوليا في الإخراج والكتابة، عاد بعده أبو أسعد فبذل جهدا مضاعفا في إنضاج سيناريو فيلمه التالي "الجنة الآن" (2005) الذي سيفتح أمامه أبواب العالم بعد أن يحصل على جائزة أحسن فيلم أجنبي في مسابقة جوائز الكرة الذهبية (غولدن غلوب) الأميركية، كما رشح لنيل جائزة الأوسكار.

يطرح أبو أسعد في هذا الفيلم القضية الأخلاقية والسياسية التي تتعلق بشن هجمات انتحارية، من خلال بطلي الفيلم (خالد وسعيد) وهما شابان من نابلس يتم تجنيدهما لحساب احدى المنظمات الفلسطينية للقيام بعملية انتحارية في تل أبيب، لكن أثناء عبورهما الحدود يتعرضان للمطاردة من جانب الحراس الإسرائيليين مما يؤدي إلى افتراقهما عن بعضهما البعض. وعندما يلتقيان مجددا تكون قناعة سعيد قد اهتزت بعد مناقشات طويلة مع حبيبته "سها" وهي ابنة شهيد فلسطيني مرموق، و"سها" ترى أن تفجير النفس أمر ضد الدين وضد الأخلاق وأن النضال لا يكون بهذه الطريقة. ما الذي سيحدث؟ يلتقي الشابان للقيام بعملية في مكان آخر، لكن الشك يغلب إرادة الفعل، وينتصر العقل في النهاية. الفيلم يقدم تحليلا سياسيا ونفسانيا لما يدفع بعض الشباب الفلسطيني للقيام بمثل هذه العمليات، فيضحّون بحياتهم دون أن يحققوا شيئا على الصعيد السياسي.

لا شك أن رسالة الفيلم السياسية لعبت دورا أساسيا في ترشيحه للأوسكار وغيرها من الجوائز، فهي رسالة سلام تنبذ العمليات الانتحارية التي كانت قد بلغت ذروتها من جانب حركة حماس في ذلك الوقت. ولذلك تعرّض الفيلم للهجوم من داخل المعسكر الفلسطيني، كما رأى بعض الإسرائيليين أنه "يضفي الطابع الإنساني على الإرهابيين".

لكن لا شك أن الفيلم كان مصاغا في قالب سينمائي متماسك، واضح الفكر والرؤية، تتمتع شخصياته بالواقعية والبساطة، بفضل موهبة اثنين من الممثلين الفلسطينيين هما علي سليمان وقيس ناشف.

فيلم «عمر»

عاد أبو أسعد بفيلم "عمر" (2013) ليحقق نجاحا كبيرا في مهرجان كان حيث حصل على جائزة لجنة التحكيم في تظاهرة "نظرة ما"، ومضى لكي يرشح لجائزة أحسن فيلم أجنبي في مسابقة الأوسكار، كما حصد الكثير من النجاح لدى الجمهور والنقاد. وسر هذا النجاح أن أبو أسعد نجح في كتابة سيناريو ثري، لا يروي قصة "سطحية" بل يتمتع بحبكة "مركبة"، أي متعددة المستويات والشخصيات، ولكن مع وجود شخصية رئيسية تبقى دائما في بؤرة الأحداث وتحظى بتركيز الفيلم دراميا هي شخصية "عمر" التي يؤديها ببراعة لا شك فيها آدم بكري.

ويبرز تعدد المستويات في الانتقال من السياسي (الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين) إلى الاجتماعي الرومانسي (قصة الحب بين عمر ونادية)، كما ينتقل من النفسي (كيف يسعى الإسرائيليون إلى تدمير معنويات شاب فلسطيني واستغلال علاقته العاطفية لدفعه إلى التعاون معهم كمرشد على زملائه) إلى الإنساني (الذي يتمثل في رصد نمو وعي عمر)، وأن جوهر مشكلته الشخصية بعد نهاية قصة حبّه نهاية مأساوية يكمن في "الاحتلال"، أي في وجود ذلك الآخر المحتل، الذي لا يقيم وزنا للمشاعر ولا للاعتبارات الإنسانية أو لدوافع الفرد، بل يستخدم الآخر بكل قسوة لتحقيق مآربه الخبيثة.

ورغم تعدد المستويات الدرامية في الفيلم، إلا أن المخرج يستخدم أسلوبا سينمائيا موحدا يبدو من السطح مشابها لأسلوب أفلام الإثارة البوليسية، لكنه أسلوب تحليلي رصين، يضبط تعاقب المشاهد دون أن يختلط الأمر على المتفرج، بشكل جذاب ومن خلال المنطق الداخلي للأحداث نفسها دون إقحام، مع تجنب توجيه رسالة سياسية مباشرة عالية النبرة كما اعتدنا أن نرى في الكثير من الأفلام التي تصنع عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويصبح المشهد الأخير في الفيلم، عندما نرى عمر ينجح في خداع ضابط الاستخبارات الداخلية الإسرائيلي ويحصل منه على سلاحه ليقتله به، مقبولا أيضا من وجهة النظر "الغربية"، رغم أن المشهد نفسه قد يكون رمزيا أكثر منه واقعيا.

وقد وفق أبو أسعد في اختيار مواقع التصوير في الضفة الغربية بحيث كشف للمشاهد بشكل بديع أرض فلسطين، طبيعتها ومدنها الصغيرة وشوارعها، والأهم أناسها وكيف يعيشون، وبتركيز خاص على "الجدار الفاصل" الذي يتسلقه عمر في بداية الفيلم وفيما بعد بقوة ونشاط وثبات للوصول إلى لقاء حبيبته في الجانب الآخر من الجدار.. ولكن قوة عمر تخور وتضعف عند نهاية الفيلم فيفشل في تسلق الجدار عدة مرات بعد كل ما جرى من أحداث أنهكته ودمّرت معنوياته.

ومع قسوة الأحداث وتعاقبها يتشكك الكل في الكل، فهناك داخل "شلة" الأصدقاء، "خائن" يبلغ الإسرائيليين بما يجري، ويطلق ضابط الاستخبارات الإسرائيلي (رامي) سراح "عمر" لكي يعثر لهم على طارق الذي يعتقدون أنه وراء قتل جندي إسرائيلي، لكن عمر الآن أصبح هدفا للشك، وهو يريد أن يعثر على الخائن الحقيقي وسط أصدقائه.

أجواء الشك والشك المتبادل بين الجميع مألوفة في الدراما السينمائية العالمية، ولذلك يمكن للمشاهدين التعرف على مأساة البطل/اللابطل دون مشقة. ولا يصبح قتل الضابط الإسرائيلي مبررا في النهاية بقدر ما يصبح مفهوما، فأهمية الفيلم -سياسيا ودراميا- أنه يرجع كل تلك التعقيدات التي دمرت العلاقات بين البشر إلى واقع الاحتلال، وهي رسالة مبطنة لا تحتاج إلى التعبير المباشر.

حتى الآن هاني أبو أسعد هو الأكثر نجاحا على الصعيد العالمي من سائر السينمائيين الفلسطينيين، ولا شك أنه سيطور تجربته السينمائية في أفلامه التالية.

هاني أبو أسعد.. من هندسة الطيران إلى السينما العالمية

«يا طير الطاير» عودة إلى الفيلم الغنائي الميلودرامي

كان فيلم «زواج رنا» تدريبا على الكتابة والإخراج عند هاني أبو أسعد

التخييم والترحال في ربوع موريتانيا

«عين الصحراء» ظاهرة غريبة على كوكب الأرض

عشاق الشمس الدافئة والهاربين من البرد القارس والمطر الغزير، يمكنهم أن يتوجهوا إلى الصحراء الموريتانية حيث يستمتعون بالدفء والصيد ورياضات التحدي والسهر في الخيام للاستمتاع بالليل الصحراوي وسكينته وألوان الرمال وكثبانها في الصباح.

❑ **نواكشوط** – تقع موريتانيا في المنطقة الجنوبية للصحراء الغربية وشمال السنغال على الساحل الغربي الأفريقي، وتتميز بمساحتها الهائلة، إلا أن أغلب مناطقها صحراوية غير مأهولة. ويقدم هذا البلد الجميل للسياح إمكانية استكشاف الصحراء عن طريق التخييم والبقاء في بيوت الضيافة، إضافة الى الترحال على ظهور الجمال.

ومن أكثر الأنشطة التي تستهوي السياح هو الترحال في رحاب الطبيعة، وهو من أجمل التجارب التي قد يعيشها السائح في موريتانيا حيث يمكنه الاستمتاع بروعة الواحات والشمس الذهبية والشواطئ الجذابة والمناطق الأثرية، إضافة إلى ممارسة الهوايات كرياضات التحدي والقنص البري وركوب الجمال وقيادة سيارات الدفع الرباعي وسط رمال الصحراء. وتضع الشركات السياحية برامج حافلة بالأنشطة والفعاليات للسياح الشغوفين بالمغامرة وحياة التخييم والمولعين بالطبيعة الصحراوية وما بها من مناظر خلابة سواء كانت مرتفعات أو كثبانا أو أخاديد صخرية، إضافة إلى القيام برحلات الصيد ومشاهدة الحيوانات البرية والتزلج على الكثبان الرملية والاستمتاع بمنظر الغروب البديع وسكون ليل الصحراء وحفلات الشواء في أجواء رومانسية حالمة.

وتعد "عين الصحراء" إحدى الظواهر الغريبة على سطح كوكب الأرض، وذلك بسبب تكوينها الجيولوجي المدهش والمثير. وتقع هذه الظاهرة في الصحراء الموريتانية بالقرب من مدينة وادان الأثرية، وهي عبارة عن حفرٍ ذات أشكال دائرية لها قطر ضخم يبلغ 30 ميلاً، تحيط بها هالة زرقاء تشبه بؤبؤ العين يمكن رؤيتها من الفضاء الخارجي، حيث تظهر التكوينات الصخرية المحيطة بها على شكل جفن ومنها جاءت تسميتها، اكتشفها الباحث الفرنسي تيودور مونو في ثلاثينات القرن الماضي، ومنذ ذلك الحين والبعثات الجيولوجية تتوالى على تلك المنطقة لدراسة ماهيتها ومحاولة ايجاد تفسير علمي لها.

تقول بعض النظريات إن عين الصحراء، أو قلب الريشات كما يطلق عليها أيضا، تشكلت بفعل سقوط نيزك فضائي على تلك المنطقة فتشكلت دوائر بيضاوية ذات صخور رسوبية، لكن بعد الدراسات المعملية لم يجد علماء الجيولوجيا دليلا موثوقا به على أيّ نوع من تغير الشكل أو تشوه في الصخور يشير إلى أنه ناتج عن اصطدام جسم غير أرضي. فيما تقول نظريات أخرى إن سبب هذه التكوينات يرجع الى انفجار بركاني نتج عنه تشكل طبقات مختلفة من صخور رسوبية ونارية متحولة دَفعتها المواد المنصهرة تحت الأرض إلى أعلى مكونة دوائر.

وقام الباحث غويلايوم ماتون من جامعة كبك الكندية، بأخذ أكثر من 100 عينة صخرية وقام بدراسة معمقة لها واستنتج أنها قبة جيولوجية حصلت نتيجة انصهار عظيم تحت الأرض وقع قبل 90 مليون سنة نتج عنه تشكل صخور نارية من كاربوناتايت، كابرو وكيمبرلايت واتخذت شكل حفر دائرية على سطح الأرض .

ويربط بعض العلماء هذه الظاهرة الجيولوجية بمدينة أتلانتس التي وصفها أفلاطون بأنها جزيرة تحيط بها أبنية دائرية، بعضها من الطين والبعض الآخر من الماء. لذلك يعتقد أن ما تظهره صور عين الصحراء هو نفس ما وصفه أفلاطون، لكن يبقي هذه الاحتمال يثير الكثير من التساؤلات والشكوك.

في سياق آخر يعتقد الموريتانيون أن هذه المنطقة تحتوى على كنوز وثروات طبيعية كالألماس والحديد، كما يشاع أن النباتات التي تظهر في عين الصحراء فريدة ونادرة جدا، وهي مفيدة في التداوي من الأمراض المستعصية، كما يتعمد بعض المزارعين الإقامة بالقرب منها بهدف تحسين ثروتهم الحيوانية وتكاثرها، ويقال إن من رغب في أن يصبح صاحب جاه ومال في عشيرته، ما عليه إلا التوجه إلى هذه المنطقة بناقة وجمل وبعض الخراف والانتظار لمدة سنتين أو ثلاث ليحصل على قطيع كبير من الجمال والماشية، وذلك بسبب نوعية الأعشاب التي تساهم في النمو والتكاثر السريع للحيوانات .

ويعتبر ركوب الجمال من بين أبرز الأنشطة التي يمكن للسياح الاستمتاع بها في موريتانيا، حيث لا شيء يضاهي جولة على ظهر جمل أو ناقة.

أما الأطباق فإن موريتانيا تزخر بمطاعم صغيرة أغلبها عبارة عن أكواخ من الطين تقدم وجبات محلية لذيذة والشاي الموريتاني، وقبل المغادرة يمكن للسياح اقتناء بعض التذكارات الجميلة المصنوعة يدويا والتي تمثل الثقافة الموريتانية العريقة.

■ للسياح آراء

فاس ذاكرة الأندلس

❑ **فاس (المغرب)** – تعتبر فاس أقدم مدينة في المغرب وكأنها نافذة مشرعة على التاريخ في أوجه كثيرة، وتتميز بموقعها الجميل الذي تحيط به التلال من كل جانب، وتتكوّن من فاس من مدينتين فاس القديمة التي تعدّ من مدن القرون الوسطى ومازالت مأهولة، وفاس الجديدة التي تكونت سنة 1276 وتوسّعت جنوبا.

وتأسست المدينة على يد إدريس الثاني سنة 809 وآوت فاس جموع النازحين المسلمين من الأندلس بعد حركة العصيان في قرطبة سنة 818 واستقروا في المكان الذي عرف بـ"عدوة الأندلس".

وتحولت فاس تحت حكم خلفاء إدريس إلى عاصمة عربية زاهرة وإلى مركز ديني هام، خصوصا بعد أن تأسس جامع القرويين وجامع الأندلس.

وتحافظ العمارة في فاس على نقوشها الأندلسية، وتضج أسواقها بالباعة الذين يعرضون أصنافا من المأكولات والمواد التجميلية والعطور والألبسة التي تمتاز بجودتها الفاسية، فكل ما يؤتى به من فاس ترسّخ في ذهن المغاربة أنه مميز وذو ذوق رفيع، ففي المدينة القديمة يصطف بائعو ماء الورد والزهر المقطر المستعمل في تحضير الخلطات التجميلية، ويباع الخليع وهو لحم مقدد معد بطريقة فاسية أصيلة.

● **كاترين سائحة أسبانية:** لا تستقيمُ زيارة الأندلس وحواضرها العربية المُسلمة دون التعريج على فاس الجزء الآخر من قصة الحضارة العربية في الأندلس.. هناك شبه كبير بين فاس ومدن أخرى زرتها في أسبانيا كقرطبة وإشبيلية وغرناطة فتفاصيل المدينة العتيقة وجمال عمارتها وأسوارها تروي قصص تاريخ مشترك.

● **حسن أهماني مرشد سياحي بالمدينة:** إن فاس على مرّ السنوات ظلت مركز استقطاب للسياح، بل إن الكثيرين منهم يختزلون المغرب في فاس، وأبوابها الأربعة عشرة، التي تروي تفاصيل بناء هذه المدينة وعلاقتها بمحيطها الخارجي وتأثرها بالأحداث الجارية به، فمدينة فاس المُسيّجة بسور تاريخي تخترقه أبواب كانت قديما تؤمّن المدينة وتحرسها، وصارت اليوم معالم أثرية شاهدة على أزمنة فاس العديدة.

● **ناصر بولمان سائح مغربي:** وأنا أتجول في فاس أشعر بعمق الحزن الأندلسي وبانقضاء زمن كانت فاس شاهدة خلاله على تألق الحضارة الإسلامية.. فاس هي الفصل الثاني من قصة رقيّ الحضارة الإسلامية في الأندلس، قدم الأندلسيون إلى فاس لاستكمال ما بدأوه من إبداع وتميز في الفنون والعلوم في موطنهم الأصلي، وواصلوه هنا وإن بشجن وحنين شديد للأندلس.

■ أين تذهب

رحلة الشتاء في أيسلندا مغامرة وجمال

❑ **ريكيافيك (أيسلندا)** – يمكن للسياح من عشاق المغامرة التوجه إلى أيسلندا خلال فصل الشتاء للاستمتاع بمعايشة مثيرة ومشاهدة المناظر الطبيعية الخلابة، التي يكسوها الجليد. ولكن يتعيّن عليهم الحذر من البرك والبحيرات الجليدية، التي قد تشكّل خطورة أثناء رحلة بالسيارة السوبر جيب.

وفي البداية يقوم المرشد السياحي بحفر حفرة بواسطة مجرفة صغيرة في طبقة الجليد السميكة على ضفاف النهر الجليدي، ومن خلفه تنظر المجموعة السياحية على الجانب الآخر للمجرى المائي، ويمد المرشد السياحي ذراعه ويساعد الواحد تلو الآخر في عبور البركة الصافية قبل الصعود على الدرج المحفور في الجليد العميق.

ولن يتمكن السياح من عبور الجليد دون مساعدة المرشد السياحي، نظرا لأنه يمهّد الطريق لهم، علاوة على أن يرشدهم إلى الطريق السليم وسط الجليد، الذي لم تعبث به يد الإنسان إلى النهر الجليدي، الذي يمتاز بملمس حريري باللون الأزرق، ومن هذا المكان يمكن للسياح الاستمتاع بإطلالة خلابة على وادي ثورسمورك حتى السلسلة الجبلية المغطاة بالجليد على الجانب الآخر من الوادي.

وخلال فصل الصيف يكتسي الوادي باللون الأخضر ويصبح من الأماكن المفضلة لعشاق التجوّل والتنزه وسط أحضان الطبيعة، إلا أن الوضع يتغير خلال فصل الشتاء ويفقد بعض مظاهر السحر والجمال، لأنه يصبح وحيدا.

وأكد المرشد السياحي أن السياح لا يمكنهم تخيل مدى روعة وجمال أيسلندا خلال فصل الشتاء.

وإذا رغب السائح في اجتياز المنحدرات الجليدية والبرك المتجمدة، فإنه يحتاج إلى سيارة دفع رباعي مخصصة للأراضي الوعرة، ولذلك يكثر وجود سيارات السوبر جيب المعدلة بتجهيزات مخصصة للسير في البرية الجليدية. وكي يتمكن السياح من الاستمتاع "بتجربة الرحلات الحدودية"، كما يسمّيها المرشد السياحي، فمن الأفضل أن يكون بصحبة مرشد على دراية بالمنطقة، نظرا لأن المرء لا يعرف أين تكمن المخاطر، سواء كان ذلك في الثلوج العميقة أو في البرك المتجمدة.

ووسط هذه المناظر الطبيعية، التي يكسوها الثلج، ظهرت فجأة مجموعة من الأكواخ الصغيرة، وكان هناك حساء ساخن ينتظر السياح في "أكواخ البركان" الواقعة على مسار التجول لمسافات طويلة.

أجواء لا تجمد المرح

■ مواعيد سياحية

◄ الإمارات تعزز أمان رحلاتها إلى ألمانيا

■ "طيران الإمارات" توقع مذكرة تفاهم مع االمانيا لتعزيز كفاءة إجراءات فحص وثائق السفر وضمان رحلات أكثر أمانا إلى ألمانيا. وبموجب الاتفاقية، سيقوم موظفون من طيران الإمارات، على دراية تامة بإجراءات الهجرة الألمانية، بفحص وثائق المسافرين عبر مطار دبي على جميع رحلات طيران الإمارات إلى ألمانيا.

◄ تراجع السياحة في تونس

■ إيرادات السياحة في تونس تتراجع على مدى عشرة أشهر من 2015 بأكثر من 33 بالمئة، كما انخفض عدد السياح بنحو 34 بالمئة مقارنة بالفترة نفسها من 2014. ويشهد القطاع السياحي صعوبات جمّة جراء العمليات الإرهابية التي لحقت متحف باردو الشهير في العاصمة واستهداف فندق في مدينة سوسة في 2015.

◄ الإماراتيون يتوجهون إلى مصر

■ عدد السياح من دولة الإمارات إلى مصر يرتفع بنسبة 33 بالمئة خلال الأشهر العشرة الأولى من العام الحالي، ليصل إلى 36 ألف سائح. وفي إطار الجهود المبذولة لتجاوز الأزمة الحالية التي تمر بها السياحة المصرية يقوم المكتب السياحي المصري بأبوظبي بترتيب رحلة لمدينة شرم الشيخ بناء على مبادرة تحت عنوان "ولادك سندك يا مصر".

◄ تدشين أضخم بحيرة صناعية في الهند

■ كريستال لاغونز كوربوريشن صاحبة براءة اختراع تكنولوجيا البحيرات البلورية العملاقة تعلن عن توسيع وجودها العالمي في أول مشروع لها في الهند مع إطلاق بحيرة تضم ثمانية آلاف وحدة سكنية فاخرة إضافة إلى عدد من المباني المكتبية ويستهدف الهنود المغتربين والمستثمرين، كما يستهدف المشروع الحركة السياحية المزدهرة.

◄ تركيا تسعى لتعويض السائح الروسي

■ رئيس الحركة التركية للسياحة دون تأشيرة مع أوروبا، يقول إن الفجوة التي سيتركها السياح الروس في تركيا يمكن ملؤها من قبل السياح الأوروبيين، موضحا أنه "باتباع وسائل تسويق سليمة، يمكننا أن نرى زيادة كبيرة في عدد السياح من دول الاتحاد الأوروبي، وسيمكننا بواسطتهم ملء الفجوة التي سيتركها السياح الروس".

الروبوت صديق الإنسان اللدود

اليابانيون يعرضون صور الحياة مع الروبوت

تتسارع صناعة الانسان الآلي وتتغير المواقف بشأنه كلما ازداد تدخله في حياة البشر، ففي الوقت الذي يرى فيه اليابانيون أنه صديق الإنسان وصانع بهجته وراحته، يرى آخرون أنه يزاحم البشر في حياتهم وقد يحاربهم في وجودهم وحياتهم.

❑ **طوكيو** – يفاجأ الزوار الصينيون لمعرض أركس الدولي للروبوت في طوكيو بآلة ذاتية الحركة على شكل العالم الإيطالي الموسوعي ليوناردو دافنشي ترحب بهم باللغة الصينية الخالصة التي لا تشوبها أيّ لكنة أجنبية مما يجعل الزائر يرد قائلا "ني هاو" والتي تعني "نهارك سعيد" متسائلا في الوقت ذاته بدهشة واضحة "هل تعرف الصينية؟" فيجيبه دافنشي "بعض الشيء فقط".

عاد عصر النهضة الإيطالي يطل على كوكب الأرض من جديد بفضل خبير ياباني في آلات ذاتية الحركة ولكن هذه المرة في زيّ "أندرويد" وهي آلة ذاتية الحركة تشبه الإنسان. ويمكن الاستمتاع حاليا بهذه الآلة التي طورها العالم الياباني البروفيسور مينرو أسادا، في معرض أركس الدولي للروبوت في طوكيو، والذي انتهت فعالياته في 5 ديسمبر الحالي.

ويسعى اليابانيون المعروفون عالميا بتألقهم التقني من خلال هذا المعرض لتمكين الإنسان العادي من الاطلاع على المستقبل الجميل للعالم الجديد الذي سيخدمنا فيه الروبوت ويبعث في نفوسنا البهجة.

من هذه الآلات المعروضة جهاز "إتش أس آر" الذي طورته شركة تويوتا العملاقة للسيارات وزودته بالعديد من الكاميرات وأجهزة الاستشعار، وللجهاز ذراع واحدة و يستطيع التجول في المنزل بشكل هادئ ويستجيب للأمر الصادر له بالتقاط الأشياء التي سقطت على الأرض وفتح الأدراج أو إحضار زجاجات وغير ذلك إلى فراش النوم.

وتوقع المتحدث باسم الشركة، هيروميشي ناكاشيما، أن "يستطيع الجهاز القيام بمثل هذا الشيء من تلقاء نفسه وبشكل مستقل مستقبلا" مشيرا إلى أن جهاز "إتش أس آر" مطور للأشخاص كبار السن الذين أصابهم الوهن، وهي الشريحة التي يستهدفها الكثير من مطوري الآلات ذاتية الحركة المعروضة في معرض طوكيو الحالي خاصة في ضوء حقيقة أن اليابان من أكثر دول العالم معاناة من الشيخوخة المتسارعة للمجتمع.

وطور الأستاذ كانيا تاناكا من جامعة ياماجوشي اليابانية آلة ذاتية الحركة تستطيع إطعام كبار السن أو المريض حيث يستطيع صاحب الآلة توجيهها بنقرة فأرة أو باستخدام موجّه آلي يعمل بنظرة العين واختيار أحد الأطعمة أو المشروبات التي تم صفها على شاشة الجهاز ليخرج الجهاز ملعقة خشبية بشكل يشبه ما يحدث مع آلات بيع المشروبات ذاتيا في الشوارع، وتضغط هذه الملعقة الطعام على ملعقة أخرى تحت الملعقة الأولى حيث تقوم الثانية بوضع الطعام في فم المستخدم.

وأوضح تاناكا أن "الكثير من الآلات ذاتية الحركة تستطيع الإمساك بالأشياء ولكن ذلك يصعب عليها فيما يتعلق بالأطعمة الرخوة" مبينا بذلك مميزات جهازه التي من بينها سهولة الاستخدام. أما آلة "إكسو موسكل" التي يمكن حملها فيجب الإمساك بها بقوة حيث تمنح حاملها قوة عظيمة. وتسمى هذه الآلة أيضا "سترة العضلات" ويمكن حملها مثل حقيبة الظهر وتساعد حاملها في رفع أشياء ثقيلة بسهولة متناهية بمساعدة عضلات صناعية تعمل بضغط الهواء.

ويمكن لهذه الآلة رفع أوزان قد تصل إلى 22 أو 30 كيلوغراما بحسب طراز الآلة، وذلك على الرغم من أن وزن الآلة نفسها يتراوح بين 4 و5.5 كيلوغرامات.

ويصلح هذا الجهاز بشكل جيد للعاملين في مجال الرعاية الصحية الذين يضطرون لحمل كبار السن إلى فراشهم. كما يمكن أنه يسهّل عمل المزارعين والعاملين في شركات النقل.

وتستطيع آلات أخرى رفع الجدران الخرسانية التي لا يمكن للإنسان الوصول إليها، مثل أنقاض مفاعل فوكوشيما النووي، وإعادة تنظيف منشآت الطاقة الشمسية. كما أن هناك آلات طورت لتساعد في جني ثمار الطماطم والفراولة.

ولكن اليابان لن تكون هي اليابان المعروفة اليوم إذا لم يكن هناك حضور للأجهزة الصغيرة ذاتية الحركة مثل أجهزة "ألفا 1 أس" و"ألفا 2" التي طورتها شركة "يوب تك" للروبوت، وتستطيع هذه الأجهزة الرقص بلا انقطاع على موسيقى البوب بشكل مرن على غرار قدوتها الأول، الإنسان.

ولأن اليابانيين يحبون كل ما هو لطيف وصغير الحجم فلم يكن للأجهزة التي تشبه البنات الراقصة أن تغيب عن هذا المعرض.

وربما بدت مثل هذه الأجهزة ساذجة بعض الشيء في عين الإنسان الغربي، ولكنها

> روبوت يستطع رفع الجدران الخرسانية التي لا يمكن للإنسان الوصول إليها، مثل أنقاض مفاعل فوكوشيما النووي، وإعادة تنظيف منشآت الطاقة الشمسية

تؤدي هي الأخرى دورا هاما "وهذه إحدى طرق إدخال الروبوت في حياة الإنسان" حسبما أوضح مطور الروبوت البريطاني أرماندو دي لاروسات من شركة شادو التي تطور أجهزة روبوت مرهفة الحس.

وبخلاف الغرب الذي يخشى فيه الكثيرون التعامل مع الأجهزة ذاتية الحركة تصنع اليابان حسب العالم البريطاني "ثقافة" يتم فيها إعداد المواطن بشكل مسل لمستقبل يصبح فيه الروبوت أكثر أهمية وذلك في ضوء تزايد شيخوخة المجتمع حيث يرى البريطاني دي لاروسات أنه لن تكون لأفضل جهاز آلي ذاتي الحركة أيّ أهمية إذا لم يكن الإنسان مستعدا للتعامل معه. ويوضح دي لاروسات أن أجهزة الروبوت يمكن أن تساعد في صناعة "مستقبل أفضل".

يا ترى، ماذا كان العالم الإيطالي ليوناردو دا فنشي سيقول إذا كان يعيش في عصرنا هذا ورأى مثل هذه الأجهزة؟ "كان سيصنع جهازا بنفسه"، هذه هي إجابة البروفيسور الياباني أسادا.

تقنية الهولوغرام تجسد الخيال في الواقع

تقنية الهولوغرام مجرد طيف من الألوان يمكن من العبور من خلاله دون التأثير عليه أو التأثر به، ولكن الغريب أنه اصبح هناك إمكانية تفاعل هذا الطيف باللمس حيث تتغير خصائصه وشكله ومكانه عند احتكاكه بأي جسم آخر عن طريق استخدام الهواء بموجات فوق الصوتية ليظهر لنا الطيف الهولوغرافي وكأنه جسم ملموس من السهل التفاعل معه.

❑ **لندن** – يراود مخيلة العلماء تحدّ حول كيفية الاستعانة بتقنية الهولوغرام لجعل المستحيل ممكنا وهو تقريب العالم الافتراضي للعالم الواقعي فلا يكفي أن تكون الصورة ثلاثية الأبعاد وتمكن رؤيتها من زوايا مختلفة بل هل يصبح من الممكن لمسها؟

والهولوغرام أو التصوير التجسيدي أو التجسيمي هو تصوير ثلاثي الأبعاد يسجل الضوء المشتت من جسم ليجعل شكل هذا الجسم يطفو كمجسم ثلاثي الأبعاد، وتتم تلك العملية باستخدام أشعة الليزر، فهي إذن إعادة تكوين صور لأجسام باستخدام أشعة الليزر وتجعل هذه الصور ذات أبعاد ثلاثية.

وحسب الموقع الإلكتروني "بالس هيدلاينز" فإنه سبق عرض نماذج أولية للهولوغرام الذي يمكن لمسه، لكن أشعة الليزر التي استُخدمت لتوليد هذه الهولوغرامات كانت تحرق الجلد البشري.

لذلك يمكن اعتبار ما فعله مجموعة من العلماء اليابانيين مؤخرا نقلة نوعية في عالم التكنولوجيا حيث تمكنوا من ابتكار صور مجسمة بالهولوغرام يمكن لمسها وهي لأجسام افتراضية ثلاثية الأبعاد تمكن معالجتها وتداولها باليد.

وحيث استخدموا تكنولوجيا ليزر الفيمتو ثانية (ما يعادل مليونا من المليار من الثانية) بعد أن طوروا ما أسموه "فيري لايتس" أو "أضواء الجنية"، وهي نظام بإمكانه إطلاق نبضات ليزر ذات ترددات عالية تدوم فقط مليونا من المليار من الثانية. وتستجيب هذه النبضات للمسات اليد البشرية لذا فإن هذه النقاط الصغيرة لعناصر الصورة التلفزيونية (بكسل) تمكن معالجتها يدويا في الهواء عند ملامستها.

وهذا الهولوغرام الملموس، الذي يجري تجريبه في مركز جامعة أوتسونوميا للبحوث البصرية والتعليم، يستخدم ليزرا وفرته الجامعة للباحثين.

ويعتقد أحد كبار الباحثين بهذه التجربة الدكتور يويتشي أوتشياي من جامعة تسوكوبا بأنه بالإمكان استخدام هذه التقنية لأغراض تتضمن الترفيه والطب والهندسة المعمارية. وقال إن الحالة الراهنة لتقنية الضوء لا تتيح للبشر بشكل استباقي التفاعل أو الشعور بالضوء كجسم، لكن لدى "الهولوغرام الملموس" القدرة على تغيير ذلك.

وقال أوتشياي "لا يمكنك أن تلمس الصور أو الفيديو وفي حين يكون باستطاعتك تشغيل الفيديو ومشاهدته لكن ليس بمقدورك التفاعل معه أو لمسه لذا فإننا إذا أوجدنا صورة على نحو ثلاثي الأبعاد فسيمكنك لمسها وتداولها".

وأضاف "ستتبدل الحياة اليومية للناس إذا استخدمنا ليزرا أكبر حجما في حيز أوسع حيث يمكن للناس التفاعل معه ولنشاهد كيف يمكن استخدامه في مواضع تستلزم الاتصال ثلاثي الأبعاد مثل مواقع البناء أو في المجال الطبي".

ويقول موقع "بالس هيدلاينز" الإلكتروني العلمي إن الابتكارات الأخرى قد تتيح في النهاية ابتكار لوحة مفاتيح كمبيوتر مصنوعة من الأشعة الضوئية على اللابتوب الشخصي ما يتيح لمستخدمي غرف الدردشة عبر الفيديو ملامسة الشخص على الطرف الآخر من المحادثة. واستخدمت أنواع مختلفة من الهولوغرام على مر السنين تشمل تعدد استخدامات هذه التقنية حيث ينتقل الضوء والصور من مكانهما ليعرضا في الجانب الآخر، مثلا في مجال السينما كما هو الحال في بعض الأفلام الأجنبية مثل فيلم "حرب النجوم" وفيلم "الرجل الحديدي" كما يستخدم في الأغراض الأمنية على سبيل المثال بطاقات الائتمان ورخص القيادة.

وسيصبح بالإمكان تجسيد نجوم الفن بتقنية الهولوغرام إذ أعلنت وسائل الإعلام عن عودة النجمة العالمية الراحلة ويتني هيوستن بتقنية الهولوغرام، وسيتمكن جمهورها من مشاهدتها من خلال صورة الليزر التي تجسدها وكأنها حية، علماً أنها رحلت عن عمر يناهز الـ48 في العام 2012.

وشهدت العاصمة الأسبانية، مدريد في شهر أبريل 2015، أول مظاهرة احتجاجية من نوعها، التي استخدم المشاركون فيها تقنية التصوير التجسيمي هولوغرام للتظاهر بشكل افتراضي أمام مبنى البرلمان الأسباني بدلاً من الحضور بأنفسهم في المكان.

ونُظمت تلك المظاهرة احتجاجا على قانون «سلامة المواطن» التي أقرته الحكومة الأسبانية، وهو القانون الذي سيفرض عقوبات وغرامات على المواطنين في حال التظاهر أو الدعوة للتظاهر دون إذن من الشرطة.

وأعلنت شركة مايكروسوفت في أكتوبر 2015 عن مشروع يتيح استخدام تقنية التصوير المجسم هولوغرام في المنزل عبر تطبيقات مختلفة، ينقل صاحبه إلى أجواء خيالية وهو جالس في منزله، موضحة أن عدة المشروع الذي يدعى «بروجكت إكس»، ستكون متوفرة بحلول العام 2016.

جديد التكنولوجيا

❑ فيس بوك يعلن عن إضافة ميزة البث المباشر وإنشاء صور الكولاج (الصور المدمجة) لكافة مستخدميه، بعد أن كانت مقتصرة على المشاهير. وتتيح الميزة الجديدة لمستخدمي فيسبوك مشاركة لحظاتهم بشكل مباشر مع أسرهم وأصدقائهم على موقع التواصل. وبإمكان الشخص الذي يقوم بعملية البث معرفة أسماء الأشخاص المتابعين له، وقراءة تعليقاتهم مباشرة، وعند الانتهاء من البث سيضاف المقطع المصور إلى الخط الزمني للمستخدم وبإمكانه حذفه لاحقا.

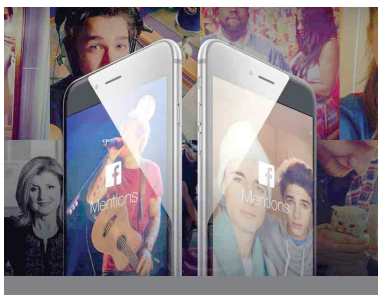

❑ غوغل تطلق تطبيق "كاردبورد كاميرا" لنظام أندرويد، والذي يسمح بالتقاط صور ثلاثية الأبعاد لنظارات الواقع الافتراضي. ويمكن من خلال التطبيق الجديد، المتوفر مجانا داخل متجر جوجل بلاي، التقاط الصور بشكل دائري، أي بتحريك الهاتف من اليمين إلى اليسار بدورة كاملة بنفس طريقة التقاط الصور البانورامية، لكن التطبيق يقوم بإضافة بُعد إلى الصورة للتعرّف على الأشياء لتبدو أكثر واقعية عند وضع النظارة.

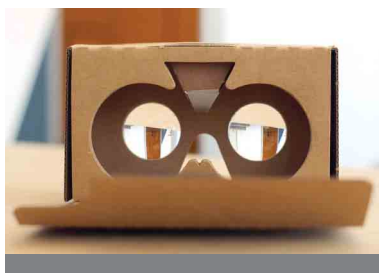

❑ آبل تعلن أن لغة برمجتها الجديدة سويفت أصبحت مفتوحة المصدر ومتوفرة للجميع، حيث يُمكن للمطورين الاستفادة منها داخل تطبيقاتهم على نظامي ماك ولينكس، بالإضافة إلى آي أو إس. وبالتزامن مع جعل اللغة مفتوحة المصدر، أطلقت آبل موقع "سويفت. أورغ" ليكون المرجع الرسمي للمطورين في أيّ وقت للتعرّف على طريقة تنصيبها على الحاسب والتعامل مع واجهاتها البرمجية في تطوير التطبيقات.

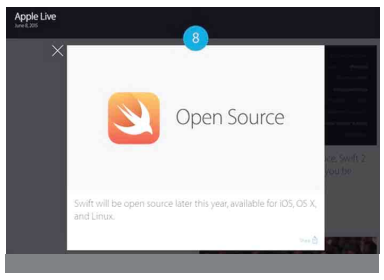

❑ ياهو تطلق إصدارا جديدا من تطبيق التراسل خاصتها "ياهو مسنجر"، فيما يبدو أنه مسعى جديد لاستعادة مكانة التطبيق في سوق أصبحت تهيمن عليه تطبيقات أخرى. وقالت الشركة الأميركية في بيان لها إن الإصدار الجديد متاح للأجهزة الذكية وللويب في خدمة البريد الإلكتروني التابعة لها "ياهو ميل".

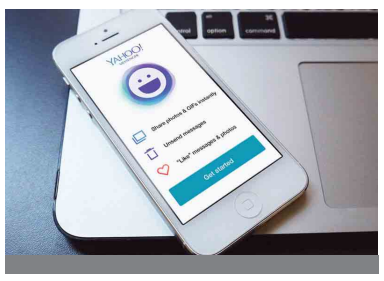

❑ سامسونغ تطلق رسميا النسخة التجريبية الأولى من مُتصفح "إنترنت سامسونغ" الموجه لنظارة الواقع الافتراضي بعد أسبوع واحد من إطلاقها للعموم. ويمكن من خلال "إنترنت سامسونغ" تصفح الإنترنت واستيراد المواقع المُفضلة من مُتصفح سامسونغ الافتراضي داخل هواتف سامسونغ المدعومة، فضلا عن وجود دعم للأوامر الصوتية التي تسمح للمُستخدم بكتابة عنوان أيّ موقع أو كتابة بياناته الشخصية من خلال الصوت فقط ودون الحاجة لاستخدام اليد أبدا.

تمارين الجلوس على الكرسي تعزز رشاقة الأرداف والقدمين

يوغا الكرسي تقلل عبء الجلوس لفترات طويلة

رغم الجلوس لساعات طويلة في العمل أمام الكمبيوتر، فإن الكثيرين يضيفون ساعات أخرى من الخمول في البيت بالجلوس أمام التلفزيون، فيتضاعف بذلك مجموع الساعات المقضاة دون نشاط. وحرصا على التغلب على هذه الظاهرة المتنامية مع تنامي المجتمعات الاستهلاكية، يرى باحثون ضرورة استغلال الكراسي نفسها لممارسة بعض التمارين البسيطة، دون الاضطرار إلى تغيير المكان، الأمر الذي يساعد في تنشيط العضلات وتعزيز الرشاقة واللياقة.

□ لندن – ابتدعت مجموعة من المدربين نشاطا رياضيا بسيطا يرتكز على مجموعة من التمارين المتسلسلة تعمل على كسر الخمول الذي يتولد عن الجلوس لفترات طويلة. ويندرج هذا النشاط ضمن رياضة اليوغا التي لا تتطلب الكثير من الجهد وتعتمد أكثر على دقة الحركة والتحكم في التنفس بطريقة علمية صحيحة.

وأكد كتاب "اليوغا على كرسي" نجاعة هذه الرياضة في رفع مستوى النشاط وتخفيف حدة التوتر والضغوط.

ويشار إلى أن الكتاب من تأليف الكنديتين، كلار أرمانج، مدربة يوغا، وجولي بانفيل، متخصصة في العلاج باليوغا.

وتقول جولي بانفيل إن فوائد تمارين اليوغا باستخدام الكرسي تظهر منذ الجلسة الأولى.

وأكد باحثون أن تمرين الجلوس على الكرسي من أشهر تمارين اليوغا لرشاقة منطقة الأرداف والقدمين. وتمكن ممارسة التمارين في أيّ مكان نشاء، في العمل وفي البيت وفي الحديقة.

> تمارين الجلوس على الكرسي تعد من أشهر تمارين اليوغا لرشاقة منطقة الأرداف والقدمين

ومن بين تمارين الجلوس، الوقوف وكأننا نهمّ بالجلوس ثم وفي نفس الوقت يتم رفع الذراعين إلى الأعلى، مع ضم باطن اليدين معا، وتوجيه الأصابع إلى الأعلى. ومع المحافظة على هذه الوضعية تدفع الساق اليمنى إلى الخلف مع رفع القدم بزاوية 45 درجة وإبقاء ركبة الساق اليسرى مثنية وتثبيت الكاحل على الأرض.

ويفضل الثبات في هذه الوضعية والتنفس بعمق، مع فتح الذراعين وفردهما، مع تحريك الورك والجذع إلى الجانب. ثم على الشخص العودة إلى نفس الوضعية السابقة مع رفع الذراعين والحفاظ على توازنهما مع الأكتاف والأوراك، تفاديا لإيذاء الظهر. ويوصي المدربون بالتركيز على التنفس العميق مع الشهيق والزفير في كل عملية رفع أو إنزال للذراعين.

يشار إلى أن تمارين الأرداف لا تحتاج إلى تمارين للتسخين قبل ممارستها لذلك يمكن فقط تنظيم عملية التنفس بالشهيق العميق والزفير بشكل منتظم.

وتشمل تمارين الأرداف الضغط عليها لفترة إلى أن يصعب الاستمرار في تحمّل ذلك. ويعمل هذا التمرين على تشكيل عضلات الأرداف، لا سيما مع تكرار الحركات مرة بعد مرة.

وفي وضع الجلوس يمكن أيضا رفع القدمين عن الأرض وتحريكهما في حركة دائرية أفقية في الاتجاهين بالتبادل من عشرة إلى عشرين مرة ثم العودة إلى الأرض وتكرارها مرة أخرى. وفي تمرين آخر ترفع الركبة عن الأرض مع الشهيق وتحريك القدم كاملة في حركة دائرية ولكن رأسية هذه المرة

تمارين الكرسي تخفف آلام الظهر والعنق

مع الزفير وببطء. وعندما ينتهي الزفير تنزل القدم في وضع مريح وتكرّر العملية مع القدم الأخرى بحركة دائرة في الاتجاه المضاد.

وكشفت البحوث أن الاستمرار على هذه التمارين، على الأقل مدة شهر، بمعدل مرتين إلى 3 مرات في الأسبوع تساعد في إذابة الدهون المكتنزة في الأرداف.

وتعد جلسة القرفصاء المصغرة من التمارين المقوّية للأوراك. وتعتمد إبقاء اليدين على ظهر الكرسي من أجل التوازن، مع إبعاد القدمين عن الورك وثني الركبتين، مع إبقائهما متجهتين إلى الأمام والمحافظة على استقامة الظهر.

ويشمل تمرين رفع الساق إلى الجانب وضع اليدين على الكرسي للحفاظ على التوازن ثم رفع الساق اليسرى مع الحفاظ على الظهر والوركين مستقيمين وتجنب الإمالة إلى اليمين. ورفع وإنزال الساق خمس مرات ثم تكرار نفس العملية مع الساق اليمنى.

أما تمديد الساق فيتطلب الوقوف باستقامة ورفع الساق اليسرى باتجاه الخلف مع إبقائها مستقيمة، مع تجنب تقويس الظهر، أثناء إرجاع الساق للخلف ثم تكرار الوضعية مع الساق الأخرى.

وخلال تمرين لفّ الجذع على المقعد، ينبغي الجلوس في وضع استقامة على الكرسي ووضع الرجل اليسرى فوق الرجل اليمنى. ثم أخذ نفس عميق وبعد ذلك إخراج زفير. وأثناء الزفير تتم إدارة الخصر برفق ناحية الشمال مع النظر بالعينين إلى الكتف الأيسر. وفي هذه المرحلة يتم الإبقاء على وضع الحوض أمام الجسم دون لفّه مع لف الجذع ومحاولة الإمساك بظهر المقعد باليد اليسرى وشد عضلات الجسم للإطالة. ويفضل البقاء على هذا الوضع لمدة عشر ثوان. ثم تكرار نفس الخطوات مع الجانب الآخر من الجسم.

وجدير بالذكر أن عادات الجلوس الخاطئة خلال العمل تتسبب في الإصابة بآلام الظهر، خاصةً في المنطقة القطنية، نتيجةً للجلوس لساعاتٍ طويلةٍ دون حركة.

فمع مرور الوقت يعتاد الجسم على وضع جلوس غير صحي، فتصبح الأكتاف مائلة إلى الأمام والظهر مُقوّساً، ويشعر الشخص بألم عند الجلوس وبصعوبةٍ في الانحناء نحوَ الأسفل.

وينصح د. آندرياس تاوتس عضو الجمعية الألمانية للطبّ المهني والطب البيئي، بعددٍ من الخطوات التي تساعد في تقليل آلام الظهر؛ وهي مراعاة وضع مفصل الركبة وكذلك المرفق بزاوية 90 درجة خلال فترة العمل، ووضع القدم بشكل مسطح على الأرض دون ثنيها أو الاتكاء على أطراف الأصابع، وأن تكون الأذرع مستندة قدر المستطاع على المكتب.

كما تنبغي إمالة المقعد إلى الأمام قليلاً لجعل الظهر مستوياً، وإمالة الرأس إلى الأمام قليلاً عند النظر إلى شاشة الحاسوب لتجنب إرهاق عضلة الرقبة، ويجب وضع شاشة الكمبيوتر في مستوى النظر بحيث لا يجب أن تنحني أمامها، أو أن تحني ظهرك إلى الخلف لرؤية الشاشة.

ويفضل استخدام وسادة طبية للمقعد لأنها تريح الظهر، واستغلال مساحة الكرسي كلها وعدم الجلوس على طرف المقعد حتى لا تتألّم فقرات الظهر.

ومع استمرار الموظفين والعاملين لساعات طويلة في الجلوس على الكرسي، ينصح دكتور تاوتس بالحركة كل فترة ومغادرة المقعد وتحريك القدمين من وقت إلى آخر.

وهناك أيضا تمرين يساعد على تخفيف آلام الظهر حيث يستلقي الشخص على ظهره وعلى سطح مستوٍ وقدماه مفرودتان، ثم يقوم بثني كل قدم على حدة ورفعها بيديه باتجاه الصدر وتثبيت هذا الوضع عدة ثوان، قبل أن يفرد القدم ويجرّب التمرين مع القدم الأخرى، ومن خلال الاستمرار على التمرين بشكل يومي ستختفي مشاكل الظهر.

> جولي بانفيل، متخصصة في العلاج باليوغا: فوائد تمارين اليوغا باستخدام الكرسي تظهر منذ الجلسة الأولى

يذكر أنّه من المعروف أن التمارين الرياضية تساعد كثيرا على تنشيط الدورة الدموية وتخفيف التوتر مما يخفّف من آلام الظهر ولكن لليوغا فوائد أكثر من ذلك، فحسب أبحاث في جامعة واشنطن تبيّن أن اليوغا تخفف آلام أسفل الظهر بشكل أسرع من التمارين التقليدية.

وفي دراسة أخرى من بين 101 شخص تم اختيارهم عشوائياً قد تم تقسيمهم لثلاث مجموعات، تمارس المجموعة الأولى صفوف اليوغا أسبوعياً ويتمرّن أعضاؤها في منازلهم.

والمجموعة الثانية تشارك في تمارين رياضية بإشراف طبيب معالج فيزيائي بالإضافة إلى التمرّن في المنزل. والمجموعة الثالثة تتلقى مساعدة عن طريق تثقيفهم بكتب العناية بالعمود الفقري. وكانت النتيجة أن المجموعة الأولى مقارنة مع المجموعتين الثانية والثالثة وخلال ستة أشهر من ممارستها لليوغا تمكنت من تخفيف الآلام التي تصيب الظهر وحسّن بذلك العمليات الوظيفية التي يقوم بها العمود الفقري، لأن التنفس العميق والاسترخاء والقوة التي تتطلّبها تمارين اليوغا ساعدت هؤلاء الأشخاص نفسيّاً وصحياً مما خفف عندهم آلام الظهر.

الإجاص يبطئ حركة الأمعاء ويقلل اكتساب السعرات الحرارية

□ القاهرة – يوصي خبراء التغذية بإدماج الإجاص ضمن أنظمة الأكل الخاصة بإنقاص الوزن، حيث يبطئ تناول هذه الثمرة حركة الأمعاء وبذلك تبقى الوجبة وقتاً أكبر في الأمعاء. وبسبب تأخير التفريغ يشعر الإنسان بالامتلاء فلا يطلب طعاما ووجبات أكثر.

وتحتوي وجبة واحدة من الإجاص على 15 في المئة من الألياف الموصى بها يومياً. ووجدت إحدى الدراسات أن النساء اللواتي يتناولن 3 حبات من الإجاص يستهلكن عدد سعرات حرارية أقل ويخسرن الوزن مقارنة بغيرهن من النساء.

> فاكهة الإجاص تحتوي على تركيبة كبيرة من الألياف التي تساهم في محاربة الأمراض الناجمة عن السكري

ويمكن تجفيف هذه الثمرة لتستعمل في فصل الشتاء خصوصا في معالجة بعض الأمراض وفي حميات تخفيض الوزن.

ولفاكهة الإجاص فوائد كثيرة أخرى، فهي تحتوي على الكثير من المواد الغذائية الضرورية للإنسان وتعتبر مصدراً مهماً لفيتامينات (هـ) و(جـ) و(ب2)، كما أنّها غنيّة بالعناصر المعدنية الهامة مثل النحاس والبوتاسيوم. وهي تحتوي على كمية كبيرة من البكتين.

ويعدُّ الإجاص أكثر الفواكه احتواءً على الألياف الغذائية وخصوصاً الذائبة منها. وتحتوي الثمرة الواحدة على ما يقارب 5.5 غرامات من الألياف، أي ما يعادل تقريباً 14–26 بالمئة من احتياجات الإنسان اليومية من الألياف التي يحتاجها جسمه. وتساعد الألياف على تحسين عملية الهضم في الجسم حيث تقوم بتسهيل عملية الإخراج، كما تعمل على تقليل فرص الإصابة بالإمساك، وحتى إذا كان الإنسان يعاني من ليونة الفضلات، فإن الألياف تعمل على ربط المحتوى المائي الزائد في الفضلات. وتساهم الألياف الغذائية أيضاً في حماية الإنسان من خطر الإصابة بالبواسير.

ويعتبر الإجاص غنيا أيضاً بمضادات الأكسدة مثل الفينولات والتي تعمل على حماية الجسم من أمراض كثيرة. أما قشرته فهي من أكثر القشور فائدة، لاحتوائها بدورها على كميات كبيرة من الألياف والمواد الغذائية الضرورية.

ويعتبر عصير الإجاص وصفة جيدة لتقليل خطر الحمى وتقوية مناعة الجسم ضد الأمراض. وللإجاص أهمية كبيرة في المحافظة على صحة الجهاز الهضمي، وأيضاً في خفض نسبة الكوليسترول وتزويد الجسم بالطاقة اللازمة والضرورية لمواصلة النشاط.

ويفيد تناول الإجاص في معالجة السكري، فهو يعتبر غذاء فعالا ضد مخاطر المرض وتطوراته. وتحتوي هذه الفاكهة على تركيبة كبيرة من الألياف الذائبة وغير الذائبة والتي تساهم في محاربة الأمراض الناجمة عن السكري وتقليلها. ويؤكد الكثير من العلماء على أن الفلافونات الموجودة بكثرة في الإجاص، والفلافان والأنثوسيانات التي تحتويها الأنواع الحمراء منه تعتبر عناصر مساعدة في خفض حساسية الأنسولين. وقد ظهرت في الأبحاث التي أجريت حديثا قدرة الألياف الموجودة في الإجاص على تخفيض نسبة الكوليسترول من خلال تخفيضها والقدرة على امتصاصها له في الأمعاء. وقد حازت هذه الثمرة على النسبة الأعلى في ذلك من بين الفواكه التي أجريت عليها التجارب.

ويعالج الإجاص أمراض الأمعاء الغليظة وينشّط المعدة ويكسر العطش ويمنع الغثيان والقيء ويخفض الحرارة. ويدر إفراز الصفراء من المرارة ويدر البول ويفتت الحصى والرمل، وذلك لاحتوائه على البوتاسيوم، كما يعالج خفقان القلب وسرعته.

ويعد الإجاص من الأطعمة المهدئة للأعصاب والمعالجة لبعض الأمراض النفسية كالتوتر والفصام والقلق والإحباط. ويمكن استغلال أزهار الإجاص وأوراقه في المساعدة على التئام الجروح.

الأحزاب الدينية في العراق تثير عقدا لم تكن موجودة

ثقافة التطرف تطرق أبواب معهد الفنون الجميلة وتفصل طلابه عن طالباته

قرار توحيد الجنس أو الفصل بين الجنسين في معاهد الفنون الجميلة في العراق لقي احتجاجات ورفضا واسعا من قبل الطلبة والأساتذة رجالا ونساء معتبرين أنه بداية الطريق نحو تطبيق الفصل بين الإناث والذكور في جميع مؤسسات التعليم العالي العراقية التي مثّلت منذ عقود منارة تعليمية تستقطب الذكور والإناث على حد سواء ودون تمييز. أما تطبيق هذا القرار فيبطن مساعي أعمق من التمييز في التعليم إلى التمييز ضد المرأة عموما وتقزيم دورها في المجتمع وفي الفضاء العام.

سماح بن عبادة

❏ تظاهر المئات من المدرسين وطلبة معاهد الفنون الجميلة، وسط العاصمة بغداد، احتجاجا على قرارات صادرة من مديرية تربية الكرخ الأولى التابعة لوزارة التربية، تقضي بفصل دراسة الطلبة الذكور عن الإناث وأصبح بموجب هذا القرار لا يسمح للمدرّسين بتدريس الطالبات ولا للمدرسات بتدريس الطلاب كما كان معتاد سابقا.

وقف الطلبة وأساتذتهم جنبا إلى جنب إناثا وذكورا في احتجاجات ومظاهرات للتعبير عن رفضهم لقرار الفصل بين الجنسين أو ما يسمّونه توحيد الجنس رافعين شعارات مثل "لماذا تفصلوننا عن أمهاتنا" و"المرأة حضارة والثقافة والفنون أساس الحضارات"، ورفعت إحدى طالبات معهد الفنون شعار "نحن جيل يحطّم التخلف" كما رُفعت لافتة كبيرة حملها المحتجّون تحوي تحليلا معمقا لوضعهم في التعليم ولوضع العراق عموما تقول "التذكير والتأنيث حصل في الموصل 'داعش'، ويراد في الكرخ الأولى 'زاهد' (في إشارة إلى زاهد سعدون حمودي، المدير العام لتربيه بغداد الكرخ الأولى)".

> مشروع يستهدف المرأة بدرجة أولى ويضرب عرض الحائط بحقوقها ومكتسباتها بهدف كسر النمط الاجتماعي السائد عبر فصل النساء عن الرجال لتأكيد دونية المرأة

وكتب المحتجون على لافتة أخرى "داعش ذكر/أنثى = زاهد ذكر/أنثى"، ليصلوا إلى استنتاج أن الأحزاب الإسلامية هي التي تدير الكرخ الأولى.

أوردنا هذه الشعارات للدلالة على درجة وعي وفهم الطلبة والطالبات لحجم ولأبعاد هذا الفصل بينهم حسب الجنس وتنديدهم به ورفضهم له ولمن يقف وراءه من جهات سياسية شبهوها بداعش في توجهاتها ومشاريعها وسياساتها. وأيضا تأكيدا على سموّ تفكيرهم ومنه سمو وقداسة العلاقة بين الأستاذ والطالب وبين الطالب والطالبة بقطع النظر عن الجنس. وتعبيرا عن نظرتهم للمرأة على أنها الأم ومنبع الحياة والحضارة والثقافة.

التعليم حصّن عقول وفكر الشباب والشابات العراقيات كما أساتذتهم من الأفكار الظلامية التي تجعل الجنس يلعب دور الحاجز بين طالب العلم ومعلّمه أو زميله.

هم يدركون أن التمييز بين أفراد المجتمع الواحد على أساس الجنس يشكل مبدأ أساسيا في أيديولوجية الإسلام السياسي. كما يصرّون على أن جامعتهم من المفترض أن تكون "جامعة" -فعلا لا قولا- بين مختلف الانتماءات ومختلف الطبقات الاجتماعية وأن تكون مظلة تأوي الإناث والذكور تحت راية العلم والفن والإبداع ولا تفرق بينهم.

كما أن اختصاصات الفنون الجميلة تستهوي المبدعين والموهوبين والشغوفين بالفن الذي يرتقي بفكرهم وميولهم عن التفكير في الزميلة والأستاذة على أنها أنثى في مجتمع ذكوري لم يكن يفكر في وجوب سترها واستبعادها حتى لا تثير شهوات الذكور المحيطين بها.

النظرة للمرأة على أنها شريك في الحياة تتقاسم مع الرجل الفضاء الأسري والاجتماعي وفضاءات التعلم والعمل في شتى الميادين ليست خاصة بطلبة وأساتذة معاهد الفنون الجميلة في بغداد بل هي نظرة يتبناها أغلب العراقيين والعراقيات وهو ما يثبته تاريخ تعليم الفتيات في العراق. فالمرأة العراقية جلست جنبا إلى جنب في مقاعد الدراسة مع زملائها في الجامعة منذ عقود وحققت نجاحات علمية مثلها مثل زملائها بل أحيانا تفوقت عليهم. ومعهد الفنون الجميلة منذ تأسيسه في ثلاثينات القرن الماضي احتضن الطلاب ذكورا وإناثا ودرّس في فصوله أشهر أساتذة الفنون نساء ورجالا ليتخرج على أيديهم ثلة من الفنانات اللاتي بلغنا شهرة محلية وعربية وعالمية في الفن التشكيلي وفي النحت والمسرح وغيرها من الاختصاصات وهو في ذلك مثله مثل بقية مؤسسات التعليم العالي العراقية.

الإيمان بقيمة التعليم لدى العراقيين لصالح أبنائهم وبناتهم كان له الفضل في دخول المرأة العراقية للمدارس في تاريخ متقدم على نظيراتها في العديد من الدول العربية الإسلامية حيث مثّل التعليم السبيل الأمثل لتطوير وبناء المجتمع وللنهوض بالمرأة وتحريرها من الأمية لتتمكن من الحصول على عمل يمكّنها من تحقيق ذاتها. هذا ما جعل المرأة العراقية تضمن مكانتها في المجتمع العراقي الذي آمن بدورها الفاعل في بناء الدولة وتحقيق التنمية وهو ما جعل الدستور العراقي يضمن حقوق المرأة ويقر بضرورة تشريكها في المجتمع والاقتصاد والسياسة.

غير أن العراق الذي عُكس طريق سيره نحو التقدم، بالتدخل الأميركي منذ عام 2003 والذي نهبت ثرواته وآثاره وتاريخه الفني وأضعفت فيه جميع أجهزة الدولة، بات اليوم أرضا ترتفع فيها أصوات وسطوة الإسلام السياسي وبات ممزقا بالطائفية وخاضعا لأجندات أحزاب الإسلام السياسي التي تسعى جاهدة للقضاء على النمط المجتمعي والثقافي المدني المعتدل وإرجاعه إلى عصر الظلمات.

فالأحزاب الدينية ذات المرجعيات الطائفية تريد أن تحوّل المعاهد والجامعات إلى مساجد وإلى حوزات علمية يدرس فيها التاريخ الطائفي أكثر من الفنون والآداب والعلوم. وتطبيق هذا المشروع يشترط فصل الإناث عن الذكور في هذه الفضاءات العلمية وهو كذلك جزء من مخطط الإسلام السياسي في العراق لإعادة المرأة إلى الوراء ووضعها في كيس النقاب الأسود وفي سجن البيت الذي يمكّن من سترها وفرض الوصاية عليها. ومن هنا تأتي المساعي للحد من فرص تعلم المرأة للفنون بالذات. وتتهم معاهد الفنون بأنها تكرّس الميوعة وبأن الاختلاط فيها ينذر بفساد أخلاقي لدى الشباب. هذا المشروع الذي يستهدف المرأة بدرجة أولى ويضرب عرض الحائط بحقوقها ومكتسباتها يهدف لأن يتمكن من كسر النمط الاجتماعي السائد ومن غرس الفكر الطائفي والرجعي فيه عبر فصل النساء عن الرجال لتأكيد دونية المرأة. وهو مسار لا يمكن أن يكتمل دون تسريب قوانين وقرارات مثل الفصل بين الجنسين في الجامعات والمعاهد، ودون إرجاع المرأة إلى الوراء عبر تقليص حضورها في الفضاء العام وفي المؤسسات والحد من الفرص المتاحة لها للخروج من المنزل وللعمل ليسهل نشر الفكر المتشدد والمتطرف الذي يخضع للمعايير الطائفية أكثر من المعايير الإسلامية الحقيقية.

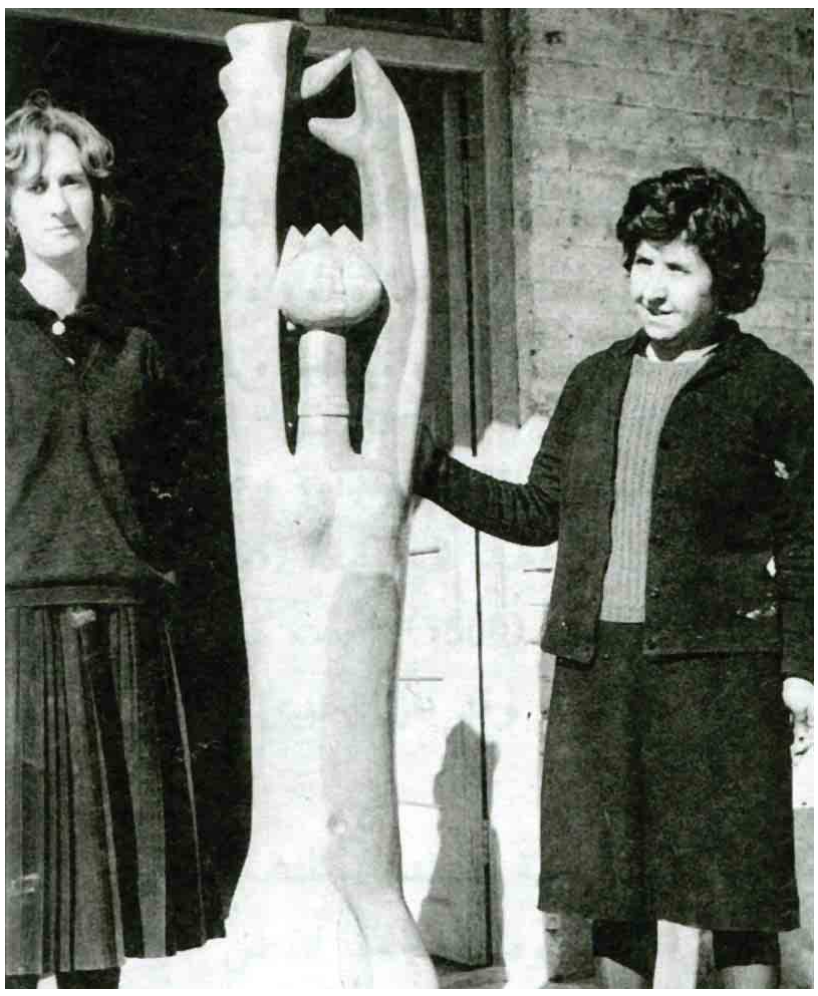

تمثال الأمومة لجواد سليم، مصور مع زوجته لورنا سليم و أخته نزيهة سليم، معهد الفنون الجميلة، بغداد 1961

ويندرج التمشي نحو الحد من اختلاط الفتيات بزملائهم الطلبة في التعليم في خطط بعيدة المدى تؤثر تدريجيا في الثقافة العراقية وتقضي تدريجيا على الفكر الحداثي الذي يؤمن بالمساواة بين الجنسين فعندما تدرس الطالبة في جامعات البنات يصعب عليها فيما بعد الاندماج في سوق العمل في فضاء مختلط وفي المقابل يصعب على الرجل قبولها كزميلة في العمل أو تقبّلها كشريك فاعل في الفضاء العام.

تاريخ تحرر العراقيات لا يسمح لهن بالرجوع إلى الوراء

❏ عندما وصل ولي العهد الأمير غازي بن فيصل الأول بغداد أول مرة قادماً من الحجاز، وذلك في العشرينات من القرن الماضي، كانت مدرسة للبنات في استقباله وقد تخلت مديرة المدرسة وطالباتها عن حجابهنَّ، فلم يكن هناك مَن اعترض أو احتج على هذا الفعل، بينما كانت ضجة الخلاف بين السفوريين والحجابيين قائمة على صفحات الجرائد. بمعنى أن المرأة العراقية قد بدأت في التحرر مِن القيم السائدة في العهد العثماني، والتشجيع كان حكوميا ومِن زعامات المجتمع.

فآنذاك كانت صبيحة الشيخ داوود أول طالبة جامعية التحقت بكلية الحقوق المختلطة ولم يمنعها لا الدولة ولا الأهل، ولم يقف ضدها رجال الدين ولم يحرضوا أحداً عليها، ومعلوم أن قضية المرأة وتحررها كانت قد ظهرت شرارتها عام 1910 عندما نشر الشاعر جميل صدقي الزهاوي مقالته في "المؤيد" المصرية، ثم نشرت في صحف بغداد، وقد نال ما ناله مِن قبل الوالي العثماني آنذاك، لكن قضية المرأة لَم تغلق، بل على العكس فتحت أبوابها من جديد.

خلال عقد العشرينات والثلاثينات وما بعدهما صار طلبة الجامعة مناصفة بين البنين والبنات، فظهر بينهنَّ الشاعرات والكاتبات والرسامات والفنانات والطبيبات والحقوقيات، وكل صفوف الدراسة الجامعية كانت مختلطة، ولم يشهد تاريخ التعليم الجامعي العراقي مخاطر أخلاقية.

فمن عجب لو قارنّا تلك العقود، التي وضعت المرأة العراقية بمكانتها المناسبة، مع العقدين الأخيرين (2015–2003)، حيث تبوأت العراقية أول منصب وزاري في الشرق الأوسط، مثلما هي وزيرة البلديات نزيهة الدليمي، ودخلت المرأة الأحزاب السياسية، وكل هذا كان يجري بالاختلاط مع الرجال، فتقدم مثل هذا لا يمكن أن يتحقق مع الساتر أو الحاجز بين الجنسين، والإشارة إلى المرأة بالحمل والرجل بالذئب.

جرت محاولات وزارة التربية والتعليم العراقية، في عهد وزيرها خضير الخزاعي، على منع الاختلاط في معهد الفنون الجميلة، وهو أكثر المؤسسات الجامعية ميلاً للاختلاط، وذلك لطبيعته، لأنه لا يتجزأ إلى ذكوري وأنثوي، وعندما نقول ذلك لا نقصد أن بقية التخصصات قابلة للمنع. حتى صدر القرار قبل أيام فاضحاً التردّي الحضاري والتخلف الثقافي اللذين يُقاد إليهما المجتمع العراقي، كانقلاب على تلك العقود التي تميزت فيها العراقيات في كافة المجالات.

علينا حساب الانتكاسة الحضارية التي تجري على يد الإسلاميين في العراق، وكأن المشاكل قد تفرعت مِن هذا الاختلاط! في هذا القرار شيء من زيادة التوحش في المجتمع ضد المرأة بالذات، فالمقصود بالقرار المرأة لا الرجل بالدرجة الأولى. وسيبرّر فقهاء هذا القرار بالحفاظ على التقاليد وبحماية أخلاقيات المجتمع الإسلامي، وهنا نقول: هل كان العراقيون في تلك العقود بلا أخلاق ولا دين ولا تقدم ولا عطاء إنساني؟ وأين الأخلاق التي بثت في المجتمع كي يكون بحاجة إلى مثل هذا القرار؟ إن مقارنة بسيطة بين أخلاقيات الأمس وأخلاقيات اليوم تكفي لمعرفة ما وراء هذا القرار.

> الحركات الإسلامية تعتمد طرقا متعددة لفرض أيديولوجيتها الرجعية والتمييزية ضد المرأة لتعيدها إلى الوراء وتفرض عليها مبادئها وتقصيها من الفضاء العام وهذا هو جوهر سياساتها الاجتماعية

الفنانة آزادوهي صموئيل أول طالبة في معهد الفنون الجميلة

❏ بعد أن أنهت الفنانة الشابة آنذاك آزادوهي صموئيل الدراسة المتوسطة عام 1958، وهي ما تزال تعمل في فرقة المسرح الحديث، مع الفنان الرائد إبراهيم جلال دخلت معهد الفنون الجميلة – قسم المسرح عام 1959 لتكون الطالبة الأولى في هذا القسم.

فتحت آزادوهي صموئيل للأخريات من بعدها، بدخولها الشجاع كأول فتاة إلى معهد الفنون الجميلة قسم الفنون المسرحية، الآفاق الواسعة أمام من انخرط بعدها لاحقا لدراسة هذا الفن، فتدفقن ببطء على المعهد في السنة الثانية من دراستها، كانت هناء عبدالقادر ثم جاءت من بعدها سمية داوود، وبعد سنتين كان من طلاب المعهد فوزية الشندي، رؤيا رؤوف، وساهرة أحمد وشوبو

محمد، ومنيرة عباس، وبلقيس الكرخي، وهكذا تقدمت إلى المعهد في السنين التالية ودون حرج كبير، شيماء وغزوة الخالدي، وسعاد عبدالله، وأحلام عرب، ونضال عبدالكريم.

الإسلام السياسي يستهدف حق المرأة في التعليم

❏ فرض قرار الفصل بين جامعات البنين وجامعات البنات وبين أستاذات للبنات وأساتذة للبنين دون الاهتمام بردود فعل الأساتذة والطلبة من الجنسين الذين رفضوا هذه القرارات ولم يجدوا لها مبررات تقنعهم بجدواها، يدل على طبيعة الممارسات السياسية الجارية اليوم في العراق بقرارات فوقية تأتي استجابة لطلب من السلطات المحلية ذات الخلفية الدينية المتشددة التي تسيطر على مفاصل السلطة. فهذا التداخل بين الديني والسياسي ترتب عنه قرار توحيد الجنس في معاهد الفنون الجميلة بتعلات ترتبط بحسن سير العملية التعليمية من جهة وبتطبيق الشريعة الإسلامية من جهة أخرى.

ورغم ما قدّمته مديرية التربية في الكرخ ووزارة التربية من حجج اتكأت في مجملها على رفع مستوى التعليم الجامعي وعلى حسن توزيع الكفاءات من المدرّسين والمدرسات وعلى صون الفضاء الجامعي مما يمكن أن يلحقه من جراء الاختلاط بين الجنسين من مشاكل أخلاقية إلا أنها تعلات تفتقد إلى سند قوي وليس لها من هدف سوى التفرقة والتمييز ضد المرأة بإقرار ومباركة من حركات الاسلام السياسي التي تسعى لفرض ذلك من منطلق طائفي.

في المجمل هذه الحجج جميعها تصب في تغليف الحقيقة بأسباب أكاديمية وتعليمية وأخلاقية بينما الأسباب الحقيقية وراء اتخاذ مثل هذا القرار تتمثل في تنفيذ رؤية متشددة لأحكام الشريعة التي تقر بنظر الأحزاب السياسية ذات المرجعية الدينية ضرورة وأفضلية الفصل بين الجنسين في المجتمع وانطلاقا من الجامعات وهو ما لم يقبله الطلبة والأساتذة الجامعيون. المدرّس في قسم المسرح في المعهد يوسف خالد يقول إن "بعض الوزراء والسياسيين يمتهنون الإسلام السياسي ويحملون أجندات خاصة تشوّه صورة الحياة العراقية. لا يمكن للعراق، وبغداد على وجه الخصوص، أن تكون مدينة مغلقة. بغداد مصدر إشعاع ثقافي. ونحن وطلابنا نصر على التمسك بذلك". من جهتها قالت نبراس هاشم، إحدى مدرسات معهد الفنون الجميلة، في حديث لوسائل إعلام محلية إن "خروج المئات من أساتذة المعاهد الفنون وطلبتهم للتظاهر بسبب قرار مديرية تربية الكرخ الأولى بتوحيد الجنس وعدم تدريس المدرسات في المعاهد التي فيها بنين والعكس.. سيولد فراغا كبيرا بحصص الطلبة"، مشيرة إلى أنه لا توجد صلاحية لمديرية تربية الكرخ بإصدار مثل هكذا قرارات، لارتباط المعاهد بمديرية الإعداد والتدريب ووزارة التربية وليس بمديريات التربية".

وكان عدد من المهتمين بالفنون والفنانين والفنانات العراقيات وكذلك الأكاديميون قد عبروا في وقت سابق عن تخوّفهم من تراجع الفن العراقي ومن تراجع تدريس الفنون ومن أثر ذلك على الأجيال الصاعدة من الطلبة إناثا وذكورا. وكانت الفنانة العراقية زينب عبدالكريم قد صرحت بأن "التربية الفنية تشكل حجر الزاوية في بناء دولة حديثة. وربما تلعب دوراً هاماً في استعادة السلام في العراق. فالطلاب الذين يتعلّمون قيمة الجمال والحياة، ينبذون العداء والغضب".

وهو ما يؤكد أن تعليم الفنون يظل أداة لتطوير المجتمعات إذ ينأى بها عن الفكر المتشدد. هذا تحديدا ما يجعل أحزاب الإسلام السياسي تتّجه لضرب التعليم عبر تشويهه والتأثير بشكل سلبي على الفضاءات الجامعية من خلال تشويه سمعة الإناث في المجال الفني. ومن ثمة المرور لتشويه وشيطنة التعليم المختلط في جميع مؤسسات التعليم العالي العراقية حتى يتسنى لها الولوج بسهولة إلى تغيير فكر الشباب ومنه إلى بث أفكارها المتطرفة لدى جميع فئات المجتمع. فالحركات الإسلامية تعتمد طرقا متعددة لفرض أيديولوجيتها الرجعية والتمييزية ضد المرأة لتعيدها إلى الوراء وتفرض عليها مبادئها وتقصيها من الفضاء العام وهذا هو جوهر سياساتها الاجتماعية.

تدريس الثقافة الجنسية.. حق ترفضه عادات باطلة

المجتمعات العربية تحظر الاقتراب من قضايا الجنس بينما تغرق في لذاته

مواقف أغلب المجتمعات العربية من بعض قضايا الأخلاق تثير الكثير من الحيرة، فبينما يعتبر التطرق إلى مشاكل العلاقات الحميمية، تابوه (محرم) يحظر الاقتراب منه، نجد أن العديد من تفاصيل ومشاكل الحياة في نفس المجتمعات تدور حول الجنس، بداية من قضايا التحرش والاغتصاب وزواج القاصرات، وصولا إلى ارتفاع معدلات الطلاق بنسب مخيفة بسبب المشاكل التي تعوق بلوغ أحد الزوجين درجة النشوة خلال العلاقة الحميمية.

شيرين الديدامونى

التثقيف الجنسي ضرورة وليس رفاهية أين نحن من التربية الجنسية السليمة

□ **القاهرة** - المفارقة، التي لا نعرف إن كانت تثير الضحك أو البكاء، أن عددا من الدول العربية احتلت مكانة متقدمة بين دول العالم في زيارة المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، فجاءت مصر في المرتبة الأولى، وتلتها الكويت، والعراق، والجزائر، ثم الأردن، ما يعني أن عقول الشباب والفتيات ازدهرت بـ "ثقافة الشوارع الجنسية".

بعض الدول العربية، مثل الكويت وجدت الحل في تعديل قانون الفحص قبل الزواج وإدراج الثقافة الجنسية ضمن شروطه، بما يقضي بإلزامية المقدمين على الزواج الالتحاق بدورة تثقيفية قبل الارتباط، في حين طالبت دول أخرى، منها مصر بتدريس الثقافة الجنسية في مراحل الدراسة ما قبل الجامعة.

وظهرت مؤخرا محاولات جريئة من جانب "المبادرة المصرية للحقوق الشخصية" بالتعاون مع "مركز القاهرة للتنمية والقانون" ومؤسسة "تدوين"، عبر إطلاق حملة شعارها "مش عيب" تحت عنوان "التثقيف الجنسي ضرورة وليس رفاهية".

وعلى الرغم من أن الهدف المعلن للحملة تدريس ثقافة جنسية محترمة داخل المدارس تساعد النشء على إقامة علاقات متزنة وسليمة، إلا أنها أثارت حفيظة بعض علماء الدين الإسلامي، فاتهموها بأنها ستشعل غرائز الصغار مبكرا، وتقودهم إلى الانحراف والشذوذ الجنسي، وقام بعضهم بتوجيه رسالة للحملة قائلين "عيب عليكم" لأنه لا يوجد مبرر علمي أو تربوي يبرر تخصيص منهج دراسي بعنوان "الثقافة الجنسية".

متخصصون في التربية والصحة الجنسية علقوا على تحفظ هؤلاء العلماء بأنه تعنّت تسبب في خلق أجيال ثقافتهم الجنسية مشوّهة، أدخلتهم متاهة تشعبت مجاهلها تحت مسمى "العيب" و"الحرام".

> تدريس الثقافة الجنسية يدخل تحت ثقافة العيب ويحتاج إلى تهيئة اجتماعية بصورة شفافة وعلمية

المفاجأة أن هناك علماء رفضوا الموقف المتحفظ لزملائهم من القضية، مثل الدكتور محيي الدين عفيفي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، الذي أكد لـ"العرب" أن الثقافة الجنسية غير محرّمة من الناحية الشرعية، معترفا بأن كثيرا من المشكلات الاجتماعية تنتج عن غياب الثقافة الجنسية الصحيحة، ما يتسبب في انتشار حالات الطلاق.

لكن عفيفي اشترط أن تكون هناك معايير وقواعد لنشرها وتدريسها حتى لا تخرج عن هدفها الحقيقي، وأن تخاطب فئة عمرية من الشباب يتمتعون بالنضج والاستيعاب والتفهم، خاصة المرحلتين الثانوية والجامعية.

ويستشهد بكلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر التي تدرّس مادة المتن، وتتناول كيفية تنظيم العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة وفقا للشرع والفقه الإسلامي.

يتفق معه الدكتور محمد الشحات الجندي، أستاذ الفقه والشريعة بالأزهر، الذي يرى أن الثقافة الجنسية لم تعد من المحرّمات التي لا يقترب منها أحد، خاصة وأن انتشار وسائل المعرفة الحديثة والأقمار الصناعية التي تغزو بلادنا جعلت المواد الجنسية من أفلام وصور ودردشة متاحة للشباب.

وقال الشحات لـ"العرب" إن الكثير من الشباب يتزوج وهو يعاني من أمية جنسية أو يستمد معلوماته عنها من أصدقاء السوء أو الأفلام المخلة، لهذا من الأفضل تدريس الثقافة الجنسية وشرحها للطلاب وفقا لضوابط دينية. في المقابل، يبدو أن القائمين على العملية التعليمية في مصر ما زالوا يعتقدون أن التثقيف الجنسي "عيب" لأنه يعلم الصغار كيفية ممارسة الجنس، ويدفعهم تجاه الانفلات وتعدد العلاقات، لذلك رفضت وزارة التربية والتعليم في مصر وضع "الثقافة الجنسية" كمادة دراسية في مناهجها، معللة وفاءها لتابوهات "العيب" والتقاليد العمياء.

بشير حسن المستشار الإعلامي لوزارة التعليم المصري، قال لـ"العرب" إن تلك الدعوات ضد قيم وتقاليد المجتمع، مستنكرا قبول الأم أن تتلقى ابنتها، وهي مراهقة تدرس في المرحلة الإعدادية أو الثانوية، معلومات عن الجنس.

وأشار إلى أن المناهج الحالية بها ما يكفي من معلومات علمية تفيد الطلاب، أما تلك الحملات فمكانها برامج الفضائيات، وليس بالضرورة المناهج التعليمية بالمدارس.

وعلل حسن شحاتة أستاذ المناهج الدراسية بجامعة عين شمس، رفض الوزارة بحساسية كل ما يتصل بكلمة الجنس في الحياة العامة، فهو يدخل تحت ثقافة العيب والمرفوض، خاصة في ظل مجتمع محافظ ومتدين.

وتوقع أن يعترض أولياء الأمور على تدريس تلك المادة خاصة في المراحل الأولى للتعليم.

وقال شحاتة لـ"العرب" إن تدريسها يحتاج إلى تهيئة اجتماعية بصورة شفافة وعلمية، ومن المهم أن يشارك علماء الاجتماع والدين والتربية والنفس والفلسفة والإعلام في وضع منهج علمي مخطط للمادة، بما لا يتصادم مع عادات المجتمع.

متابعون أيضا لهذا الشأن أكدوا لـ"العرب" أن التثقيف المراقب أهم وأنفع من المعلومات التي يبحث عنها الأولاد، ويحصلون عليها بطرق خاطئة في الغالب، فالموضوعات التي تغلفها هالات التحريم والصبغة الدينية، تكون مرتعا خصبا للخزعبلات والادعاءات والتخويف والترهيب.

ومن ثمة حرمان الإنسان من المعرفة وحق الاختيار، لذلك جاء تأكيد محمد دياب أستاذ الطب النفسي، لـ"العرب" بأن الحق في المعرفة ينطبق على التثقيف الجنسي وإزالة الغموض من الأسئلة والمشاعر والسلوك والتغيرات الجسدية والنفسية والوجدانية المرتبطة بالتطور النفسي والجسدي للإنسان واحتياجاته. وتساءل دياب ماذا فعل المجتمع للفتيات في فترة المراهقة لكي يجهزهن للحياة؟

وأجاب أن المنزل يتجاهل ما يمر به الفتى والفتاة من تغيّرات فيزيولوجية، والمسؤولون عن التعليم ليس لديهم الشجاعة الكافية ليتخذوا قرارا بتدريس الثقافة الجنسية.

طبق اليوم

كفتة البرغل بشوربة الطماطم

* **المقادير:**

- 5 أكواب من عصير الطماطم.
- 3 فصوص من الثوم.
- 3 ملاعق كبيرة من السميد.
- حبتان من البصل تفرمان فرما ناعما.
- ملعقتان كبيرتان من السمن.
- ملعقتان صغيرتان من النعناع الأخضر المفروم.
- ملعقة صغيرة من الملح.
- ملعقة صغيرة من القرفة.
- كيلوغرام من اللحم المفروم.
- ملعقة صغيرة من قشر الليمون.
- نصف كوب من المشروم (مقطع قطعا صغيرة للحشو).
- نصف كوب من البرغل.
- نصف كوب من الجلبانة المسلوقة للحشو.
- نصف كوب من الجزر المقطع والمسلوق للحشو.
- نصف ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود المطحون.

* **طريقة الإعداد:**

- يغسل البرغل وينقع في ماء لمدة ساعة ثم يصفى من الماء جيدا بوضعه في مصفاة مع الضغط عليه باليد.
- يخلط البصل مع اللحم ويتبّل بالملح والفلفل وبشر الليمون والنعناع.
- يتم خلط اللحم والبصل مع إضافة البرغل حتى يصبح الخليط ناعما.
- تبلل اليد بالماء ويؤخذ من العجين حجم ثمرة المشمش ثم يضغط عليها بإصبع الإبهام لتشكل كوبا صغيرا ثم يوضع بداخله الخضار المسلوقة وتغلق جيدا.
- في إناء على نار متوسطة توضع بصلة مفرومة وتحمّر ثم يضاف الثوم مع التقليب. ويضاف عصير الطماطم ويتبل بالملح والفلفل. ثم يضاف السميد مع التقليب ثم تضاف الكفتة. وتترك حتى تغلى ثم تخفف درجة الحراة. حتى تنضج الكفتة.

تقدم الكفتة ساخنة مع أرز أبيض وسلطة.

موضة

أزياء تميزت بخطوط جديدة

□ قدم المصمم المصري هاني البحيري عرض أزيائه السنوي مؤخرا في القاهرة، في حضور مجموعة كبيرة من نجوم الفن والمجتمع، وشمل العرض أحدث تصميمات فساتين الزفاف والسهرة لعام 2016.

تميزت المجموعة بعدة خطوط جديدة لم يستخدمها هاني البحيري من قبل في تصميماته، حيث قدم للمرة الأولى فستانا خاص بالمحجّبات في عرض الأزياء الرسمي له في تصميم مبهر بلمسات مميزة في التطريز الراقي مع كاب على الظهر وله طول يلامس الأرض.

كما أدخل هاني في مجموعته بعض تصميمات الفساتين الكوكتيل المشجرة في أزياء رقيقة وهادئة خلت تماما من التطريزات التي اشتهر البحيري بتقديمها.

تضمنت المجموعة عددا من التصميمات الأنيقة الخاصة بالسهرات والتي أنجزت بالعديد من الخامات، وتلونت بألوان مختلفة منها الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأزرق والذهبي والبنفسجي والفضي.

أما فستان الزفاف الذي قدمته الفنانة حورية فرغلي فتميز بالأناقة والفخامة.

ظاهرة الإنكار

هيفاء بيطار

□ استوقفتني -كما استوقفت كثيرين- تصريحات العسكريين اللبنانيين الذين كانوا مُختطفين لدى جبهة النصرة لمدة سنة وأربعة أشهر، إذ بدوا لحظة تحريرهم منفعلين حتى الحدود القصوى ولحاهم تلامس صدورهم ووجوههم محتقنة ونظراتهم زائغة من الفرح والذهول كأنهم لم يُصدقوا أنهم أصبحوا أحرارا ولم يعودوا مُختطفين لدى جبهة النصرة، كلهم شكروا خاطفيهم، وأكدوا أنهم عُوملوا أحسن معاملة، وصرّحوا بأن جبهة النصرة غير إرهابية، وبدا واضحا لدى بعضهم التناقض بين أقواله وتعابير وجهه التي أفصحت عن عكس كلامه.

ويحضرني مشهد مماثل، وهو تصريحات راهبات معلولا عند تحريرهن من الخاطفين وهي جبهة النصرة أيضا، كيف صرحن أن الخاطفين عاملوهن أحسن معاملة.

العلاقة بين الخاطف والمخطوف معقّدة جدا، ومعاناة المخطوف أصعب من معاناة المسجون، لأن السجين يخضع لقوانين معينة وقد يتأمل بعفو أو وساطة ويمكنه أن يوكل محاميا للدفاع عنه، أما المخطوف فهو خاضع لمزاج جماعة تتخذه رهينة، وتملك ملكية تامة التصرف به، ومن المدهش أن العسكريين اللبنانيين شكروا جبهة النصرة التي شاهدوها كيف ذبحت وقطعت رؤوس زملاء لهم في الجيش، ولا زالت تحتفظ بمخطوفين من العساكر اللبنانيين وغير اللبنانيين.

في الطب النفسي تسمى هذه الحالة بظاهرة الإنكار أي أن الشخص الذي يخضع لظروف قاهرة ولا يملك حريته وقرار التحكم بحياته ويخضع خضوعا تاما لسلطة مستبدة تسيطر على حياته ولا يملك تجاهها أيّ وسيلة للدفاع عن نفسه، فإنه أمام هذا الواقع الكارثي والكابوسي يُقنع نفسه ويُوهمها بأن المُستبد والمتحكم بحياته ومصيره هو شخص رائع، أو أن هذه الجماعة إنسانية وتثير الإعجاب وتستحق الشكر، بل يصل الأمر بمن يعانون من ظاهرة الإنكار إلى الإعجاب حدّ التماهي مع المُستبد الخاطف، وقد لا يكون المستبد خاطفا، قد يكون حاكما ورئيس دولة يضطر المواطن المُروع من الخوف من السجن والاعتقال وحتى الخطف، إلى إظهار مشاعر زائفة من الإعجاب بالحاكم المستبد وتأليهه ووضع صورته في مكتبه أو بيته أو حتى في ساعته، ويبرر من يخضع لظاهرة الإنكار كل تصرفات وجرائم الخاطفين، كما يبرر المواطن المسكين في عالمنا العربي كل مظاهر الفساد والاستبداد لدى الحكام، حتى أنه يبرر لهم ثرواتهم الطائلة، ويبرّر لهم زج مئات الآلاف من الشبان في السجون لمجرد أن لهم رأيا مُختلفا أو معارضين لحزب الحاكم.

وكم من مرة سمعت مواطنين مساكين مغلوبين على أمرهم يتكلمون كالببغاء ويقولون: الله أعلم بفلان أيّ جرم ارتكب حتى حكموا عليه بالسجن لعشرة أعوام، وهم يعرفون في أعماقهم أن فلان لم يرتكب أيّ جرم سوى أنه يُفكّر بطريقة مُختلفة، لكن من الصعب على الإنسان مسلوب الحرية والإرادة والتحكم بحياته ومصيره، وعلى جهازه العصبي وعي هذه الحقيقة باستمرار والاعتراف بها، إذ قد يؤدي هذا الوعي إلى انهياره نفسيا أو حتى انتحاره.

فأيّ حياه هذه والمواطن يعيش مع أسرته وأولاده وفي عمله تحت وطأة استبداد مُطلق قادر أن يمحوه من الوجود بالبساطة التي يدوس بها شخص على صرصار، ولنتخيل حال المخطوف وهو قابع في سجن الخاطف واعيا كل لحظة أن حدّ السكين قد يحز رقبته وأنه في اللحظة التالية قد يكون رأسه في جهة وجسده مقطوع الرأس ينتفض في جهة أخرى، كيف يمكن لإنسان أن يتحمل تلك الحقيقة؟ سيصيبه الانهيار والجنون بالتأكيد، لذا يلجأ الجهاز العصبي كي يحمي الإنسان من الانهيار النفسي إلى إنكار الواقع وإنكار الحقيقة، وإلى خلق واقع مُتخيّل بأن الخاطف على حق وهو لن يؤذيه بل هو إنساني وحنون، بل يصل الأمر أحيانا إلى التماهي مع الخاطف والإعجاب به وتمثل صفاته، كما يصل الأمر بالمواطن الذي يعيش في ظل أنظمة مستبدة إلى الإعجاب بمظاهر الاستبداد، فيرقص كالقرد في المسيرات المؤيدة ويرجع مرددا شعارات تأليه الوطن الذي يمثله الحاكم، ويبرر لهذا الحاكم قتل المدنيين وسجنهم وزجهم في معارك، ويبرر كل مظاهر انتهاك أسرة الحاكم للشعب المسكين الذي يفتقد لدولة القانون والعدالة والمواطنة ولا تحكمه سوى شريعة الغاب أي الحق للأقوى، لكن لا يمكن تعميم ظاهرة الإنكار على الجميع بل هي تصيب أشخاصا يخضعون لظروف بالغة القسوة، ويشعرون بالعجز عن تحمل كل هذه الضغوط المخيفة والساحقة فيلجؤون إلى أمان الوهم أو الإنكار.

وكما سمعنا في الإعلام فإن العسكريين اللبنانيين المحررين من الخطف من قبل جبهة النصرة سوف يخضعون إلى علاج نفسي يستمر طويلا كي يعودوا إلى ذاتهم وشخصيتهم الحقيقية وكي يتحرّروا فعلا من الآثار الرهيبة الكارثية لتجربة الخطف التي استمرت ستة عشر شهرا، كي يستطيعوا أن يعترفوا أن خاطفيهم إرهابيون، كي يبكوا ندما أنهم شكروا خاطفيهم وقد شاهدوهم كيف ذبحوا أصدقاءهم، وكيف استبدوا بهم وحرموهم من أسرهم وحياتهم الطبيعية.

أتأمل أن يأتي يوم يتحرر فيه المواطن العربي الذي يعيش في ظل أنظمة استبدادية من ظاهرة الإنكار، وأن يعود إلى ذاته الحقيقية التي غيّبها الخوف تحت ألف حجاب وحجاب، وأن يستطيع المواطن أن يجهر بالحق، لأن لا معنى لحياة في غياب الإحساس بالكرامة والحرية، فظاهرة الإنكار لا تخص المُختطفين فقط بل كل إنسان يشعر بخطر كبير على وجوده وحياة أولاده، كل مواطن يعيش وحياته ومصيره في قبضة حكم استبدادي قادر أن يشطبه من الوجود وأن يقطع لقمة عيشه وأن يزج به في السجون المدة التي يشاء وأن يعدمه تحت أيّ تهمة يلفقها له.

ظاهرة الإنكار هي ظاهرة تستحق الدراسة والاعتراف بها على الأقل في عالمنا العربي، لأن الاعتراف بالمشكلة هو نصف حلها. العدو الحقيقي للإنسان هو الخوف وليس الموت، لأن الموت مصير كل كائن حي، أما الخوف فهو الذي يشل الطاقة على العيش الكريم ومواجهة الواقع مهما كان قاسيا.

من مدرب للهواة إلى رجل دوري الأضواء

ماوريسيو ساري يقود نابولي على طريق استرجاع الأمجاد

يعد المدرب الجديد ماوريسيو ساري، المصرفي السابق الذي قرر في عام 1999 الاتجاه بشكل كامل إلى عالم التدريب، هو الأيقونة الحالية في نابولي. وبعد ثلاثة مواسم جيدة في إمبولي، قاد خلالها الفريق للصعود للدرجة الأولى، بدا وأن ساري جلب معه القوة الدافعة إلى النادي الذي غالبا ما افتقد القدرة على التماسك.

روما – لم يكن أكثر المتفائلين من جمهور نابولي يتوقع بأن يتواجد الفريق الجنوبي في صدارة الدوري الإيطالي بقيادة مدرب أمضى مسيرته وهو يشرف على الهواة قبل أن يشق طريقه إلى دوري الأضواء الموسم الماضي صحبة إمبولي. لكن ماوريسيو ساري فرض نفسه بقوة في موسمه الثاني بين الكبار بعد أن جعل من نابولي فريقا جذابا يتميز بأسلوبه الهجومي (26 هدفا في 14 مباراة) وأدائه الممتع الذي خوله التواجد على صدارة الدوري للمرة الأولى منذ 29 أبريل 1990 حين توج بلقبه الأخير وكان ذلك بقيادة أسطورة النادي الأرجنتيني دييغو مارادونا.

والمفارقة أن مارادونا نفسه كان انتقد إدارة النادي الجنوبي على تعاقدها مع المدرب البالغ من العمر 56 عاما، قائلا قبيل انطلاق الموسم "إنه ليس الرجل المناسب لنابولي. لن نفوز بأي شيء معه". وجاء رد ساري على أرضية الملعب والأرقام إذ حافظ نابولي على سجله الخالي من الهزائم في مبارياته الـ16 الأخيرة في جميع المسابقات حيث حقق 14 انتصارا وتعادلين وسجل 38 هدفا فيما تلقت شباكه 4 أهداف فقط.

وكان الفوز على إنتر ميلان 2–1 مفتاح صعود نابولي إلى الصدارة على حساب "نيراتزوري"، معززا مكانته كفريق منافس بشكل جدي على اللقب. واضطر مارادونا إلى تقديم اعتذاره إلى ساري الذي أسكت المشككين بقدراته وأكد أن افتقاده إلى خبرة اللعب، كونه امتهن التدريب دون أن يمارس اللعبة بمواجهة مدربين آخرين تألقوا كلاعبين، لم يقلل من شأنه أو يحد من قدرته على التعامل مع مجريات المباريات. وقد أثبت ساري علوّ كعبه وعدم تأثّره بافتقاده إلى شعور اللعب على أعلى المستويات من خلال تفوّقه على مدربين كانوا في السابق نجوما كبار مثل روبرتو مانشيني (إنتر ميلان) وستيفانو بيولي (لاتسيو) أو البرتغالي باولو سوزا (فيورنتينا). ومن المؤكد أن ساري لم يسلك مسارا تقليديا مشابها لمسار أيّ من مدربي مثل تشارلز بوكوفسكي وجون فانتي، نفسه متربعا مع نابولي على الصدارة فيما يقبع فريق مثل يوفنتوس المتوج باللقب في الموسم الأربعة الأخيرة ووصيف بطل دوري أبطال أوروبا في المركز الخامس بفارق 7 نقاط عن غريمه الجنوبي.

لكن تواجد نابولي في الصدارة لم يدفع ساري إلى الحلم باللقب منذ الآن بل أكد هذا المدرب أنه واقعي من خلال القول بعد الفوز على إنتر في مباراة عانى خلالها فريقه في دقائقها الأخيرة "لن نفكر باللقب. سيتعرّض اللاعبون للتوبيخ بسبب الدقائق العشرين الأخيرة من المباراة. تبقى هناك 72 نقطة على انتهاء الموسم. ومع 31 نقطة، وهو رصيد الفريق حاليا، فنحن لسنا ضامنين حتى لاستمرارنا في الدرجة الأولى. أنا لست حالما فلديّ مهنة أخرى".

يمارس ساري مهنته باللباس الرياضي وبعيدا عن الأناقة التي تميز مدربي الدوري الإيطالي، وذلك نابع من شغفه الذي يقوده في بعض الأحيان إلى إجبار لاعبيه ولساعات طويلة على محاولة ابتكار طرق جديدة في تنفيذ الركلات الثابتة وهو يتفرّج عليهم دون أن تفارقه السيجارة. ولم يكتف ساري في ابتكار طرق جديدة في تنفيذ الكرات الثابتة بل إنه يستخدم طائرة دون طيار مزودة بكاميرا أو ما يعرف بـ"درون" من أجل مراقبة تمركز لاعبيه خلال التمارين. وما هو مؤكد أن ساري المولود في نابولي بالذات لأب كان يعمل كمشغل رافعة، بدأ يشق طريقه بقوة إلى قلوب أهل المدينة العاشقة لكرة القدم وأبرز دليل على ذلك أن تمثالا على شاكلته أصبح يباع حاليا في الأسواق القديمة الشهيرة للمدينة إلى جانب تمثال الأسطورة مارادونا.

برز فريق نابولي، متصدر الدوري الإيطالي بعد مرور 14 جولة، كأحد ظواهر الموسم الحالي في أوروبا في ظل تقديم الفريق لمستوى مميز بقيادة المدرب ماوريسيو ساري والذي أعاد اكتشاف العديد من نجوم الفريق وعلى رأسهم الهداف الأرجنتيني غونزالو هيغواين. كانت بداية الموسم في غاية السوء، لتبدأ موجه من الانتقادات للمدرب الإيطالي وكان أهمها من قبل الأسطورة مارادونا والذي هاجم اختيار دي لاورنتس مؤكدا أنه اختيار سيء وغير مناسب لنابولي مطالبا رئيس النادي بفهم ماذا يعني نابولي والحجم الذي يجب أن يكون عليه مدرب الفريق.

تغير أداء الفريق تماما منذ الجولة الرابعة حيث حقق الفريق منذ حينها 9 انتصارات وتعادلين ولم يخسر مطلقا محققا انتصارات مدوية بالفوز على لاتسيو بخماسية دون رد وعلى الميلان برباعية دون رد مسجلا منذ حينها 21 هدفا في 11 مباراة واهتزت شباكه 3 مرات فقط.

أما على الصعيد الأوروبي فيعدّ نابولي هو الفريق الأبرز دون منازع في بطولة الدوري الأوروبي بكونه الفريق الوحيد الذي حقق العلامة كاملة بعد مرور 5 جولات والوصول للنقطة الخامسة عشرة، ولم يتوقف الأمر عند تحقيق الفوز فقط بل يعد الفريق هو الأقوى هجوما ودفاعا بين كل فرق البطولة حيث سجل 17 هدفا واهتزت شباكه مرة واحدة فقط.

تولى ساري، والذي كان مدربا لإمبولي الموسم الماضي، تدريب الفريق في شهر يونيو الماضي وذلك بعد إعلان الأسباني بينيتيز عدم تمديد تعاقده مع الفريق وتوليه تدريب ريال مدريد الأسباني والذي كان أعلن الاستغناء عن مدربه الإيطالي كارلو أنشيلوتي. وأشرف ساري على تدريب الفريق بعد موسم محبط فشل فيه الفريق في التأهل لدوري الأبطال بعد الخسارة في الجولة الأخيرة على ملعبه أمام لاتسيو، بالإضافة إلى فشله في الحفاظ على لقبه كبطل لكأس إيطاليا وعبور دينيبرو الأوكراني المغمور في الدور ما قبل النهائي للدوري الأوروبي مما زاد من إحباط الجماهير لعدم امتلاك ساري أيّ تاريخ تدريبي كبير يؤهله لخلافة بينيتيز الفائز بالعديد من البطولات وعلى رأسها دوري الأبطال والدوري الأوروبي والدوري الأسباني وكأس العام للأندية، حيث ينحصر تاريخ ساري التدريبي في نجاحه في التأهل للدرجة الأولى مع إمبولي ثم هروبه من شبح الهبوط الموسم الماضي واحتلاله المركز الخامس عشر.

> ساري فرض نفسه بقوة في موسمه الثاني بين الكبار بعد أن جعل من نابولي فريقا جذابا يتميز بأسلوبه الهجومي (26 هدفا في 14 مباراة) وأدائه الممتع الذي خوله التواجد على صدارة الدوري للمرة الأولى منذ 1990

> رد ساري على المشككين جاء في أرضية الملعب والأرقام إذ حافظ نابولي على سجله الخالي من الهزائم في مبارياته الـ16 الأخيرة في جميع المسابقات حيث حقق 14 انتصارا وتعادلين وسجل 38 هدفا فيما تلقت شباكه 4 أهداف فقط

دوري الأضواء

انتظر ساري حتى الموسم الماضي ليختبر شعور التدريب في دوري الأضواء بعدما صعد بإمبولي إلى دوري الدرجة الأولى، وبعد أقل من عام ونصف يجد المدرب الذي يحب قراءة كتب الروائيين الأميركيين دوري الأضواء، فقد أشرف طيلة مسيرته على فرق هواة ابتداء من 1990 (العام الذي توّج فيه نابولي بلقبه الأخير في الدوري) مع ستيا ثم فاييزي، كافريليا، أنتيلا، فالديما، تيغوليتو، سانسوفينو، وذلك بموازاة عمله في مصرف "مونتي دي باتشي". وكانت أفضل فترات مسيرته التدريبية في التسعينات قيادته سانسوفينو إلى دوري الدرجة الرابعة ثم وصل إلى الدرجة الثالثة مع سانغيوفانيسي في أوائل الألفية الجديدة ما دفع نادي الدرجة الثانية بيسكارا إلى التعاقد معه عام 2005 وهو الأمر الذي دفعه إلى ترك وظيفته في المصرف.

الرجل المناسب

كان رئيس النادي دي لاورنتس مصرا على أن ساري هو الرجل المناسب لتحقيق طموحات الفريق مؤكدا أنه قادر على خلق مزيج بين الكرة الهجومية الرائعة التي يحبّها الجمهور وتحقيق النتائج الجيدة. ويعتمد ساري في أسلوبه على تحويل الفريق لمنظومة جماعيه لكل فرد فيها دور يؤديه بمساعدة زملائه وليس بمفرده، فأصبح الفريق يدافع بأكمله بدءا من هدافه هيغواين الذي يرجع من منطقة الهجوم حتى وسط الملعب عند فقدان الكرة، فضاقت المساحات بين خطوط الفريق.

كما أن شباك الفريق اهتزت 10 مرات في 19 مواجهة هذا الموسم في مختلف البطولات بمعدل 0.52 هدف في المباراة بعدما كان المعدل الموسم الماضي 1.19.

أما هجوميا فتطور الفريق وأصبح يسجل بمختلف الطرق سواء عبر التمريرات من العمق بنوعيها الطويلة والقصيرة للمهاجمين أو عبر الكرات العرضية أو التسديد من خارج المنطقة، وأصبح الفريق يمتلك 10 لاعبين في قائمة هدافي الكالتشو والدوري الأوروبي. ورفع احتلال نابولي لصدارة الترتيب منفردا للمرة الأولى منذ عام 1990 بشدة من طموحات الجميع في المدينة الساحلية وأصبح الكل هناك لا يتحدث إلا عن إعادة أمجاد عهد الأسطورة مارادونا وهو ما سيضع الفريق تحت ضغط عصبي بكل تأكيد مثلما منحته الانتصارات أيضا ثقة كبيرة طوال الفترة الماضية.

مانشستر سيتي يتكبد خسارته الرابعة في الدوري الإنكليزي

إصابة فرناندو تجبر السيتيزن على إكمال المباراة منقوصا

يدين ستوك سيتي بانتصاره أمس السبت على حساب متصدر الدوري الإنكليزي مانشستر سيتي بهدفين دون رد، لنجمه السويسري الشاب شيردان شاكيري الذي صنع هدفين سجلهما المهاجم النمساوي ماركو أرناتوفيتش في الدقيقتين 7 و15، ليرفع ستوك سيتي رصيده إلى 22 نقطة في المركز التاسع.

السيتيزن قدم أسوأ مبارياته هذا الموسم

❏ **لندن** – قدم فريق مانشستر سيتي واحدة من أسوأ مبارياته هذا الموسم، وسقط بالخسارة خارج أرضه أمام ستوك سيتي بهدفين دون رد في المباراة التي جمعت الفريقين أمس السبت على ملعب بريطانيا ستاديوم في افتتاح منافسات الجولة 15 من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

السيتيزن نال الخسارة الرابعة له في البريميرليغ هذا الموسم، وأفلت من خسارة ثقيلة للغاية، ليتجمد رصيده عند 29 نقطة، وتهتز قمة الدوري تحت أقدامه، ليمنح منافسه ليستر سيتي الذي يتساوى معه بنفس الرصيد فرصة للانفراد بالصدارة.

أجرى مانويل بيليغريني عدة تعديلات على التشكيلة الأساسية لتعويض غياب المصابين يايا توريه وسيرجيو أغويرو وفنسنت كومباني وبابلو زابالييتا، إلا أن فريق ستوك سيتي كان الأكثر خطورة، وفرط في الخروج بفوز بعدد وافر من الأهداف في الشوط الأول.

ارتبك دفاع السيتي كلما لمس الثلاثي شيردان شاكيري وماركو أرناتوفيتش وبويان الكرة، ونجح مارك هيوز المدير الفني لستوك في استغلال سوء حالة قلبي الدفاع ديميكيلس ونيكولاس أوتاميندي، كما فشل ثنائي الوسط فرناندو وفرناندينيو في إبطال مفعول جملة تكتيكية تكررت أكثر من مرة بين شاكيري وأرناتوفيتش.

في الدقيقة السابعة مر شاكيري ولعب كرة عرضية استقبلها أرناتوفيتش ووضعها مباشرة في الشباك محرزا الهدف الأول، ثم مرر اللاعب السويسري الشاب كرة بينية ماكرة، لينفرد أرناتوفيتش بالمرمى ويسجل الهدف الثاني.

وتكررت هذه الهجمة مرة أخرى، لكن في المرة الثالثة أنقذ القائم الأيسر جو هارت من "هاتريك" لأرناتوفيتش، كما هدد المهاجم النمساوي المرمى بضربة رأس مرت بجوار القائم الأيمن.

على الجهة الأخرى تعطلت أسلحة مانشستر سيتي، دافيد سيلفا ورحيم ستيرلينغ وكولاروف وباكاري سانيا، وكانوا تائهين داخل أرض الملعب، بفضل تألق ثلاثي الوسط أفيلاي وويلان وكاميرون، حيث اكتفى الضيوف بتهديد مرمى ستوك سيتي بمعدل مرة كل 15 دقيقة، حيث أنقذ الحارس بوتلاند تسديدة كيفين دي بروين في الدقيقة 14، وأخرى لكولاروف في الدقيقة 42، وبينهما تسديدة طائشة لويلفريد بوني في الدقيقة 30.

واستغل أصحاب الأرض اندفاع مانشستر سيتي للهجوم، واعتمد مدربه مارك هيوز على الهجمات المرتدة التي شكلت خطورة كبيرة، وكاد ستوك سيتي أن يقتل المباراة بهدف ثالث من انطلاقة لبويان ومروره بمهارة من أوتاميندي ليسدد كرة أنقذها جو هارت ببراعة، لترتد إلى أرناتوفيتش ليضعها في خارج المرمى.

لم يجد بيليغريني حلا سوى المجازفة وتنشيط الصفوف بعد مرور 15 دقيقة من الشوط الثاني، حيث أجرى تغييرين دفعة واحدة بنزول فابيان ديلف وكليتشي إيهيناتشو مكان فرناندينيو وويلفريد بوني، ثم خيسوس نافاس مكان دافيد سيلفا، إلا أن أداء السيتي تأثر كثيرا بالرياح الشديدة التي لم تكن في صالحه.

> مانشستر سيتي أفلت من خسارة ثقيلة للغاية ليتجمد رصيده عند 29 نقطة، وتهتز قمة الدوري تحت أقدامه

وفي الدقيقة 68، تعثر شاكيري نجم المباراة في وضع الكرة بالشباك الخالية بعد تمريرة من أرناتوفيتش، بعدها بثلاث دقائق مرر شاكيري كرة بينية رائعة لينفرد بويان بالمرمى، ولكنه سدد الكرة في جسد جو هارت، بعدها غادر الملعب ليشارك مكانه جوسيلو.

الأسلحة البديلة لمانشستر سيتي لم تكن كافية لهز شباك جاك بوتلاند، ولم تنجح كتيبة بيليغريني في استغلال العديد من الركلات الركنية، وجاء التهديد الوحيد للمرمى من تسديدة كولاروف في الشباك من الخارج.

وتعرض البرازيلي فرناندو لاعب وسط فريق مانشستر سيتي لإصابة عضلية أجبرته على عدم استكمال المباراة، ففي الدقيقة 73، شكا فرناندو من إصابة في عضلة الفخذ اليمنى، وفشلت جهود الجهاز الطبي لمانشستر سيتي في إسعافه ليغادر الملعب، ويجبر فريقه على خوض اللقاء بعشرة لاعبين.

وكان المدرب التشيلي مانويل بيليغريني المدير الفني للسيتي استنفد تبديلاته الثلاثة بحلول الدقيقة 61، حيث أشرك فابيان ديلف وكليتشي إيهيناتشو وخيسوس نافاس مكان فرناندينيو وويلفريد بوني ودافيد سيلفا.

السخرية من الغريم أقسى من قتله

مراد البرهومي

❏ يعيش ريال مدريد فترات صعبة للغاية وظروفا استثنائية، ما في الأمر أي شك، فبعد السقوط برباعية ضد برشلونة وبعد فضيحة مهاجمه بنزيمة وبعد تواصل مسلسل الإصابات وأخيرا فضيحة الخروج من كأس أسبانيا بسبب هفوة إدارية، بات الأمر يدعو إلى القلق والانزعاج في البيت الملكي، لكنه بالتوازي مع ذلك فإن هذا الوضع بات مدعاة للسخرية والتندر، وربما التشفي أيضا في معسكر "الغريم".

الأخبار الأخيرة كشفت عن وجود حالة من السعادة والانتشاء لدى بعض لاعبي برشلونة بعد تتالي سلسلة الهزات والكبوات والفضائح في المعسكر المدريدي، ولعل ما أقدم عليه المدافع المحوري للبارسا جيرارد بيكيه يؤكد هذا المعطى، إذ استغل هذا اللاعب السقوط الهزلي للريال في مسابقة كأس أسبانيا كي يبرز مدى سعادته بالتشفي من خصمه في كل مناسبة.

بيكيه أقدم عبر صفحته في وسائل التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت على تدوين بعض الأيقونات التي تفيد بأنه يضحك كثيرا ويهزأ مما حصل للريال الذي خسر ضد نادي قادش ليس على الملعب، بل بسبب خطأ إداري "مضحك".

وتواصل مسلسل الازدراء والسخرية من قبل نجوم برشلونة، وتحديدا مع اللاعب الدولي البرازيلي داني ألفيس الذي لم يتورع عن التصريح بأنه يتمنى أن تتواصل متاعب ريال مدريد مؤكدا "أتمنى أن يعانوا في المستقبل.. إذا كان خصمك ضعيفا عليك أن تكون أفضل لكي لا تعطيه فرصة، سيظل برشلونة أفضل من ريال مدريد".

وأطلق ألفيس سهامه أيضا صوب كريستيانو رونالدو نجم نجوم ريال مدريد، حيث شدد على أنه لا يستحق بالمرة أن ينافس هذا العام على جائزة أفضل لاعب في العالم واصفا إياه بالشخص المغرور، قبل أن يمعن في التشفي فيه بقوله "عندما تفوز يضعك الناس في المقدمة، لكن عندما تخسر يجب عليك تجرع هذا الأمر"، في إشارة إلى كثرة خسائر رونالدو مع فريقه خلال الفترة الماضية.

ربما هي هكذا العلاقة الجدلية بين ريال مدريد وبرشلونة مادام في الأمر عداوة مشتركة ومنافسة لا يقتصر مداها على الملعب فقط، بل هو صراع نفوذ وتشف وسخرية لا تهدأ حتى وإن كانت مكلفة وتفقد البعض شعبيتهم.

والدليل على ذلك ما حصل لبيكيه الذي لم يكن تصرفه الأخير الأول له ضد الريال، حيث سبق له السخرية باستمرار على الفريق المدريدي كلما مرّ بأزمة، هذه التصرفات أفقدته شعبيته وجعلته "العدو الأول" لدى محبي الريال وأنصاره، ووصل الأمر إلى درجة من الكراهية المعلنة، ففي مباريات المنتخب الأسباني كانت بعض الجماهير تهتف ضد بيكيه كلما لمس الكرة، وفي مباراة الكلاسيكو الأخيرة التي كان خلالها الريال مضيفا، أطلقت الجماهير صافرات الاستهجان كلما كانت الكرة بحوزته.

أما داني ألفيس فإنه لا يحظى بأي عطف أو "احترام" من قبل جماهير الريال التي لن تغفر له أبدا تصريحاته النارية التي يطلقها بين الحين والآخر.

ولا يقتصر الأمر على اللاعبين فحسب، بل إن بعض أخبار ونتائج الفريقين تتحول بسرعة البرق إلى مادة دسمة تتلهى بها جماهير الفريقين في كل مناسبة، فمراوغة فاشلة من رونالدو تفتح بسببها منتديات على مواقع التواصل الاجتماعي وتصبح مادة للتندر والاستهزاء، وسقوط غير متوقع من ميسي يتحول إلى مادة للضحك والسخرية لدى شق كبير من أحباء الريال، وفشل أحد المدربين في قيادة الفريق للتتويجات يتحول إلى خبر رئيس للحديث بأسلوب ساخر ومضحك عن إنجازات الفريق المنافس.

أما الفضائح المتعلقة بالضرائب على غرار ما حصل لماسكيرانو وميسي فإنها تصبح لدى أحباء الفريق الأبيض موضوعا فيه الكثير من الاستهزاء والتشفي والنقد أيضا.

والأطرف من ذلك أن مواضيع السخرية والاستهزاء قد تشمل كل الأمور بما في ذلك تنفيذ رميات التماس أو إجراء التغييرات من حافة الملعب، ولعل ما حصل مع الريال منذ موسمين عندما تم تنفيذ رمية تماس من قبل لاعبين اثنين في الوقت نفسه أكبر دليل على هذا التشفي الذي أشعل ضحكات الجماهير الكتالونية على مواقع التواصل الاجتماعي.

وربما لا يقتصر هذا الأمر على اللاعبين والأحباء فقط، بل يمتد الأمر إلى المدرّبين، فمنذ سنوات قليلة لم يتورع المدرب السابق لريال مدريد جوزيه مورينهو في التعليق والسخرية والاستخفاف بمنافسه في كل المناسبات والمنافسات، وحذا حذوه المدرب السابق لبرشلونة يوهان كرويف عندما أعلن صراحة أن ريال مدريد يدعو للسخرية بسبب اكتفائه بلقب وحيد على امتداد سبع سنوات كاملة.

العلاقة بين الطرفين هي دوما هكذا والتاريخ يشهد بذلك، فالسخرية من المنافس أقوى من "القتل"، والتشفي فيه يعد لدى البعض أهم من الفوز بحد ذاته حتى وإن كانت النتيجة ثقيلة، فالمهم هو إيجاد موضوع يستفز المنافس ويغيظه ويقلل من شأنه.

* كاتب صحفي تونسي

الأولمبي التونسي يودع حلم ريو 2016

الأولاد يهزمون النسور

❏ **تونس** – غادر منتخب تونس الأولمبي الجمعة كأس أفريقيا للأمم دون 23 عاما، بعد هزيمته أمام جنوب أفريقيا بهدف دون رد لحساب الجولة الأخيرة للدور الأول للمجموعة الأولى، وبالتالي تتبخر آمال منتخب تونس في التأهل إلى الألعاب الأولمبية ريو 2016.

ولم يكن نسور قرطاج يستحقون الفوز في مباراة الجمعة أمام منتخب "البافانا بافانا" (الأولاد) الذي سيطر على مجريات الشوط الأول، وكاد يفتتح النتيجة منذ الدقيقة 16 عن طريق بيبلي شانغازي، لكن كرة الأخير ضاعت خارج المرمى.

وتحسن أداء منتخب تونس في الدقائق الأخيرة من الشوط الأول، إلا أنه عجز عن تجسيم الفرص التي أتيحت له، خصوصا في الدقيقة 41 بواسطة رياض الغندري وفي الدقيقة 44 بواسطة خلدون منصور أمام تألق الحارس الجنوب أفريقي.

بعد فترة الاستراحة أقحم المدير الفني لمنتخب تونس ماهر الكنزاري سعد بقير أملا في تنشيط الخط الأمامي، لكن لا هيثم الجويني في الدقيقة 47 ولا وجدي كشريد في الدقيقة 53 ولا علي العابدي في الدقيقة 55 تمكنوا من مباغتة الحارس الجنوب أفريقي دجودي، كما أهدر رياض الغندري في الدقيقة 73 فرصة ذهبية للتهديف وأضاع عن تونس هدف التأهل بأعجوبة.

في المقابل تمكن منتخب جنوب أفريقيا من تجسيم سيطرته بتسجيل هدف في الدقيقة 85 بواسطة مينزي ماسوكا الذي وجد نفسه وجها لوجه مع الحارس التونسي صبري بن حسن، ليسكن الكرة في الشباك دون عناء أمام بهتة الدفاع التونسي، ليتأهل منتخب جنوب أفريقيا عن جدارة إلى المربع الذهبي بعد أن أنهى الدور الأول في المركز الثاني بـ6 نقاط بعد منتخب السنغال الذي نال العلامة الكاملة، بعد أن فاز الجمعة أيضا على زامبيا بهدف دون رد.

الانتصار الثالث على التوالي للسنغال صاحب الأرض والجمهور جعل منظمي البطولة يحتلون صدارة المجموعة الأولى بتسع نقاط، فيما أنهت تونس الدور في المركز الثالث بثلاث نقاط وزامبيا في المركز الرابع والأخير بصفر من النقاط.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

مناجم الذهب في المكسيك تجلب الرزق والموت أيضا

فيما كان سكان من قرية كاريساليو في جنوب المكسيك يبحثون عن الذهب في الأرض، وقعوا على خامس قبر سري وثامن جثة يعثرون عليها منذ آخر أكتوبر الماضي، ما عزز لديهم الشعور بعدم الأمان، وقلقهم من اجتذاب مناجم الذهب لعنف العصابات المسلحة.

حيث يوجد العسل يوجد النحل

❏ **كاريساليو (المكسيك)** – ينقب سكان قرية كاريساليو في جنوب المكسيك في محيط مناجم الذهب عما يكسبون به رزقهم، لكن بعضهم يملأ حقيبته بالذهب فعلا والبعض الآخر يقع على ذراع أو عظمة أو إصبع أو غيرها من الرفات البشري المدفون سرا قد يكون أصحابها قضوا في جرائم.

يقول ريكاردو لوبيس البالغ من العمر 59 عاما، والذي يدير تعاونية محلية لإدارة الأراضي "حيث يوجد العسل يوجد النحل".

وتشرف على هذا المنجم شركة "غولدكورب" الكندية، وهو يظهر للعيان من قرية كاريساليو البالغ عدد سكانها ألف نسمة، والمنجم افتتح في عام 2007، ويعمل فيه 2600 شخص من القرى المجاورة، وبلغ إنتاجه في العام الماضي 250 ألف أونصة من الذهب.

واعتاد السكان التعبير عن سعادتهم لوجود هذا المنجم الذي وفر لهم فرص عمل، إلا أنهم في المقابل يعربون أيضا عن قلقهم من عودة أعمال الخطف والقتل والابتزاز.

وعانى لوبيس نفسه من إجرام العصابات، فقد خسر ابنه المسؤول في نقابات عمال المناجم في أغسطس الماضي، حين أرداه مسلحون على باب المنجم بعد انتهاء عمله.

ومنذ ذلك الحين، طلب لوبيس من شركة "غولدكورب" تمويل حماية العمال من عنف العصابات ومرافقتهم إلى منازلهم.

ومع أن الشركة الكندية رفضت ذلك، إلاّ أن عناصر من الشرطة باتت ترافق القوافل المنطلقة من المنجم وصولا إلى مساكن تحظى بحماية مشددة مخصصة للمهندسين.

يقول ميشال هارفي مدير الشؤون الأمنية في "غولدكورب" الكندية "نواصل تشجيع السلطات المكسيكية على فعل ما في وسعها للتصدي للعنف".

وعلى بعد ساعتين من المنجم، يعاني السكان في نويفو بالساس من تصاعد أعمال العنف منذ حطت شركة الاستثمار المنجمي الكندية "توريكس" في منطقتهم للتنقيب عن الذهب.

وقبل عامين، شكل السكان ميليشيا محلية للدفاع الذاتي تتصدى لعصابة المخدرات "لافاميليا ميتشواكانا". وفي سبتمبر، وقعت شركة "توريكس" اتفاقا مع السلطات المحلية لتمويل تعزيز وجود عناصر الأمن في القرى المجاورة. وفي مارس، خطف ثلاثة عمال مناجم وقتلوا في المنطقة نفسها.

وفي يونيو من عام 2014، اقتحم مسلحون من عصابة "غيريروس أونيدوس" قرية كاريساليو وقرعوا أجراس الكنائس فيها لإعلام السكان بأنهم "سيطهرون" القرية من عناصر عصابة "لوس روخوس" المنافسة، على ما يروي رئيس بلدية القرية نلسون فيغويروا. وأسفر ذلك اليوم عن مقتل ستة أشخاص، وأجبر المسلحون عمال المناجم على شراء الطعام والوقود وبطاقات الشحن الهاتفية لهم، وقد اضطر بعض العمال إلى إنفاق نصف مداخيلهم تلبية لطلبات المسلحين، كما منع المسلحون سكان القرية من مغادرتها إلاّ بعد الحصول على إذن مسبق.

في ظل هذا الواقع، يأمل السكان بأن تنتشر قوات من الجيش في مناطقهم لتأمين حمايتها من العصابات ومن عناصر الشرطة المتواطئين معها.

ويقول فيغويروا "نعيش في منازل لا نوافذ لها، وأبوابها من الفولاذ، نحن نعيش في ما يشبه الحرب".

قلوب محنطة لم تسلم من تصلب الشرايين

❏ **باريس** – وسط أطلال دير يرجع عهده إلى العصور الوسطى بمدينة رين الفرنسية، اكتشف علماء الآثار خمس جرار تشبه في شكلها القلب مصنوعة من الرصاص تحتوي كل منها على قلب بشري محنط.

وبعد نحو 400 سنة من دفنها بمكانها استعان الباحثون بالعلوم الحديثة لدراسة هذه القلوب المحنطة، واتضح أن ثلاثة قلوب منها تحمل علامات دالة على الإصابة بأمراض قلب متداولة في وقتنا الحالي.

وقالت روزين كولتيه من المعهد الوطني الفرنسي للأبحاث الأثرية "كل قلب يختلف عن الآخر وينطوي على أسراره الخاصة، أربعة من هذه القلوب محفوظة حفظا جيدا، من النادر في مجال الآثار العمل على مواد عضوية والاحتمالات مثيرة".

وبدا أحد هذه القلوب سليما دون أن يحمل أيّ آثار على الإصابة بأمراض، أما ثلاثة منها فبدت عليها الإصابة بأمراض منها تصلب الشرايين مع وجود صفائح رقيقة داخل الشرايين التاجية، أما القلب الخامس فكان سيء الحفظ.

وقالت فاطمة الزهراء موكران من مستشفى رانغويل بالمستشفى الجامعي في تولوز "قلب واحد يخص امرأة وكان في حالة تحلل شديدة لا تسمح بدراسته".

ويخص قلب منها أحد النبلاء استدلالا من خلال نقوش وجدت على الجرة الموضوع بها ويدعى توسيه بيريان فارس بريفيلاك وتوفي عام 1656، وكان قلبه قد انتزع عقب وفاته ودفن فيما بعد مع زوجته لويز كوينجو سيدة بريفيلاك التي توفيت عام 1654.

وعثر على جثة لويز كوينجو التي كانت في حالة حفظ ممتازة في تابوت بالموقع، وكانت تضع رداء خارجيا دون أكمام ينسدل على الكتفين وزيا آخر من الصوف وغطاء نسائيا للرأس وحذاء جلديا نعله من الفلين.

وأقدم هذه الجرار يرجع عهده إلى عام 1584 وأحدثها إلى عام 1655، وقالت موكران إن من الجوانب المهمة لهذه الدراسة اكتشاف أن الناس الذين كانوا يعيشون قبلنا بمئات السنين كانوا يصابون بمرض تصلب الشرايين.

ويحدث تصلب الشرايين حين تتراكم صفائح رقيقة من الدهون والكوليسترول ومركبات الكالسيوم داخل الشرايين إلى الدرجة التي تصبح فيها هذه التراكمات كثيفة مع مرور الوقت، ما يؤدي إلى ضيق مسار الدم بالشرايين ومن ثمة الإصابة بالأزمات القلبية والسكتة الدماغية.

وقالت موكران "تصلب الشرايين ليس من الأمراض الحديثة، لأنه وجد في عدة قلوب خضعت للدراسة".

أولغا كوريلنكو محكّمة في مراكش السينمائي

❏ **الرباط** – حضرت الممثلة وعارضة الأزياء الأوكرانية – الفرنسية أولغا كوريلنكو مساء الجمعة الماضي افتتاح الدورة 15 للمهرجان الدولي للفيلم بمراكش، بصفتها عضوا في لجنة تحكيم المسابقة الرسمية للمهرجان التي يترأسها المخرج الأميركي فرانسيس فورد كوبولا صاحب ثلاثية "العرّاب".

فتاة بوند في فيلم "كم من العزاء" تشارك في عضوية لجنة تحكيم المسابقة الرسمية التي يتنافس عليها هذا العام 15 فيلما روائيا طويلا إلى جانب الممثلة المغربية أمل عيوش، والممثل الإيطالي سيرجيو كاستليتو، والممثلة الهندية ريشا شادا، والمخرج الهولندي أنطون كوربين، والمخرج الفرنسي جان بيير جوني، والمخرجة اليابانية ناوومي كاوازي والمخرج الدانماركي طوماس فينتربر.

ويشارك في المسابقة كل من اليابان والبرازيل وكوريا الجنوبية والهند وكازاخستان وإيران وتركيا ولبنان وأيسلندا والدنمارك وبلجيكا وكندا والولايات المتحدة والمكسيك والمغرب.

ومن بين الأفلام المتنافسة على جوائز المهرجان الفيلم الكندي "خزانة الوحش"، والياباني "ذكريات عالقة"، والكوري الجنوبي "زهرة الفولاذ"، والمغربي-البلجيكي "المتمردة"، والألماني-الإيراني "فردوس" والقطري-اللبناني "كثير كبير".

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

نفوذ الراقصات

❏ عام 1994 كانت الفنانة فيفي عبده في قمة شهرتها باعتبارها الراقصة الأولى في مصر، ورثت مكانة نجوى فؤاد وسهير زكي وزيزي مصطفى والدة الممثلة منه شلبي.

كانت فيفي تؤدي "نمرتها" مساء كل يوم بالملهى الليلي لأحد الفنادق الكبرى المطلة على نيل القاهرة الذي كان يرتاده رجال أعمال وفنانون وشخصيات شهيرة في المجتمع المصري وبعض نجوم كرة القدم.

في أحد الأيام جاءت إلى الملهى راقصة أخرى أقل من فيفي شهرة، ويبدو أنها كانت تريد افتعال أزمة في هذا الكباريه للفت الأنظار إليها، وربما لتنال قدرا من الأضواء التي كانت تستأثر بها فيفي عبده.

شربت الراقصة الأخرى خمرا حتى الثمالة، وبدأت تخرّف وتسبّ الحاضرين كلهم وتسخر من المطرب الذي يغني قبل دخول فيفي "البيست".

طلب منها المطرب احترام المكان الذي تجلس فيه، فلعنت أبوه وأبو الفندق وأبو الشركة العالمية التي تديره، حضر ضابط شرطة السياحة المنوط به تأمين الفندق وكان صغير السن برتبه نقيب.

طلب منها الهدوء ومغادرة الملهى، فما كان منها إلاّ أن لعنت والديه وتفوهت بألفاظ قذرة وأقسمت أنها ستنقل الضابط إلى أسوان.

عرفت "الست" فيفي بالحكاية فأقسمت بأغلظ الأيمان أن تعيد الضابط إلى عمله وترد له كرامته، وفيفي معروفة في الوسط الفني بأنها بنت بلد "جدعة".

المهم أن الراقصة المغمورة نفذت تهديدها وتم نقل الضابط إلى أسوان بناء على توصية من الراقصة وأحد أصدقائها بالداخلية (تم نقله بعدها).

وصل الضابط إلى أسوان وتسلم عمله في شرطة السياحة هناك، وبعد وصوله بثلاثة أيام أبلغه مدير شرطة السياحة بأسوان بأنه تلقى إخطارا بعودته لعمله بالقاهرة وتوجيه اعتذارا له.

وعرف الضابط الشاب أن عودته تمت بناء على توصية من فيفي عبده لمسؤول كبير بالوزارة بعد أن شرحت له ما حدث.

الضابط دمه حامي، عاد من أسوان إلى مكتب الوزير مباشرة وقدم له استقالته، سأله مدير المكتب: لماذا وقد تم رد اعتبارك وعدت إلى عملك؟

ورد الشاب: يا فندم ما ينفعش تنقلني رقاصة، وترجعني رقاصة.

واستطرد: ستظل هذه الحكاية تطاردني طول عمري.

حاليا هو محام مشهور جدا ومن أغنى رجال القضاء الواقف، ويعتز بأنه اشترى كرامته في وقت كانت الراقصات تتحكم فيه بكل شيء!